

فكر

12

مجلة فكر الثقافية
f i k r m a g a z i n e

مجلة ثقافية فصلية تفاعلية
العدد: 12 - أغسطس - أكتوبر 2015

مسيحيون
في مكة المكرمة

الشرق بمنظار الغرب

الإستشراق الجديد والإسلام

الإنترنت وعصر «البيانات»
الضخمة «BIG DATA»

أنور العطار.. شاعر
الجمال والطبيعة

الفايكنغ والإسلام: تاريخ منسي



من الريف الإنجليزي



كن معنا لرسم صورة جميلة للثقافة العربية

فكر

6	موضوع العدد
14	بين السطور
20	آفاق
36	وجوه
40	الأدب العالمي
44	بين قوسين
50	رأي
60	أوراق ثقافية
74	نقد وقراءة
78	دراسة أدبية
82	مراجعات
86	كتب
90	حياتنا
96	فنون
100	معالم وحضارات
102	ثقافة شعوب
104	قصة مكان
106	دبل كليك
108	علوم وتكنولوجيا
110	90 يوماً
112	نقطة ضوء

افتتاحية

رصد موضوع هذا العدد الرحلات الاستشرافية للجزيرة العربية وخصوصاً منطقة الحجاز لما تتميز به من خصوصيات عديدة لوجود الأماكن الإسلامية المقدسة، واحتضانها العديد من كبرى حضارات العالم التاريخية، إلى جانب موقعها الجغرافي الذي يضعها في قلب العالم القديم وبجانب الطرق الرئيسية للتجارة. وكان هناك مغامرون دائماً ما تراودهم فكرة الوصول إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة، وبالفعل وصل عدد كبير منهم أكثر جاءوا عن طريق رحلات الحج والعمرة القادمة من مصر وتركيا وباقي الدول الإفريقية، بعد أن تظاهروا بالإسلام، كان منهم من كان عميلاً للدول الكبرى جاء لجمع معلومات استخباراتية، ومنهم من كان يرغب في البحث العلمي والاجتماعي والاطلاع على عادات وتقاليد الشعوب، التي تعد امتداداً لحركة الاستشراق، ومنهم من أراد أن يتحدّى الآخرين بالولوج إلى الأرض التي حرّمها الله على المشركين. وكان منهم من ألف كتباً عن الجزيرة العربية، وعن عادات البدو، وقد تضمنت هذه الكتب وصفاً دقيقاً ليس لأسلوب حياة البدو والتطور السياسي للجزيرة العربية فحسب، بل أيضاً معلومات تفصيلية عن كل ما تحتوي عليه المدينتان المقدستان وتصويراً شاملاً للوضع الداخلي والخارجي للكعبة المشرفة. وكانت أهداف هؤلاء الرحالة جميعاً رصد أوضاع الجزيرة العربية السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية.

رئيس التحرير

في هذا العدد يكتب لكم:

محمد عبد الله الفريح	عشبة الحياة
د. عبد الرحمن سليمان النملة	الإفصاح عن الذات
د. أمير تاج السر	الأفكار وسطوتها
د. وليد فتحي	التفاؤل
أ.د. مهند عبد الرزاق الفلوجي	الفايكنغ والإسلام تاريخ منسي يوثقه معجم الفردوس
أ.د. عبد القادر شريف بموسى	الشرق بمنظار الغرب: كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجاً
د. علي عفيضي علي غازي	الاستشراق الجديد والإسلام
أ.د. مسعد بن عبد العطوي	نظرية البناء في العهود القديمة
د. سعيد بوخليط	جاك دريدا إرثه بعد عشر سنوات من وفاته
خالد بن ناهس الرقاص	الأسس النفسية لسلوك النصيحة بين الإبداع والنقد
ميسون أبو بكر	المغرب بين المتوسط والمحيط
عمر عثمان جبق	كتاب: مستقبل الإسلام THE FUTUR OF ISLAM
هاني العطار	أنور العطار .. شاعر الجمال والطبيعة
د. عبد المقصود حجو	دور التكنولوجيا في تنمية المعرفة بالوطن العربي
عبد الله بن محمد اليوسف	حماية البيئة والتعليم (3-3)
هند مبارك الدوسري	# وظيفتك وبعثتك تكامل تنموي داخلي وخارجي
عماد أحمد العالم	مثاليون
حسن محمد النعمي	مهرجان رمال الدولي في الكويت .. رؤية إبداعية
د. عماد عمر سرحان	التعلم الإلكتروني الحقيقي كما يجب أن يكون
د. فريد أمعشوشو	السيوطي أنموذج العالم المشارك في التراث العربي الإسلامي
د. عمار الجنيدى	صعاليك العرب ويحثهم عن العدالة الاجتماعية
أنوار طاهر	فلسفة الحجاق القانوني بين الشمولية وعنف الإيديولوجية
أ.د. أحمد يحيى علي	هوية الكتابة النسوية - قراءة في رواية "حب الظمان": د. ثريا محمد علي
صبري بن سلامة شاهين	مالك بن نبي (فقيه الحضارة)
عوني عبد الصادق	دلالة البنية الروائية ومدلول النص .. قراءة سيميوتاريخية لرواية (نساء القاهرة. دبي): د. ناصر عراق
أحمد صالح الصمعاني	لغة الفشل
فهد أولاد علي	بلاغة التصوير في نثر الجاحظ - صورة المرأة في رسالة القيان
د. عثمان حسيني	في الحاجة إلى سقراط
د. نسرين الحميد	وطن علي الغدر عسير
أكثرى بوجمعة	النكتة لغتها ووظيفتها
نجاة مزهود	دور الصورة التعليمية في تنمية المعرفة والإدراك لدى الأطفال
د. صفاء الدين أحمد فاضل	تقنية المنجز المسرحي الحديث جمالية البناء وتقنية التقديم
سما يوسف	جزيرة فيكتوريا - كندا
ناصر محمد الزمّل	رقميون غيروا حياتنا - جيفري بريستون بيزوس مؤسس أمازون

إبداع

عبد الواحد سيد الرزقي	حاء .. وباء	(قصيدة)
محمد بن يوسف كرزون	صديق واحد	(قصيدة)
مصطفى أحمد الأخرس	زهر الخريف	(قصيدة)
عبد الستار الحاج حامد	تقسيم الخودود	(قصيدة قصيرة)
د. حسن كمال محمد محمد	المرأة الصواب في الدنيا الخطأ	(قصيدة)

علوم وتكنولوجيا



108

قصة مكان



100

فنون



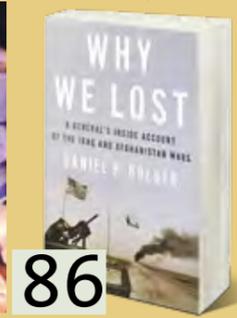
98

معالم وحضارات



100

كتب



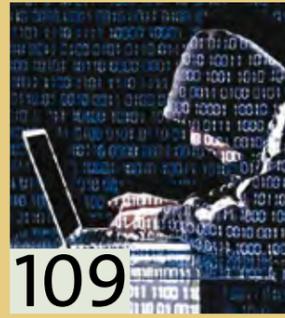
86

ثقافة شعوب



102

90 يوماً



109

دبل كليك



106

WIKIPEDIA
The Free Encyclopedia

يمكنكم التنقل بين الصفحات من خلال الضغط على المحتويات أو اسم الكاتب، لتنتقل إلى الصفحة المطلوبة، وكذلك العودة مرة أخرى إلى صفحة المحتويات من خلال الضغط على أيقونة (الهوم) في أعلى الصفحة.

مجلة فكر الثقافية تحتوي على العديد من الروابط التي تمكنك من زيارة المواقع الهادفة وكذلك لمشاهدة تقارير الفيديو والأفلام الوثائقية

مسيحيون

في مكة المكرمة ..

الرحلات والاستئراق في الجزيرة العربية

استقطبت شبه الجزيرة العربية اهتمام الكثير من الباحثين والرحالة من مختلف أرجاء العالم، وذلك لما تتميز به من خصوصيات عديدة أهمها وجود الأماكن الإسلامية المقدسة، واحتضانها العديد من كبرى حضارات العالم التاريخية، إلى جانب موقعها الجغرافي الذي يضفي قلب العالم القديم وجانب الطرق الرئيسية للتجارة.

وهناك مغامرون كثيرون راودتهم فكرة الوصول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبالفعل وصل الكثيرون منهم، بيد أن غيرهم رجع بخفي حنين، وأما الذين وصلوا فأكثرتهم تعلم العربية، وتظاهر بالإسلام تيسيراً للوصول، وبعضهم أسلم بالفعل وحسن إسلامه، والبعض ترك القراء في حيرة من أمر إسلامه، وأما أسباب هذه المغامرات التي قد تكلف المغامر حياته، فتندرج تحت أسباب عدة، أهمها روح المغامرة التي اتصف بها الأوروبيون في القرون المنصرمة لتسجيل أسماؤهم في سجل الاوائل، ومنهم من كان عميلاً للاستعمار الذي كان يحاول أن يدرس جزيرة العرب، ولاسيما مكة والمدينة تمهيداً لاستعمارها، ومنهم من كان يرغب في البحث العلمي والاجتماعي والاطلاع على عادات وتقاليد الشعوب، ومنهم من أراد أن يتحدّى الآخرين بالولوج إلى الأرض التي حرّمها الله على المشركين.

وكان مفهوم الترحال من أجل العلم والمعرفة تبلور منذ القرن السادس عشر الميلادي، ويهدف في الأساس إلى جمع المعلومات الجغرافية ودراسة عادات الشعوب وأحوالهم المعيشية والسياسية. وكان الرحالة الغربي يوصف بأنه رجل متحضر، لديه تصوّر راق للحياة وهو صاحب رسالة حضارية، يريد نشرها في أوساط الشعوب المتخلفة، وقد عكف على التجوال والترحال ليدون مشاهداته السياسية وأخبار المناطق التي يزورها لصالح الحكومات أو المؤسسات التي أوفدته.

وكان أدب الرحلات عند الغربيين يعد امتداداً لحركة الاستئراق، «وهو جزء من تراث الإمبراطوريات الغربية المستعمرة، التي كانت ولا تزال تحرص على دوام مصالحها في البلاد الأخرى، فحتى الرحلات ذات الطابع العلمي الأكاديمي كانت مرتبطة بالسياسة أكثر من ارتباطها بالعلم والحضارة».

وكان أدب الرحلات «عظيم الفائدة، ولا يضاهي في تنوعه وتعدد مجالاته، على الرغم من الغموض الذي يكتنف دوافعه الحقيقية، حيث يلتقي في هذا المجال العلم بالأدب والفلسفة بالتاريخ والاقتصاد بالسياسة، وتشتمل

كتب العلماء ورجال الدين والسياسية والعسكريين والمخبرين الذين زاروا المنطقة، على ركام هائل من المشاهدات والأبحاث الدقيقة، التي تتناول السكان والعمران والنبات والحيوان، وترسم الخرائط ومواقع المدن الأثرية، وتحدد الطرق ومواطن الثروات». ومن أسماء هؤلاء لودفيكو فارتيمو، وجوزيف بيتس، ووليام جيفورد بالجريف وتشارلز دوتي وهاري سنت جون فيليبي، بالإضافة إلى باديبا يلبليس ونيبور وبركهارت وبيرتون.

وكانت رحلة المستشرق الدكتور كريستيان سنوك هور خرونييه إلى مكة المكرمة بين عامي 1884 و 1885 التي وضع خلالها كتابه الشهير (مكة) والذي يتكون من جزأين، تناول فيهما تصوراتهما عن حال المسلمين في الجزيرة العربية وجزر الهند الشرقية، التي عاش فيها مستشاراً للشؤون الشرقية والإسلامية لمدة 17 سنة. ومن دوافع سنوك في رحلته إلى الجزيرة العربية، «إذا عرفنا أن العصر الذي عاش فيه، كان عصر حمى التوسع الاستعماري وحمى «التبشير» في ظل حماية السلطة المستعمرة، وحمى الاكتشاف والريادة» وذلك باكتشاف أي مجهول عند الأوروبيين للفوز بالشهرة، كالتقوس

متنكراً تحت اسم عربي وزي إسلامي ليؤلف بعد ذلك كتابه عام 1884 الذي أسماه «32 سنة في الإسلام». وكان الهدف الرئيسي لرحلة روش، الحصول على موافقة شرعية من المراجع الدينية للفتوى التي صاغها الفرنسيون ليحتجوا بها ضد مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري في الجزائر، وذلك بعدما تمكن، إثر تقلبات متعددة، من حضور مجلس العلماء في الطائف برعاية حاكم مكة المكرمة آنذاك.

وقد تعرض روش في رحلته إلى وصف الحالة السياسية والدينية السائدة في الدولة السعودية آنذاك، كما سجل وصفاً شاملاً للمظاهر البارزة في عدد من المدن والمواقع في منطقة الحجاز، اشتملت على كل من: ينبع البحر، ويدر حنين، والطائف، بجانب مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة.

ومن الجوانب العلمية والتاريخية التي تتضمنها رحلات الغربيين إلى المنطقة، رحلة الرحالة السويسري بركهارت التي كانت أبرز الرحلات السويسريين إلى المنطقة.

كان بركهارت، المعروف بـ«الشيخ إبراهيم بن عبد الله الشامي»، لم يكن الرحالة الأوروبي الأول الذي يزور المدينتين المقدستين في الجزيرة العربية، فإنه أول من كتب وصفاً دقيقاً لهما.

نشأ بركهارت في مدينة بازل (بال، في أقصى شمال غربي سويسرا) وسط عائلة تجارية غنية، عين بعد انتهاء دراساته في ألمانيا وإنجلترا، مندوباً عن الجمعية البريطانية لتشجيع الاستكشاف في الأجزاء الداخلية لأفريقيا. وانتقل في ما بعد إلى منطقة الشرق الأوسط، فأقام في سورية لبعض الوقت بهدف إتقان اللغة العربية، ثم غادر إلى الأردن، وسجل أحد أهم إنجازاته بإعادة

استكشاف البتراء، العاصمة السابقة للأنباط عام 1809، إلى جانب إمداد حكومته بالكثير من المعلومات المهمة عن الوضع السياسي المحلي في المنطقة.

ألف بركهارت كتابين (الرحلات في الجزيرة العربية) 1822 (وملاحظات عن البدو السعوديين) 1829، تضمنتا وصفاً دقيقاً ليس لأسلوب حياة البدو والتطور السياسي للجزيرة العربية فحسب، بل أيضاً معلومات تفصيلية عن كل ما تحتوي عليه المدينتان المقدستان وتصويراً شاملاً للوضع الداخلي والخارجي للكعبة المشرفة.

ويؤكد الدكتور ديونيسيوس أ. اجيوس الأستاذ بقسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة ليدز، أن سيطرة مدينتي جدة وعدن على مفااتيح التجارة في البحر الأحمر خلال القرن السادس عشر، شجع المستكشفين البرتغاليين على الاستيلاء على هاتين المدينتين والقضاء على الحركة التجارية من شرق أفريقيا والهند والصين.

وكان الهدف الرئيسي وراء الحملات الاستكشافية للبرتغاليين الذين كانوا يتنافسون مع المماليك في مصر على السيطرة على طرق القوافل الشرقية، ومع البنادقة الإيطاليين (من مدينة البندقية) في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط. ومن خلال الرحلات الاستكشافية للبرتغاليين في مدن البحر الأحمر، أمكن التعرف على الخبرات الإسلامية الكبيرة والدراية بالتيارات والشعوب والموانئ البحرية. وساهمت كتابات الرحالة في رفع مستويات المهارات الملاحية بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، بعدما كانت المصادر العربية صامتة عن شرح هذه المهارات، ولم يكن معلوماً حينها أن الملاحين المسلمين متمرسون في التقنية الملاحية باستخدام البوصلة والخرائط.

ومن ضمن الرحلات إلى الجزيرة العربية رحلة الأدميرال الفونسودي البوركرك البرتغالي الذي أبحر إلى البحر الأحمر وخطط لاحتلال المدينة المنورة للاستيلاء على تابوت النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والمطالبة بفضيته معلناً أن ثمنه هو كنيسة بيت المقدس لكنه فشل في مساعيه.

وهناك أيضاً رحلة غريغور داكودرا البرتغالي عام 1516، وارتشيبالد فورد البريطاني الذي جاء إلى شبه الجزيرة العربية ودعا الناس بكل صراحة إلى المسيحية، وحاول أن يبيعهم نسخاً من الإنجيل. لكن كان الجانب الاقتصادي هو أحد جناحي الهدف الاستعماري مع الجانب السياسي، إذ تميز القرن السابع عشر بالصراع بين البرتغاليين وبين شركتي الهند الهولندية والبريطانية، وأخذت كل من الشركتين تسعى لإقامة علاقات تجارية مع حكام اليمن والجنوب العربي. وقد استطاع بعض التجار الأوروبيين إنشاء مراكز تجارية مختلفة على بعض السواحل اليمنية والخليجية خصوصاً بعد أن عرف الأوروبيون مشروب القهوة.

فقام جودريان ببيعته إلى صنعاء مثلاً، وكذلك القبطان الهولندي بيتر فان دي بروك، وهنري ميدلتون وغيره، وكلهم كتبوا وسجلوا ملاحظاتهم وما شاهدوه في الجزيرة العربية واليمن.

وكانت أهداف الرحالة جميعاً لم تخرج عن رصد أوضاع الجزيرة العربية السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية، لذا نجد أول من زار الأراضي المقدسة، وأعطى تقريراً عن رحلته ومشاهداته هو الأسباني باديا ليلي الذي تنكر تحت اسم علي بك العباسي، وحتى روسيا



الحاج عبدالله فيليبي



كرستين نيبور



تشارلز مونتاج داوتي



جون لويس بوركهارت



الليدي آن بلنت



جوهان لودفغ بوركهارت

ولإعداد تقارير عن الوضع الاقتصادي، وحالة الموانئ العربية على البحر الأحمر.

4 - الهدف العلمي: لا يشك أحد أن نهضة أوروبا على العلم، وبعض العلم مصدره من الشرق ومن العرب على وجه الخصوص. وكانت تدور في أذهان الأوروبيين فكرة البحث والتقصي لأجل العلم، لذا أرسلوا الرحالة يجوبون أقطار الجزيرة العربية من أجل هذا الهدف. ومن يتفحص كتابات بعض الرحالة أمثال: العالم الدنماركي كرسطين نيبور Carsten Neibuhr أو تشارلز مونتاج داوتي Charles Montage Doughty يدرك على الفور مقدار الجهد الذي بُذل من أجل العلم والمعرفة.

ولابد في هذا السياق من الإشارة إلى جهل الرحالة الغربيين الأوائل ببلدان الجزيرة العربية، وهم في بعض هذا معذورون، ذلك أن أعمال الجغرافيين والرحالة المسلمين لم تترجم إلى اللغة اللاتينية، وهي لغة العلم والثقافة في أوروبا، إلا في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي، وبهذا لم يتمكن الرحالة الغربيون الذين زاروا الجزيرة العربية قبل ذلك التاريخ من الاطلاع على ما كُتب عن الجزيرة العربية.

مُعظم الرحالة الغربيين الذين زاروا مدن الحجاز، وخاصة الساحلية منها، أو المدن المقدسة فيها، يتفقون مع قول شهير قاله لورنس يصف مناخ جدة: «إن جدة لم تشهد هبوب النسيم منذ سنين» ومع هذا كان لورنس T.Lawrence وغيره معجباً بفن العمارة الحجازية، وشبهها بالطراز الإليزابيثي. لقد حاول الرحالة الغربيون التغلب على مشكلة الحر في جدة وغيرها من مدن الحجاز، فعمد مثلاً الصحفي الشهير جيمس باكنجهام James Silk Buckingham إلى اصطحاب شبكة يلتف بها ويغمس نفسه في الماء كلما شعر بوطأة الحر.

أقسام اللغة العربية وكراسيها في جامعات أوروبا. لهذا كان معظم من دخل مكة المكرمة أو المدينة المنورة إنما دخلها لأغراض دينية، منها وضع مقارنة بين النصرانية والإسلام، كما فعل لودفيكو دي فارثيما Ludvico di Varthema الذي ألف كتاباً عنوانه (إتنياريو Itinario) ونشره عام 916هـ - 1510هـ. وكانت انتصارات البرتغاليين واكتشافهم رأس الرجاء الصالح عام 904هـ - 1498م دافعاً جعلهم يحاولون مهاجمة ديار الإسلام، مثل ما حاول أحد أمراءهم وهو الأميرال الفونسو دي اليوكيرك Albuquerque المتوفى عام 921هـ - 1515م الذي أبحر إلى البحر الأحمر من أجل أن يحتل المدينة المنورة. ويستولي على خزائن القبر النبوي.

2 - الهدف السياسي: كانت الدولة العثمانية تمثل تهديداً لدول أوروبا، وكناش أوروبا، ولكن ذلك التهديد زال في القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي، ومع هذا رأت تلك الدول إن من صالحها دراسة وضع البلاد العربية، التي تخضع للعثمانيين. خصوصاً منطقة مهد الإسلام، فتقاطر الرحالة الجواسيس إلى الحجاز، وكتبوا تقارير عن أوضاع البلاد والعباد، كما فعل الرحالة الأسباني دومينجو باديا ليلبخ Domingo Badia Y Lebich، الذي كان يعمل لصالح نابليون، وأصبحت رحلات الغربيين بمثابة توظيف قدراتهم لخدمة السياسة الغربية ضد الدولة العثمانية.

3 - الهدف الاقتصادي: تميز القرن الحادي عشر الهجري - السابع عشر الميلادي بالصراع بين البرتغاليين من جهة والبريطانيين وحلفائهم من جهة أخرى، فأخذت كل جهة تقيم علاقات مع بلدان المشرق العربي، وهي البلاد التي تتجج البين، أو يمر عبر أراضيها إلى أوروبا. ثم عمدت تلك الدول إلى إرسال الرحالة لأغراض تجارية،

مع بعض الدول الإسلامية، ثم تم تأسيس شركات تجارية غربية في سوريا ومصر، وأصبح لبريطانيا، على سبيل المثال، جالية ذات أهمية في حلب. وفي عام 1042هـ/ 1632م أنشئ كرسى اللغة العربية في جامعة كمبردج Cambridge، وبعد ذلك التاريخ بعشرين سنة طبع الكتاب المقدس بمهديه باللغة العربية. وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي تُرجم القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة الإنجليزية، وكذلك ثم الشيء نفسه لبعض الكتب الأدبية العربية مثل (ألف ليلة ليلة)، وتبادلت أوروبا وبعض دول المشرق السفراء منذ عام 1080هـ - 1669م، ومنذ ذلك الوقت أصبح الشرق والدول العربية على الخصوص محط أنظار دول الغرب وشعوبه.

والتطور المثير هو كون السفر من أوروبا إلى الهند، تاج المستعمرات البريطانية فيما بعد، أصبح ميسوراً عبر البلاد العربية، كما أن للدعوة السلفية التي ظهرت في نجد أهمية كبيرة، وخصوصاً ما ترتب عليها من نتائج سياسية بالغة الخطورة. ثم اندفاع نابليون بونابرت نحو الشرق وحملته على مصر عام 1213هـ - 1798م، كل هذا استقطب اهتمام الغربيين بالمنطقة.. وما عاد القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي يحط رحاله حتى أصبح السفر والترحال للبلاد العربية، ومنها جزيرة العرب، من الأمور المطلوبة للسياسة، والجاسوسية، والتبشير والسياحة.

لهذا نستطيع أن نُجمل أهداف الرحالة الغربيين إلى جزيرة العرب ومنها الحجاز فيما يلي:

1 - الهدف الديني: لا ريب أن حركة الاستشراق وحركة الكشوف الجغرافية خرجت أول ما خرجت تحت نظر الكنيسة وسمعتها. وكان الهدف الديني وراء إنشاء

العربية السعودية إعداد دراسة شاملة عن مدينة الطائف، من أجل تميمتها وتطويرها. فقام ثلاثة علماء في تخصصات مختلفة بإعداد تلك الدراسة، ونشرت في كتاب عام 1413هـ - 1992م. والثلاثة هم: هاينز غاوبه، ومحمد شرابي، وغونتر شقايرتز.

تتميز رحلات الغربيين إلى بلاد الجزيرة العربية ومدنها في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين - السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بكونها ذات طابع فردي، ويكتف أهدافها الغموض، وكانت في مجملها تتصف بالخطورة، ولكن نتائجها لا تخلو من الفائدة العلمية.

أما رحلات الغربيين في القرون اللاحقة فهي رحلات ذات طابع ديني/ تبشيري، أو ذات طابع عسكري، أو ذات سمة سياسية رسمية، أو جاءت لأغراض علمية واستكشافية. وفي العموم نظر الرحالة الغربيين إلى الأماكن التي زاروها من منظورهم الخاص، لذا أوردوا بعض الملاحظات التي قلما أثارت انتباه الرحالة العرب الذين زاروا الأماكن نفسها.

ولو بحثنا في سبب شغف الغربيين ببلادنا لوجدناه باختصار شديد يتلخص في كون القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي قد شهد اندفاع البرتغاليين بأساطيلهم إلى بحار العالم، ومنه طبعاً البحار المحيطة بالجزيرة العربية، مما أدى إلى نوع من المغامرة والصراع بين الدول الأوروبية. وكانت الدول الأوروبية في صراع سياسي واقتصادي وتجاري مع الدولة العثمانية التي تمثل المسلمين، فرغب بعض ساسة أوروبا ومثقفها معرفة المزيد عن بلاد الحجاز، الذي يُشكل واسطة العقد في الفكر الديني لدى الدولة العثمانية.

كل هذا دفع الدول الأوروبية إلى إقامة علاقات سياسية

فقدان بعضهم حياته، كل ذلك يجعلنا نحترم الجهود بصرف النظر عن تلك الأهداف التي جاؤوا من أجلها. ويقول د. عبدالله إبراهيم العسكر في محاضرة في نادي الطائف الأدبي في 1423 هـ ونشر موجزاً لها في جريدة الرياض: إن الناظر فيما كتبه الرحالة الغربيون عن الحجاز، يجد كمّاً هائلاً من المعلومات الثرية، والملاحظات الجيدة، والتحليل العميق لشؤون المعاش والحياة. والحق أن نتائج تلك الرحلات قد أثرت في الفكر العلمي حول تلك البلاد. وليس من المبالغة في شيء القول إن ما كُتب عن الحجاز، والأماكن الدينية فيه، يُعد من أكثر مما كتب عن أي جزء على وجه الأرض. بل إن ما كُتب عن مكة المكرمة والمدينة المنورة في كافة المجالات يربو مئات المرات على ما كُتب عن المدن الأخرى في الجزيرة العربية برمتها.

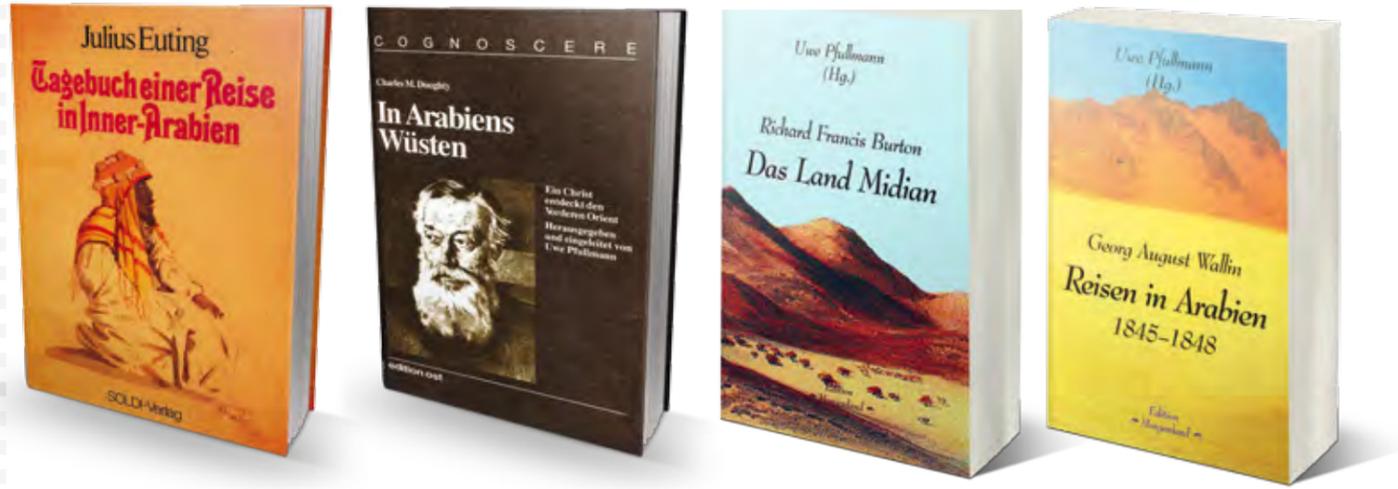
استغرقت عمليات سفر الغربيين وترحالهم في جزيرة العرب قرابة أربعة قرون. بدأت من نهاية القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي، وانتهت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري - العشرين الميلادي. أما ما بعد ذلك من رحلات فإنها تدخل في باب العمل الرسمي، إذ تحدها قيود ومواثيق واتفاقيات رسمية لا تدخل في باب الرحلات. مثل البعثة الاستكشافية العلمية بقيادة كونزك ريكمانز المتخصص في اللغات السامية، التي قصدت وسط جنوب الجزيرة العربية عام 1371هـ - 1951م بدعم حكومة المملكة العربية السعودية وموافقتها. ضمنت البعثة إلى جانب كونزك ريكمانز كلاً من: جاك ريكمانز المتخصص في التاريخ الحميري والسبئي، والحاج عبدالله فيليبي المؤرخ والسياسي المعروف، وفيليب ليبنز الخبير في تخطيط الرسوم وتصوير النقوش القديمة. أو مثل اللجنة العلمية التي أسندت لها حكومة المملكة

كانت لها أطماع في المنطقة، إذ أرسل القيصر الروسي، أولريخ جاسبر سيتزن، الذي قام برحلته إلى الجزيرة العربية، واستطاع أن يدخل مكة ليحصل على لقب حاج، وبعدها ذهب إلى اليمن وقتل هناك عام 1811.

وتستمر الرحلات مثل رحلة السير ريتشارد برتون عام 1853 الذي كلف بدراسة المنطقة الواقعة بين مسقط وبلاد الحجاز، وجيرالد ليتشمان عام 1909، وجون فيليبي الذي أسلم، وسماه الملك عبد العزيز آل سعود باسم عبد الله.

وهناك دوايت تشارلز الذي التحق بقافلة الحج عام 1876 ويُعد كتابه (رحلات إلى الصحراء العربية) من أفضل كتب أدب الرحلات لما تضمنه من مواد علمية مهمة، والليدي آن بلنت الإنكليزية وزوجها ويلفرد بلنت في رحلتها إلى الجزيرة العربية للبحث عن الخيول العربية الأصيلة وقد سجلت مشاهداتها في كتاب بعنوان (الحج إلى نجد مهد المنصر العربي) 1881 والإيطالي كارلو غوارماني الذي ركز دراسته على شراء الخيول العربية، ونشر كتاباً بعنوان (شمال نجد رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم) (1866). وجوليوس أوتغ الألماني الذي قام برحلته إلى الجزيرة العربية عام 1883. وحصل خلالها على آلاف النقوش الأرامية والنبطية واللحيانية ونشرها.

كانت لهؤلاء الرحالة إسهامات في التعريف بتاريخ الجزيرة العربية على الرغم من أن أكثرهم جاء لغايات سياسية بحتة، ولا شك في أن القيمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لتلك الرحلات لا تقدر بثمن، لأنها تؤرخ لحقبة زمنية اكتنفها الغموض، كما أن الأعمال التي قاموا بها وصبرهم على مناخ الجزيرة العربية، إضافة إلى فقدان الدولة الأمن والأمان كانت سبباً في



الحجاز في كتب الرحالة والمستشرقين

عشرة أشهر، من منتصف سنة 1230هـ/ 1814م إلى الربع الأول من سنة 1231هـ/ 1815م، وسجل كل ما شاهده، وكل ما عَن له عن تلك البلاد وأهلها، وأنماط حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. لبوركهارت أربعة كتب هي: (1) رحلات في بلاد الشام (2) رحلات في بلاد النوبة (3) ملاحظات على البدو الوهابيين (4) رحلات في شبه الجزيرة العربية. عَرَب الدكتور عبدالله العثيمين الكتاب الثالث. أما الكتاب الرابع فنقله إلى العربية الدكتوران: عبدالعزيز الهلابي وعبدالرحمن الشيخ.

وصل بوركهارت جدة تحت اسم مستعار هو إبراهيم ابن عبدالله الشامي ضمن قافلة من الحجاج النوبيين. يقول الكولونيل ليك Leake عن بوركهارت ومؤلفاته: «لقد قدم بوركهارت للجمعية الأفريقية في لندن أدق المعلومات عن الحجاز، خاصة عن مكة والمدينة، على نحو لم يصل أبداً إلى أوروبا قبل ذلك. لقد مكنته معرفته باللغة العربية وعادات المسلمين من الظهور بشخصية مسلم بنجاح كبير. لقد أقام في مكة طيلة موسم الحج وقام بأداء مناسك الحج دون أن يثير أدنى شك حول حقيقة شخصيته». قابل بوركهارت محمد علي باشا في الطائف، حيث كانت الجيوش المصرية تحارب، في جهات عدة، جيوش الدولة السعودية الأولى. ودون بوركهارت بشكل دقيق ملحوظاته عن الدعوة السلفية وأتباعها. قَدَّر بوركهارت الواقفين في صعيد عرفات بسبعين ألف حاج، يتكلمون أكثر من أربعين لغة.

زار جدة المغامر الألماني إدوارد رابيل Edward Ruppel عام 1831هـ/ 1831م، وهو يُعد من المستكشفين العظام الذين قدموا للعلم التاريخي الشيء الكثير، وذلك من خلال استكشافه للآثار في مصر وبلاد النوبة، والشام، والساحل الشرقي للبحر الأحمر، وسيناء وأثيوبيا، وكوردفان. وبعد عودته من رحلاته المتعددة، أمضى بقية حياته في مدينة فرانكفورت، وعكف على نشر مذكراته وأبحاثه التاريخية والأثرية والنباتية والحيوانية. يُعد توماس كيث Thomas Kieth أحد المغامرين

لبليخ إلى الحجاز متظاهراً بالإسلام، وسمى نفسه علي بك العباسي، وادعى أنه من سلالة بني العباس. يرجع أصل لبليخ إلى مدينة بلنسية الإسبانية. ولاشك أنه كان يعمل لصالح نابليون إمبراطور فرنسا. وصل لبليخ مكة المكرمة عام 1222هـ/ 1807م. كانت كتابات لبليخ مفعمة بالحيوية. وهو أول من نقل للغرب فكرة منظمة وصحيحة عن مناسك الحج، وعن مكة المكرمة، بل هو أول من حدد موقع مكة المكرمة تحديداً دقيقاً مستعيناً بأجهزة رصد فلكية. كما أنه الأوروبي الوحيد الذي تمكن من دخول جوف الكعبة، حيث شارك شريف مكة المكرمة الشريف غالب في غسل الكعبة.

يغلب على تقاريره عن الحجاز النزعة الروحية. ومن المهم الإشارة إلى أن لبليخ كان شاهد عيان على تقدم القوات السعودية إلى مكة المكرمة. وتسنى له مشاهدة الجيش السعودي وقائده الإمام سعود بن عبدالعزيز (1218 - 1229هـ/ 1803 - 1814م)، فوصفه ووصف حجاج نجد، ولاحظ حماسهم الديني، وبساطتهم، وقَدَّر عددهم بخمسة وأربعين ألفاً، وكان مأخوذاً بحسن أجسامهم، وعيونهم وأنوفهم المستقيمة. ولأن لبليخ يعمل لصالح فرنسا فقد دست له المخابرات البريطانية السم فضات سنة 1233هـ/ 1818م.

وفي عام 1224هـ/ 1809م زار مكة المكرمة أولريخ جاسبر سيتزن Ulrich Jasper Ceetzen، وهو من إحدى الإمارات الألمانية التي كانت تابعة لقيصر روسيا، ومن المتخصصين في اللغويات، وهو موسوعي الثقافة. كانت رحلته بدعم من قيصر روسيا. وكان يهدف من زيارة مكة أن يحمل لقب حاج، ليستفيد منه في مهماته القادمة في آسيا وأفريقيا لصالح المخابرات الروسية. وقد تمكن سيتزن من الحصول على اللقب، بعد مشاق عسيرة، منها خضوعه لامتحان في المسائل الدينية. وهكذا بعد انقضاء موسم الحج، غادر سيتزن الحجاز إلى اليمن.

زار الرحالة السويسري جون لويس بوركهارت Gohann Ludwing Burckhart مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وينبع، وتجول فيها مدة من الزمن تبلغ

لا تحصى. وصف وأولد مناسك الحج من دخول الحجاج مكة المكرمة حتى زيارتهم للمدينة المنورة. وهو قَدَّر عدد حجاج مصر، وسورية واليمن بأربعين ألف حاج. وفي عام 1643م زار مكة المكرمة ماثيو دي كاسترو Matheo de Castro وهو مطران كاثوليكي من أصول هندية. وظل سبب رحلته، وكيفية وصوله إلى مكة المكرمة. وتقديره الذي كتبه أسراراً لم يعرفها أحد حتى يومنا هذا. وفي سنة 1097هـ/ 1685م وصل إلى الحجاز جورج بيتس George Pitts، وهو بريطاني الأصل. وكان في بداية رحلته من أوروبا تعرض للأسر في البحر الأبيض المتوسط، وبيع لأحد المواطنين في الجزائر. وقد انتقل بيتس من سيد إلى آخر، فصحبه سيده الأخير إلى مكة المكرمة. وصف بيتس المسلمين ولباسهم وتدينهم كما شاهدهم في مكة المكرمة وفي عرفات. وزار بيتس مع سيده المدينة المنورة. وقد دون ذكرياته عن بلاد الحجاز في كتاب بعد أربعين سنة من وقوع الرحلة.

ولعل العالم الدنماركي كرستين نيبور Carsten Neibuhr الذي وصل إلى جدة في نهاية سنة 1176هـ/ 1762م مع فريق علمي كلفه إمبراطور الدانمارك فردريك الخامس بدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والجغرافية للحجاز. أقول لعل نيبور من أشهر الرحالة الجادين، وتعد كتاباته عن بلاد الحجاز رائدة في مجال الاستكشافات العلمية. وكان نيبور دقيقاً في ملحوظاته، كما هو الشأن في كل كتاباته. سجل نيبور معلومات كثيرة من مدونات ومدونات زملائه في الفريق العلمي. جاءت مكتشفاتهم وملحوظاتهم عن جزيرة العرب في مجلدين كبيرين. ونيبور أول من نقل خبر الدعوة السلفية إلى أوروبا، وهو أول من سماها بالوهابية. وقد قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخباراً لا تصح، مثل قوله: إن الشيخ محمد سافر إلى فارس لطلب العلم، وهو قول نشاز لا دليل عليه. مكث نيبور في جدة ستة أشهر على أمل أن يزور مكة المكرمة ووسط الجزيرة العربية.

وفي ظني أن رحلة دومينجو باديا لبليخ Domingo Badia Y Leyblich من أجمل الرحلات وأمتعتها. جاء

أسابيع ووصفها. وقال: إنها تضم 6000 أسرة، وتحدث عن شح المياه فيها، وشبه المسجد الحرام بالكوليزيوم Colloseum في روما، ووصف مناسك الحج والتطهر بماء زمزم، وتحدث عن المدينة المنورة وجدة، ووصف الحياة المعيشية فيهما، وأورد حكايات طريفة. وقدر عدد أسر جدة بخمسة مئة أسرة. ونشر عن رحلته كتابه إيتيناريو Itinario باللغة الإيطالية عام 1510م، ولقي كتابه بعد نشره رواجاً كبيراً، وتُرجم إلى عدة لغات أوروبية. ونقل الدكتور عبدالرحمن الشيخ رحلة فائهما، ونشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة الألف كتاب عام 1994م.

ومن الأخبار غير الموثقة عن مكة المكرمة، ما كتبه فنسنت لو بلان Vincent Le Blanc، وهو فرنسي من مدينة مرسيليا، في كتابه الموسوم (مسح عام للعالم). والكتاب عبارة عن رحلات وصفية يدعي صاحبها أنه زار معظم العالم المعروف في زمنه. ويقول: إنه شاهد الثيران تسحب الماء من بئر زمزم داخل المسجد الحرام.

وفي عام 1012هـ/ 1604م زار أول رحلة ألماني الحجاز وهو جون وايلد Johann Wild. وقد كان ممن أسر ثم بيع في سوق النخاسة في استانبول إلى تاجر من مصر، فأخذه التاجر معه إلى القاهرة حيث بيع للمرة الثانية لتاجر من فارس، الذي أخذه معه لأداء فريضة الحج. يقول جون وايلد: إن الحجاج الذين رافقهم عانوا في الطريق معاناة كبيرة، ومات منهم عدد عظيم، ونفق من الجمال أعداد

وفيما يلي عرض سريع لأهم الرحلات إلى الحجاز مرتبة حسب تاريخ وقوعها:

لا نستطيع أن نقرر على وجه الدقة تاريخ بداية وصول الرحالة الغربيين إلى بلاد الحجاز، وهناك على كل حال احتمال أن بعض البحارة الأوروبيين، وعلى وجه الخصوص البرتغاليين، قد وصلوا إلى ساحل البحار التي تحيط بالجزيرة العربية. هناك إشارات مقتضبة في أدبيات الرحلات الغربية إلى الجزيرة العربية لأن التبطان والرحالة كابوت john Cabot، الذي يقال إنه زار مكة المكرمة بين سنتي 881 - 896هـ/ 1476 - 1490م، وربما طاف سواحل البحر الأحمر الشرقية، ويُنسب إليه اعتقاده أن جزيرة العرب غير معروفة، لذا أطلق عليها اسم (الأرض الجديدة Newfoundland) وأعلن عن ضمها لملكات الملك هنري السابع. وكذلك البحار البرتغالي جريجوري كوادرا Gregeory da Quadra الذي صحب حجاج زبيد باليمن إلى مكة المكرمة في حوالي عام 906هـ/ 1500م وفي المدينة المنورة أصابت جريجوري لثة مشوية بعاطفة دينية، فأخذ يصيح بأعلى صوته شاتماً النبي صلى الله عليه وسلم.

ويُعد في طليعة الرحالة الغربيين الذين زاروا الحجاز الرحالة الإيطالي لودفيكو دي فارثيما Ludvico di Varthema. الذي 861 - 932 هـ/ 1456 - 1517م الذي تسمى بالحاج يونس، ورافق قافلة من حجاج الشام في سنة 909هـ/ 1503م، ومكث في مكة المكرمة عدة

مع رحلات الرحالة والمستشرقين الغربيين إلى الجزيرة العربية وخاصة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال أوقات الحج، يأتون تحت أسماء عربية مستعارة مخفين مسيحتهم، ويظهرون أنهم مسلمون، ويقومون بتدوين ما يشاهدونه ثم ينشر في كتب حين عودتهم إلى ديارهم.

وقد رصد الدكتور عبد الله العسكر جزءاً من انطباعاتهم بعد زيارة المدينة المقدسة في كتبهم. يحتوي كتاب أوغست رالي A. Ralli الموسوم: (المسيحيون في مكة Christains at Mecca) على عرض شيق لانطباعات رحلة أوروبيين زاروا هذه المدينة المقدسة بدءاً من سنة 909هـ/ 1503م وانتهاء بسنة 1312هـ/ 1894م. ومثله كتاب البرخت زيمة الموسوم (شبه الجزيرة العربية في كتابات الرحالة الغربيين في مئة عام: -1870 1770م) الذي يحوي مختصراً لبعض الرحالة الذين زاروا الحجاز، وكتبوا عن مدنه. ومما ذكره المؤلف إشارة مقتضبة عن زيارة الكابتن فيلشتيدت مدينة جدة عام 1247هـ/ 1831م.

والمرتزقة الذين شاركوا الحملة المصرية العثمانية معاركها في الحجاز. وكان توماس كيث يشغل رتبة ضابط في الفرقة الاسكتلندية، وهو من بقايا حملة نابليون على مصر. وكان توماس كيث خبيراً في إدارة المعارك، ويتصف بالذكاء وحسن التدبير، لهذا عينه طوسون باشا عام 1231هـ/1815م والياً على المدينة المنورة، عندما غادرها على رأس الجيش إلى نجد. وبهذا التعيين يكون توماس كيث أول أجنبي غير مسلم يتولى إمارة المدينة. ويُقال: إن كيث خَلَّف بعد وفاته مذكرات عن الحجاز، ولا يعرف أحد عنها شيئاً، وما وصلنا عنها قليل، ومنها يتضح مدى الشك في معلوماته.

ويضيف الدكتور العسكر، ومن أشهر الرحالة الخبير الفرنسي موريس تاميزية Maurice Tamisier الذي وصل الحجاز عام 1250هـ/1834م، وقد جاء مع الحملة المصرية كأمين سر ومساعد للطبيب شيرفو. وكان تاميزية يتصف بالذكاء ودقة الملاحظة، وقد كتب عن رحلته هذه كتاباً عنوانه: (رحلة إلى بلاد العرب Voyage en Arabie).

وتكمن أهمية رحلة تاميزية كون صاحبها سجل بشكل متسق وشمولي أحداث حملة محمد علي على الحجاز وعسير، وتحدث عن قضايا داخلية كثيرة. منها على سبيل المثال: وصف مدينة الطائف، التي قال عنها: إنها مدينة محزنة بسبب الدمار الذي أصابها، وذلك بسبب انتشار وباء الطاعون فيها، وهو داء قضى على عدد كبير من السكان، وكان تاميزية يكن إعجاباً شديداً للرقعة الخضراء التي تغطي معظم نواحي الطائف. وفي كتابه حديث شيق عن بيشة وأبي عريش، ثم حديث طويل وممتع عن عسير وتاريخها وصراعها مع محمد علي. وقد عرّب الدكتور محمد آل زلفنة كتاب تاميزية عن نص إنجليزي مترجم، ونشرهما في جزأين: الأول تحت عنوان (رحلة في بلاد العرب: الحملة المصرية على عسير 1249هـ/1934م) الرياض 1414هـ. والثاني تحت عنوان: (رحلة في بلاد العرب: الحجاز) الرياض 1421هـ.

ومن أغرب الشخصيات الغربية الذين زاروا مكة المكرمة شخصية الفرنسي ليون روش Leon Roches، الذي قضى ردها من الزمن مستشاراً للأمير الجزائري عبدالقادر، ثم تظاهر بالإسلام، وقرر مغادرة الجزائر بعد قصة حب فاشلة، وبعد نشوب معركة بين الجزائريين والجيش الفرنسي، لا يستطيع معها حمل السلاح ضد مواطنيه. وصل ليون روش مكة المكرمة في نهاية عام 1257هـ/1841م في زي حاج مسلم، وتسمى باسم عمر ابن عبدالله، ثم زار المدينة المنورة، وأعجب بالمسجد النبوي وفوائسه، والكتابات المذهبة على الجدران. ثم عاد إلى مكة المكرمة، وبقي فيها أسبوعين، غادر بعد ذلك إلى الطائف لمقابلة الشريف، الذي أكرم مثواه على أساس

أنه عميل سياسي لفرنسا لا أكثر، وبحلول موسم الحج ذهب إلى مكة المكرمة. وكانت تراوده فكرة التحول إلى الإسلام، لكنه بقي على دينه حتى وفاته. وفي جبل عرفات تعرف عليه بعض الجزائريين فصاحوا: (النصراني.. النصراني) وشعر أن نهايته قد اقتربت، وإذا ببعض الجنود يقبضون عليه، ويقيدونه، ثم يضعونه على ظهر جمل، وعرف أخيراً أن أولئك الجنود، هم من حرس الشريف، الذي بعثهم لتخليصه، ووضعه في أول سفينة ترسو في ميناء جدة. كتب روش مذكراته بعنوان: (اثان وتلاثون عاماً في الإسلام) وصدرت في جزأين، وبهنا الجزء الثاني الذي خصصه للحديث عن مهمته في الحجاز، وقد ادعى روش أنه ثالث نصراني يدخل مكة المكرمة بعد الأسباني دومينجو باديا لبلبخ Domingo Badia Y Lebich المعروف باسم علي بك العباسي سنة 1222هـ/1807م، والإنجليزي جون لويس بوركهارت Gohann Ludwig Burckhart 1229هـ/1814م.

ويأتي إلى الحجاز ملازم في الجيش الهندي ولكنه من إيرلندا هو ريتشارد بيرتون Richard Burton عام 1270هـ/1853م متنكراً في صورة حاج من الهند. كانت رحلة بيرتون إلى الديار المقدسة مدعومة من قبل الجمعية الجغرافية البريطانية، لغرض تقديم تقرير عن أحوال الحجاز والمنطقة الواقعة بينه وبين مسقط من كافة الوجوه. وكان الحجاز آنذاك يقع تحت سيطرة الدولة العثمانية. وكانت بريطانيا ترغب في معرفة المزيد عن الأماكن المقدسة لتستخدمها في صراعها السياسي والاقتصادي مع الدول العثمانية. ولكن لسوء الحظ أو لحسنه، فإن التقارير التي كتبها بيرتون، وشكلت كتاباً كبيراً، لم تكن ذات نفع كبير لحكومة بريطانيا، لأنها تقارير مشوشة وغير دقيقة من الناحية السياسية.

ومع هذا فقد رحبت أدبيات الرحلة الأوروبية سفراً جميلاً ونفعاً كبيراً. فقد استطاع بيرتون أن يكتشف بحيرة تنجانيقا. وترجم ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية، بل ترجم ثلاثين كتاباً من العربية والفارسية، ذلك أنه يتقن خمساً وعشرين لغة. وكان بيرتون متيماً بالشرق، وكان يرى أن تقوم الدول الأوروبية بنقل نظم وتراث الشرق. وكان يعتقد أن استيراد الشرق لنظم غربية أمر مضحك، وهو تخباً أن جهود الدولة العثمانية في الإصلاح بإصدار مجموعات قوانين وتنظيمات مستوحاة من الغرب، وهي المعروفة (بخط كلخانة) أنها لن تؤتي ثمارها المرجوة.

وصف بيرتون المدينة المنورة، وعادات السكان، والحرم النبوي، وكان يستعين بأبيات من القرآن الكريم، والحديث الشريف. ثم عرج على مكة ووصفها، ووصف مناسك الحج، وكان في وصفه لتلك المناسك يصدر عن احترام للإسلام وعن تدين. وقد ذكر بيرتون الدعوة السلفية وقال: إن رجالها يتطلعون إلى أوروبا للتحاليف معهم من أجل السيطرة على الحجاز. ولا نعلم مصدره في

هذه المعلومة، ولكنه يتمتع ببعيد نظر، ولهذا فقد صحت توقعاته، فقد تحالفت أشراف الحجاز فيما بعد مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية. ونقل الدكتور عبدالرحمن الشيخ رحلة بيرتون الممتعة إلى العربية بعنوان (رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز) ونشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ضمن سلسلة الألف كتاب عام 1994م في ثلاثة أجزاء.

وفي عام 1271هـ/1854م، وصل إلى الحجاز شارل ديبديه Charles Didier وأقام في جدة مدة، ثم غادرها إلى الطائف لمقابلة الشريف عبدالملك بن غالب الذي كان يقضي إجازته في قصره بالطائف. جاء ديبديه مبعوثاً سرياً من الحكومة الفرنسية لمعرفة مدى صلاحية الوجود العثماني في الحجاز، لذلك نراه يجتمع ويلتقي بأكبر رجالات الحكومة في الحجاز، وبتجار وبعض المبعوثين الأوروبيين، وخاصة القنصل البريطاني. كانت حصيلة الرحلة كتاباً كبيراً عنوانه صاحبه (إقامة في رحاب شريف مكة) وفي الكتاب وصف جغرافي وبشري لكل من جدة والطائف، وحديثاً عن الجغرافية الاجتماعية لهما. وفي الكتاب أيضاً حديث عن الحياة الاقتصادية في الطائف. وملاحظات عن السكان. وقام الدكتور محمد خير البقاعي بترجمة الرحلة بعنوان (رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي)، ونشرتها دار الفيصل الثقافية بالرياض عام 1422هـ/2002م.

وفي عام 1277هـ/1860م زار مكة المكرمة البارون مالترن Baron H. von Maltzan، وكان في ريعان شبابه بصحية حاج جزائري مدمن تعاطي الحشيش، واتفق مالترن معه أن يستخدم جوازه للدخول إلى مكة المكرمة مقابل كمية من الحشيش. وهذا ما حدث، واستطاع مالترن الوصول إلى مكة بجواز مرور مزيف، وبقي صاحب الجواز الأصلي في جدة لا يدرى من أمره شيئاً، وكان يعتقد أنه أدى فريضة الحج.

سكن مالترن في فندق صغير في جدة، وهي مدينة لم يرتح لها، وكانت ليلته في الفندق مزعجة، إذ جاور غرفة مليئة بالدراويش، الذين قضاوا ليلتهم في صراخ. لم تترك مكة المكرمة لدى مالترن أي انطباع إيجابي، وكان يشعر بعدم الراحة النفسية، وهو اعتبر الشعائر الإسلامية طقوساً مملة، ذات طابع جنوني. وشبه المسجد الحرام بقلعة الشياطين. وقد صاحب الحجيج في معظم مناسكهم، وبعد الانصراف من عرفات لم يكمل مالترن بقية النسك. لأنه سمع رجلين من الجزائري يتحدثان عنه، وعرفا أنه على دين النصرانية، لذا فضل مالترن الهروب إلى جدة، حيث ينتظره صاحب الجواز، وأعاد له جوازه وعليه رسم الدخول إلى مكة المكرمة.

جاء إلى مكة المكرمة الطبيب البريطاني هيرمان بكنيل Herman Bicknell في عام 1279هـ/1862م، كان

بكنيل يعمل جراحاً في مستشفى سانت بارتولوميو بلندن. وكان يؤمن أنه من صالح الحكومة البريطانية أن يلم الشعب البريطاني بالمعلومات الموثقة والواسعة عن الدين الإسلامي والمسلمين. ولن تأتي تلك المعرفة إلا عن طريق المشاركة في أكبر موسم يجمع المسلمين، وهو موسم الحج. لهذا تطوع الدكتور بكنيل بالقيام بالرحلة إلى مكة المكرمة، وتكر في صورة بريطاني مسلم، لذا لم يضطر لتغيير ملبسه. أنهى الدكتور بكنيل مناسك الحج، وأقام بمكة المكرمة، وقال إن المسجد الحرام يشبه القصر الملكي في باريس. ولم يذهب مع الحجاج الذين رافقهم إلى المدينة المنورة، بحجة أنه لا يستطيع مقاومة موجة الحر. وبعد عودته نشر مقالاً مطولاً عن الإسلام والمسلمين في جريدة التايمز عنوانه (الحج إلى مكة)، ووقعه باسمه الإسلامي المستعار: (الحاج محمد عبدالواحد) وتاريخ المقال هو 1862/8/25.

ويقول الدكتور العسكر، معظم الرحالة الغربيين الذين جاؤوا مناطق الجزيرة العربية وخاصة بلاد الحجاز عمدوا إلى إخفاء شخصياتهم الحقيقية، وتكروا خلف أسماء عربية، وأظهروا مهناً لا يعرفونها أصلاً، نستثني من أولئك نفرًا قليلاً، يأتي على رأسهم البريطاني تشارلز مونتاج داوتي Charles Montage Doughty وهو ليس فقط يعلن عن اسمه الحقيقي في معظم الأحيان، بل فوق هذا لم يأت للجزيرة لحساب دولة أوتريش دولة، لقد كان داوتي من المغامرين وحسب، كان رجلاً متدينًا، وإن قلت مأخوذاً بقصص العهد القديم لدرجة الذوبان فيها، فلن أتجاوز الحقيقة.

جاء إلى الجزيرة العربية يريد تحقيق أهدافه غير المعلنة، وهي أهداف لا تخرج عن رغبته في تلمس القصص الواردة في العهد القديم، ومعرفتها على الطبيعة، يريد أن يعرف مثلاً الأماكن التي ذكرت في التوراة مثل مدائن صالح، ومعرفة السكان الذين يقطنون تلك الأماكن. لهذا انضم إلى قافلة الحجاج الشامية وتسمى باسم خليل، وهذا لا يعني إخفاء اسمه الحقيقي، ولكنه من ضرورات السفر في البلاد العربية، وعندما وصلت القافلة إلى مدائن صالح تخلف داوتي، لأن قائد القافلة كان على علم بديانة داوتي وشخصيته الحقيقية، ولهذا رفض مواصلة داوتي السفر إلى المدينة المنورة ثم مكة المكرمة، وصل داوتي مدائن صالح نهاية شهر نوفمبر عام 1293هـ - 1876م، وبقي فيها مدة ينتظر عودة القافلة. فقام بدراسة المنطقة واستنسخ معظم الكتابات والنقوش.

لقد أخذ داوتي يجوب الجزيرة من شمالها مروراً بوسطها ثم منتهياً بغربها الشمالي، وكتابه الموسوم (الصحراء العربية Deserta Arabia من أكثر الكتب نفعاً، ومن أكثرها نقلاً للقصص والحكايات التي سمعها، والمعلومات التي أوردها عن شعب الجزيرة معلومات قيمة، وخاصة عن الدولة السعودية الثانية، وهو من أصدق

الرحالة الذين وصفوا طبيعة العلاقة بين القبائل العربية في زمن الرحلة. ولأن داوتي جيولوجي فقد أثر عليه هذا التخصص، لذا فانه لم يجد ما يقوله عن جغرافية الجزيرة، ولكنه كان مأخوذاً بطبيعة البدو، ومحباً للبدو، فوصفهم أدق ما يكون الوصف، في كل مناحي حياتهم العامة والشخصية، ربما لم يصادف أحد من التعاسة، وشظف العيش، وقساوة الرحلة كما صادفها داوتي، وهو يقول: «لقد عشت في الجزيرة العربية يوماً سعيداً واحداً فقط، أما بقية الأيام فكانت كلها سيئة بسبب تعصب الناس».

كانت رحلة الإنجليزي جون كين Gohn Fryer Keane رحلة ذات عبق روحي، ولا غرو في ذلك، فهو ابن قسيس، وترى منذ شبابه لدى المسلمين، وقد ساعدته تسع سنوات قضاها عاملاً في البحرية الهندية على التعرف الكافي على الدين الإسلامي، ومن ثم جاءت الفرصة عندما أبحرت سفينته إلى الحجاز، فرافق أميراً هندياً وقضى عدة أسابيع في مكة المكرمة، التي وصلها عام 1294هـ/1877م.

أحب جو كين مكة المكرمة لدرجة حسب نفسه من أهلها، وقال: إن سحنته الأوروبية لم تثر اهتمام الناس أو فضولهم، ذلك أن الحجيج من كل صوب ولون، وشبه جمع الناس المختلفين بشخصيات متحف مدام توسو، ووصف كين منظر طلاب المدرسة وهم يجلدون على أقدامهم، وقال: إن كل مجموعة تضم خمسة تلاميذ يتلقون هذا العقاب دفعة واحدة، ووقع له موقف طريف، هذا ملخصه: يقول كين: «إنه يحب مكة المكرمة، ومعجب بالإسلام، ولكن أهل مكة لا يستحقون الحب، فأغلبهم شحاذون، يطلبون البخشيش بسبب أو بغيره، وحدث أن مر يوماً وهو مرتد الملابس العربية الفضفاضة، ويعتمر العمامة أن تقدم له صبي وصاح بدون سبب: «انظروا إلى هذا النصراني» فما كان من أحد المتسولين إلا أن تقدم له وطلب الإفصاح عن هويته، فأخذه كين ورماه أرضاً، ثم تكاثر الناس عليه، فاضطر أن يختطف طفلاً ويجعله وافيًا له من الحجارة التي ترمى عليه، وأسرع إلى مركز الشرطة، حيث شرح لهم قصته، وادعى الإسلام، فتلقى الحماية اللازمة.

لم تكن تلك الحادثة هي آخر معاناة كين، فقد حدث له في الطريق إلى المدينة المنورة قصة كادت تودي بحياته، لما رأى معالم المدينة المنورة تذكر مدينة القسطنطينية، لكنه مثل بيرتون، لم يعجبه طراز ولا ألوان المسجد النبوي، وقال عنهما: إنهما بهرجة لا تتم عن ذوق سليم، كتب كين مذكراته وذكرياته في كتاب يتسم بالذوق الأدبي الرفيع أحياناً والوضيح أحياناً أخرى.

ليس من الرحالة الغربيين الذين أقاموا بالحجاز أو بمكة من يدعي معرفتهما مثل ما يعرفهما الرحالة الهولندي كريستان هورخرونية Snouk Horgronje فقد قضى

فيهما أكثر من سنة، عام 1303هـ - 1885م. هورخرونية من المتخصصين في اللغات السامية، وأطروحت للدكتوراه عن أصول الحج، ومن عجائب طرقه للحصول على المعلومات هي الارتباط بزيجة في البلد الذي يقيم فيه، لهذا تزوج في مكة المكرمة امرأة من جاوة، وعن طريقها استطاع معرفة معلومات عن المجتمع وعاداته، لا يمكن الوصول إلى معرفتها من دون تلك الزيجة، مثل وصف الزواج في مكة، ووصف العروس، بل أخذ صورة شمسية لها، وليس من المستبعد أن زواجه من سيدة جاوية هو لمعرفة المزيد عن الجالية الجاوية في الحجاز، ولمعرفة ارتباطهم بإندونيسيا التي خضعت للاستعمار الهولندي في ذلك الوقت، اهتم هورخرونية بدراسة العادات في الحجاز، خاصة ظاهرة الزار، ونظراً للتنافس الغربي، فقد قام القنصل الفرنسي في جدة بتسريب سر وجوده في مكة المكرمة، لذا سارع هورخرونية إلى تركها.

ألف هورخرونية كتاب (صفحات من تاريخ مكة المكرمة) وهو كتاب عظيم الشأن، ويعد بحق مصدراً لمجمل حالة مكة المكرمة في القرن الثالث عشر الهجري - القرن التاسع عشر الميلادي، خاصة ما يتعلق بالنواحي الإثنوغرافية، ولا نعدو الحقيقة عندما نقول: إنه لم يؤلف كتاب عن مكة المكرمة يصف ماهي عليه في القرن الثالث عشر الهجري مثل كتاب هورخرونية، ولا نظن أن أي باحث في تاريخ مكة المكرمة الحديث يستطيع أن يتجاوز. وتُعد زيارة المصور الفرنسي المحترف جري في كورتلمون Gervais Courtellmont إلى مكة المكرمة أول زيارة من نوعها، شجعه عليها أصدقاؤه الجزائريون، لكي يتعرف أكثر على سلوك المسلمين وعاداتهم.

وصل كورتلمون مكة المكرمة عام 1321هـ - 1894م من الجزائر، أخذ صاحبنا عدة صور لمكة المكرمة والبيت الحرام بلغ عددها 34 صورة. ووصف مكة وسكانها، وقال: إن الإسلام دين عظيم وبسيط، ولكنه لا يملك الجرأة الكافية لاعتقائه، وقال: إنه سمع حكاية منشرة بين السكان مفادها أن من يدفن في مكة المكرمة أو المدينة المنورة يذهب إلى الجنة.

أما الحاج عبدالله وليامسون Williamson فهو بحق مسلم، وحج حجته الأولى عام 1313هـ/1895م، وليامسون بريطاني مغامر هرب في مقتبل عمره إلى كاليفورنيا، ثم انضم إلى جماعة المتمردين في الفلبين، وبينما كان يعمل شرطياً في عدن، اعتنق الإسلام، ذهب بعد ذلك إلى العراق حيث قضى معظم سنوات عمره، ووظف خبرته لصالح شركة النفط البريطانية، كتب رستانتون هوب قصة حياة وليامسون في كتاب عنوانه: (الهارب إلى الله)، وهي قصة من أجمل قصص المغامرة، وقد ظهر للكتاب ترجمة عربية اطلعت عليها.



الأفكار وسطوتها



د. أمير تاج السر

كاتب وروائي سوداني

«يبقى للكتابة غير الخاضعة لجماليات متعددة، أو مناهج علمية، بوصفها صناعة، ومن الواجب تطويرها، يبقى لها عشاق عديدون، راضون بما يقرأونه»

الأعوام الأخيرة، تزداد أهمية هذه الأبواب، وتصبح عن جدارة، مطلوبة من أجل مواصلة القراءة أم لا؟ وقد قرأت في مراجعات كثيرة لقراء الروايات على الإنترنت، من يتحدث عن رواية، فيقول: لم تعجبني بدايتها، فلم أكملها، أو من يقول: منذ السطر الأول وأنا منهمك في هذه الرواية، لم أستطع تركها.

هذا إحساس حقيقي، وينبغي أن يحسه كل قارئ يقرأ بخبرة وإدراك، أن يجره المدخل إلى ما بعده، أو يطرده، فلا يعود إلى هذا النص مرة أخرى، حتى لو أشاد به آخرون، وهذا ما يجعل بعض المداخل وليست كلها، تخضع لاختلاف الأذواق عند القراء، ذلك الاختلاف الذي طالما تحدثت عنه، وتحدثت عنه غيري كثيرون.

ولعل البداية الجامدة التي تتكون من حوار صلد بين اثنين، أو مشهد باهت، لا يحرك المخيلة، من تلك المداخل الطاردة، بعكس البداية الشعرية، الموحية، التي تشد الفضول لمعرفة ما وراءها.

لا يمكن أن تجد قارئاً نشطاً في الركن بين صفحات كتاب ما، وبدايته مثلاً في شكل حوار يتبادل فيه اثنان التحية، ويسألان عن أحوال الأبناء والأهل، وهكذا..

وستجد مئة قارئاً آخرين، يخبون خبأً في السكة التي تصف بدايتها مثلاً: مكاناً جيداً، وملائماً لوقوع حدث، وشخصاً عالقيين في كارثة، ولا يجدون الحل، وطائفة بدائية، تمشي بكل تقاليد وأفكارها، في عالم متحضر، وأيضاً تلك

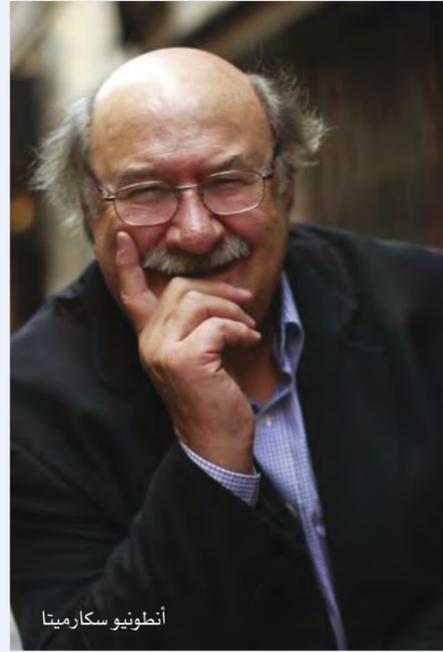
البدايات التي تشبه مداخل الأشرطة السينمائية، وتكون مشبعة بالغموض، وتحتاج لمن يسعى لمحاولة اكتشافها بالخطوات نفسها التي يسعى بها شخصو القصة.

من المؤكد، أن التركيز على البداية، لا يأتي هكذا مصادفة، وإنما بعد تدريب طويل على إيجاد بداية جيدة، وغير تقليدية، وأنا شخصياً أعدّها العقبة الكبرى التي تواجهني، حين أكتب، ويمكن بسهولة أن يضيع مني نص، لأن بدايته لم أحسها ترتقي لمستوى ملائم، وأعتقد أن غابرييل ماركيز نوه مرة إلى إيمانه بالبدايات الناجحة وغير الناجحة، وأنه أيضاً يهتم بها، وإن لم يجدها لا يكتب النص، ولذلك أعدُّ ماركيز من أكثر الكتاب الذين صنعوا مداخل ناجحة، ومشجعة لإكمال نصوصهم.

ما زلت أذكر المدخل الرائع لرواية "مئة عام من العزلة"، حين يأتي الفجري ميكليديس إلى ماكوندو ليري الناس الجليد، وكان في الواقع عائد من رحلة الموت، فقد مات منذ مدة لكنه عاد،

بداية مثل هذه لا تترك الخيال بليداً، ونائماً، لكنها توقظه وتشتله، وتجعله يلهث ليعرف ماذا سيحدث، في تلك البلدة المدهشة ماكوندو.

"الحب في زمن الكوليرا" أيضاً، بدأت بانتحار لاجئ مسن من جزر الأنديز، وكان الغرض أن يظهر الطبيب، صديق المنتحر، لأن القصة تبدأ من بيته، وتنتهي في بيته، قصة حب لورينثو داسا لأرملته، تستمر أكثر من



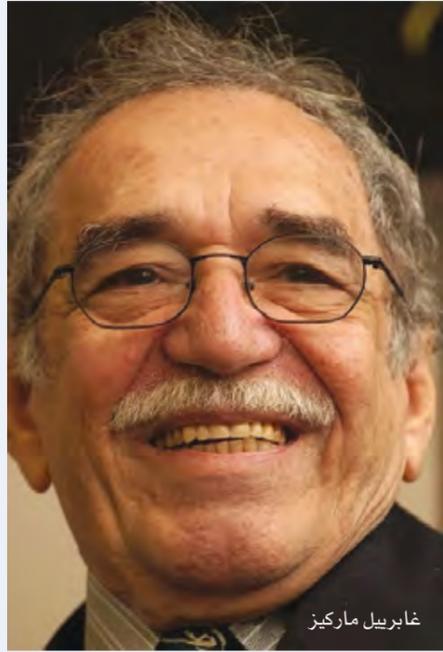
أنطونيو سكارميتا

سبعين عاماً.

أيضاً من المداخل الناجحة، ما نجده في روايات مثل: "ليلة لشبونة" لأريك ماريا، و"شتاء شيلي" لأنطونيو مولينا، و"ساعي بريد نيرودا" لأنطونيو سكارميتا، و"أغنية أخيل" لمادلين ميلر، ومعظم ما كتبه أمين معلوف، وصبري موسى، وبهاء طاهر، وغيرهم، وتوجد بالطبع تلك البدايات المشلولة التي يمكن أن تظهر في كتابات أي أديب، مهما بلغت مهارته وشهرته، ولدي أمثلة كثيرة، تركت فيها النصوص ولم أكملها.

أعتقد أنه ومع تنامي اتجاهات تدريس الكتابة الإبداعية، في ورش مختصرة لعدة أيام، أو كبيرة تمتد لأشهر، تصبح الفرصة أكبر للأجيال اللاحقة في صناعة نصوص قليلة العيوب أو خالية من العيوب تقريباً. الورشة الإبداعية يشرف عليها في العادة كتاب لهم خبرة ودراية، ومستعدون لتقديم خدمات للآخرين بصبر، ويحضرها شباب مبدعون، لكنهم بحاجة لأضواء تهديهم إلى الطريق، وأيضاً مستعدون للاستيعاب، وتطوير ما لديهم. التعليم هنا ليس حصصاً تلقى، وكتباً يتم حفظ موادها، وامتحانات تجري بعد ذلك. إنه في الواقع نقاش مفتوح بين المعلم والمتعلم، وبينهما وآخرون يحضرون الورشة نفسها، ويمكن أن يدلوا بكلمة تكون لها فائدتها.

أذكر أنني حضرت مرة ورشة للكتابة، وكان على المشاركين كتابة نصوص، هي الفصول الأولى لروايات، تتم مناقشتها مع المشرفين، أو قصصاً قصيرة مكتملة، وقد كانت الورشة في رأيي ناجحة جداً، حيث التزم



غابرييل ماركيز

الجميع بلائحتها، وتعذلت فيها النصوص المرتبكة، لتصبح أكثر ثباتاً.

كان ثمة نص يبدأ بحوار طويل بين امرأتين، وكان خائباً من أي نكهة جمالية، ولا يستطيع القارئ أن يفهم لم يجري الحوار أصلاً؟، وحين تعذلت بداية النص، ووصف المكان، والحدث الذي سيجري فيه بعد ذلك، أحسنا جميعاً أن باب النص، تلون بألوان كثيرة جاذبة، وتهدى لاستقبال القراء.

نص آخر ابتدأ بوصف كلاسيكي للشمس التي في (كبد) السماء، والضرع التي جف منها اللبن، والرجل الذي (لم ينبس بنت شفة)، وكثير جداً من تلك العبارات التقليدية الضارة بالإبداع في الوقت الحالي، ثم لينظف من تلك العتاقة، ويزود بأوصاف حديثة غير مطروقة كثيرة، وأيضاً يصبح الباب وردياً، وجاهزاً للزوار.

بالطبع وبعد كل ما ذكرته، يبقى للكتابة غير الخاضعة لجماليات متعددة، أو مناهج علمية، بوصفها صناعة، ومن الواجب تطويرها، يبقى لها عشاق عديدون، راضون بما يقرأونه، وأيضاً كتاب لن يبرحوا المكان الذي هم فيه، عن اقتناع تام بأنهم يقدمون إبداعاً متميزاً، وهكذا تصبح الآراء المختلفة في شأن الكتابة، في النهاية، آراء شخصية من حق كل من يكتب أن يدلي بها، ومن حق كل من يقرأ أن لا تقنعه.



أمين معلوف

«لا يمكن أن تجد قارئاً نشطاً في الركن بين صفحات كتاب ما، وبدايته مثلاً في شكل حوار يتبادل فيه اثنان التحية، ويسألان عن أحوال الأبناء والأهل»

«أعتقد أنه ومع تنامي اتجاهات تدريس الكتابة الإبداعية، في ورش مختصرة لعدة أيام، أو كبيرة تمتد لأشهر، تصبح الفرصة أكبر للأجيال اللاحقة في صناعة نصوص قليلة العيوب أو خالية من العيوب تقريباً»



التفاؤل



د. وليد فتحي
جدة

نولد به أطفالاً.. فهو من طبيعة فطرة الإنسان، ولكنه يضعف ويقوى، فهو يُعلم كما يُعلم نقيضه، بناءً على خبراتنا ونمط تنشئتنا، فمن تأصل فيه وأصبح من طبيعته تغيرت نظرته لنفسه وللدنيا من حوله، فتفجرت طاقات الحياة الكامنة الإيجابية فيه، تدعوه وتعيّنه على العمل والصبر والمثابرة والإنجاز، وتمنحه السعادة والصحة الجسدية والعقلية والنفسية، وهذا ما تثبته الأبحاث والدراسات على الإنسان، كل على قدر ما آمن به ورأى الدنيا بمنظاره..

تعرف منظمة الصحة العالمية التفاؤل بأنه عملية نفسية إرادية تولد أفكار الرضا ومشاعره والتحمل والأمل والثقة وتبعد أفكار اليأس ومشاعره والانهازامية والعجز. ويعرفه الطبيب الباحث Dr. Martin Seligman مؤسس علم النفس الإيجابي بأنه الطبع ذي التوقعات الإيجابية الذي يميل إلى إظهار المشاعر الإيجابية مثل الحماس والإثارة، وينطلق من الجانب المشرق وصوغها في خطة وتنظيم وآلية تنفيذ والانطلاق من ثم في تنفيذها. إنه منطلق التفكير الدائم بإمكانات التوصل إلى حلول عملية وممكنة لأعقد المشكلات من خلال بحث أفكار جديدة ومبادرات جريئة تفتش عن المنافذ في المعوقات وتحرك دوماً إلى الأحسن مزودة بالأمل والعزم. وليس هناك حد فاصل بين التفاؤل والتشاؤم، حيث يتوزع الناس بين أقصى التفاؤل وأقصى التشاؤم، والغالبية في الوسط.

لقد جعل الله الفطرة هي التفاؤل، فالأطفال يولدون مفعمين بالتفاؤل بطاقة الحياة الموجهة للنماء، التي أودعها الله الإنسان، ويتعلم الأطفال التفاؤل أو التشاؤم من خلال علاقاتهم بالديهم والأم خصوصاً، فإما أن تتأصل الفطرة فيهم وتقوى، وإما أن تنتكس وتضعف. وللأسف فإن الدراسات تبين أن 70% إلى 80% مما نحدث به أنفسنا سلبية، فما أن يبلغ الإنسان منا الثامنة عشر من عمره إلا وقد تلقى من 50 إلى 150 ألف رسالة سلبية مقابل 400 إلى 600 رسالة إيجابية.

ولكن كيف يؤثر التفاؤل إيجابياً على الإنسان؟ المتفائلون تُفعل لديهم آليات التحفيز والتعزيز الذاتي، مما يمددهم بالقوة والقدرة على مواجهة التحديات، ويستيقظ فيهم آلية الإدراك الانتقائي "Selective Perception" أي القدرة على رؤية الفرص وأوجه الاقتدار الذاتي والتوفيق بينهما. أما المتشاؤمون فإنهم يبالبون في التنكر لإيجابيات الحياة ولقدراتهم وإمكاناتهم، فتمر الفرص من أمامهم فلا يرونها لانشغالهم بالتركيز على السلبيات

وأوجه القصور لديهم.

تقول هيلين كيلر العمياء الصماء البكماء، التي أذهلت العالم بإنجازاتها، وحققت المستحيل بنطقها بل وتعلمها خمس لغات والحصول على الدكتوراه الجامعية، تقول: "كلما أغلق باب فتح باب آخر، ولكننا نكون غالباً مشغولين بالباب الذي أغلق".

بل يميل المتفائلون أصحاب السمات الإيجابية بتعميم هذه الصفات على الآخرين، فينجذب الناس إليهم ويرتاحون لهم، وبذلك يكتسبون الكثير من العلاقات الإيجابية مما يعزز الثقة والتفاؤل لديهم، ويزودهم التفاؤل بطاقة العمل لمدة أطول وبذل جهد أكبر، انطلاقاً من ثقتهم بجودى العمل لتحقيق نتائج طيبة، وبذلك يعظمون فرص نجاحهم.

ولذلك فإن التفاؤل يمهّد السبيل لإطلاق الطاقات والقدرات، والتشاؤم يعطلها في غياب القناعة الراسخة بالقدرة على تحقيق الغاية، وينتهي بعدم تحقيقها ولو كان المتشاؤم الأكثر قدرة وموهبة.

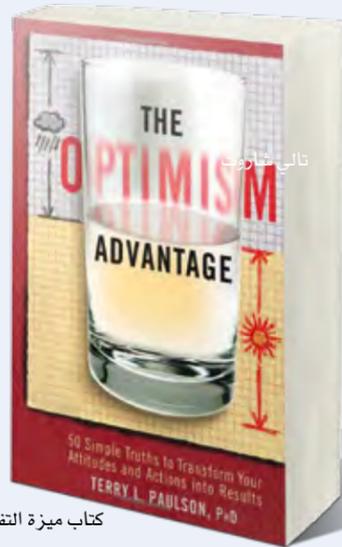
يصحح "Dr. Terry Paulson" في كتابه (ميزة التفاؤل) يصحح مفهوم التفاؤل ليؤكد أن الشخص المتفائل الحقيقي هو الذي يكسب توجهه الإيجابي عن جدارة نتيجة سجل حافل من الإنجازات والتغلب على العقبات الحقيقية.

المتفائل الحقيقي هو الذي يقوم بالعمل بأحسن طرقه، وتزداد ثقته بالتغلب على العقبات الواحدة تلو الأخرى، وينتقل من نصر إلى آخر. وهو بذلك يحسن تقدير الواقع بما فيه من إيجابيات وسلبيات، ولا يعيش في الأوهام الوردية ولا التفاؤل والأمل الساذج السلبي الذي لا يرافقه بذل الجهد والعمل والصبر، ليصبح صورة من صور العجز الخفي المغلف بمعاني التوكل والاعتماد على الله زيفاً وادعاءً.

المتفائل يتقبل واقع الموضوع بمنظور تفكير إيجابي، وليس استسلاماً قديماً، وباستيعابه لهذا الواقع فإن



دكتور مارتن سليجمان



كتاب ميزة التفاؤل

تأثير المحنة عليه سيكون أقل سلبية، بل يعمل على أن يحول المحنة إلى فرصة ومنحة بإعطائه المحنة معنى يتيح التعامل الإيجابي معها، ولا يدفن رأسه في الرمال متجاهلاً المحاذير والأخطار.

إنه تفاؤل مستدير ليس بساذج، فهو لا يُفْرِط في التقدير الإيجابي وتقليل أهمية الأخطار، سواء كانت صحية أو مهنية أو عامة، وينخرط في تقديرات غير واقعية، قد تؤدي إلى المهالك بعدم اتخاذ الحيطة الكافية لانتقاء الأخطار.

نشرت مجلة العلوم النفسية في فبراير 2013م نتائج دراسة أثبتت وجود علاقة بين التفكير الإيجابي في الحياة والحالة الصحية الجيدة، لتؤكد الدراسة أن التفاؤل هو مفتاح السحر للصحة، تقول الباحثة في كلية الطب بجامعة هارفارد بوليا بويم: إن الصحة الجيدة لا تقتصر فقط على غياب الأمراض، بل على الطريقة التي ننظر فيها إلى الحياة ومتغيراتها، فالتفاؤل والسعادة والمرح يمكن أن تحمي القلب والشرايين من الأمراض، ويمكن أن تقلل من احتمالية الإصابة بانوبات القلبية والجلطات الدماغية، بل يتصرف المتفائلون غالباً بطريقة صحية، فيمارسون الرياضة ويحرصون على اتباع حياة صحية في المأكّل والمشرب والنوم بعيداً عن العادات غير الصحية.

وفي دراسة هي الأكبر من نوعها تناولت تأثير التفكير الإيجابي على الصحة من جامعة بيتسبره، وتم متابعة 97 ألف امرأة على مدى ثمانية أعوام، وتصنيف المشاركين بناءً على اختبار إلى متفائلين أو متشاؤمين وجد أن المتفائلين يتمتعون بصحة أفضل من المتشاؤمين، وتقل احتمالية إصابتهم بأمراض القلب إلى 9%، وتقل احتمالية وفاتهم لأي سبب بمعدل 14%، وهم أقل عرضة للاكتئاب والتدخين، وينالون قسطاً أوفر من التعليم، ويتلقون دخلاً أكبر، كما أنهم أكثر تديناً، وقد نشرت الدراسة في دورية جمعية القلب الأمريكية.

وفي أوسع دراسة من نوعها معرفة العلاقة بين التفكير

الإيجابي واحتمالات الإصابة بالجلطات الدماغية تمت متابعة الحالة الصحية لـ 6,044 رجلاً وامرأة لم يسبق لأي منهم أن أصيب بجلطة، ووضع المشرفون على الدراسة سلماً للتفاؤل من 16 درجة، ومع كل درجة يحققها المشارك تقل احتمالات إصابته بالجلطة بنسبة 9% وفي ختام الدراسة تؤكد بما لا يقبل الشك العلاقة بين التفاؤل وانخفاض أخطار الإصابة بالجلطات الدماغية وبين التشاؤم وازدياد هذه الأخطار.

وفي دراسة "مبادرة الصحة للنساء" والتي تتبعت أكثر من 100 ألف امرأة تتراوح أعمارهن ما بين 50 عاماً وأكثر منذ 1994م، وجد أن النساء اللاتي يتمتعن بالتفاؤل أقل احتمالاً للوفاة بنسبة 14% لأي سبب مقارنة بالمتشاؤمات، وأقل احتمالاً بنسبة 30% للوفيات من أمراض القلب بعد 8 سنوات من المتابعة في هذه الدراسة، وهن كذلك أقل احتمالاً للإصابة بارتفاع ضغط الدم والتدخين.

وفي دراسة نشرت عام 2010م بعنوان "التفاؤل وتأثيره على الصحة الجسدية والعقلية" في مجلة "Clinical Practice & Epidemiology in Mental Health" أكد التقرير أنه مما لا شك فيه أن التفاؤل (وهو سلوك عقلي) يؤثر بقوة على الصحة الجسدية والعقلية، وأكد ذلك القدرة على التأقلم مع تحديات العمل والمتطلبات الاجتماعية اليومية.

كما تؤكد نتائج دراسة سيجرستروم وزملائها 1998م والتي أجريت على طلاب الجامعة: أن التفاؤل قد ارتبط إيجابياً بارتفاع عدد خلايا تي المساعدة "Helper T cells" والخلايا الطبيعية القاتلة "Natural Killer Cells" أي زيادة قوة جهاز المناعة في الجسم للطلاب المتفائلين عن الطلاب المتشاؤمين زيادة كبيرة جداً.

وفي دراسة أجريت عام 2012م على 243 شخصاً من الممرنين الذين تجاوزوا المئة بهدف الوقوف على أسباب طول أعمارهم تبين كما يقول الباحث د. نير برازيلاي



تيري بولسون

"Dr. Nir Barzilai" أنهم يتميزون بصفات تعكس نظرتهم ومواقفهم الإيجابية المتفائلة للحياة.

استطاعت تالي شاروت "Tali Sharot" من كلية جامعة لندن لعلوم الأعصاب "University College of London Neurosciences" وزملائها من جامعة نيويورك تحديد الدائرة العصبية والمنطقة في الدماغ المسؤولة عن التفاؤل وهما في القشرة الأمامية "Prefrontal Cortex" و "Amygdala" وذلك بأخذ صور بواسطة جهاز الرنين المغناطيسي الوظيفي لـ 15 شخصاً تحت الدراسة، بينما كانوا يفكرون باحتمالات المستقبل.

وهذه المنطقة من الدماغ هي مركز التوحيد وتجميع وظائف الأجزاء الأخرى من الدماغ، وهو الجزء الوحيد من الدماغ الذي يستطيع أن يتحكم في العواطف وكذلك التصرفات والسلوك، ويساعد على التركيز على الهدف والغاية التي نريد، والأفكار الإيجابية التفاؤلية تعزز وتقوي التوصيلات العصبية في هذه المنطقة، فيزيد من فعالية الدماغ وقدرته على التفكير والتحليل والتركيز، مما يؤدي إلى إنتاج أفكار مبهجة وتعزيز النظرة التفاؤلية الإيجابية في الإنسان. والعكس صحيح، فالأفكار التشاؤمية تبطل من عمل الدماغ وقدرته على التفكير وإيجاد الحلول المبتكرة والإبداعية.

وفي دراسة قام بها بيتر شولن "Peter Schulman" في أشهر كلية إدارة في العالم "Wharton School" ونشرت في مجلة "Journal of Personal Selling and Sale Management" وجد أن المتفائلين استطاعوا بيع 35% أكثر من المتشاؤمين.

وفي كتابه المعروف "The Brain That Changes Itself" أو "الدماغ الذي يغير نفسه" يؤكد المؤلف وعالم النفس المشهور "Norman Doidge, M.D." أن الدماغ لديه القدرة أن يعيد طريقة تنظيمه، بل تكوينه وإنتاج اتصالات عصبية جديدة على قدر تدريبه بالتكرار وبالأنشطة



حاًء .. وباء ...

أسافرُ خلف السهولِ إلى ضيعةِ العشقِ
مرّت عليّ بلادٌ من العشبِ:
سبعُ يَضْمَدُ جرحَ الغزالِ
نعاجُ تُرضعُ طفلَ الذئبِ ...
وأخرى من النورِ فيها:
صلاةٌ، ونخلٌ،
بيارقُ خُضْرُ،
دراويشُ أحيوا إلى الفجرِ عُرْسَ الصفاءِ

شعر

عبد الواحد جاد سيد أحمد الرزيقي

بكاءٌ شفيفٌ يساور غاري
على عتبِ الوحي من جانب الطودِ
ينسابُ في حُضنِ بحري الضياءِ
من الورْدِ والآسِ سوف أُعتقُ كأسِي،
يمرُّ على وجه يعقوبَ ريحي
فيعرفُ أنّي هنالك ما زلتُ حيًّا
وما زالت الأَرْضُ حُبلى بمائي وطيني
وحين يفاجئها الطلْقُ يساقطُ النورُ بالبشرِ
فوق الحقولِ
فتنجب للناسِ حاءَ وباءَ

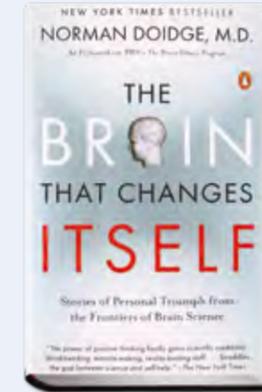
تَشَقُّ العَصَافِيرُ بَحَرَ السُكُونِ بصوتِ
شَجِيٍّ
وتَنْفُضُ عن أعينِ الربيعِ سِتْرَ النُعَاسِ
أهشُّ قَطِيعَ الأمانِي أمامي،
أمرُّ إلى الغيظِ خلفَ الظباءِ اللواتي
يُرتلنُ لي رحلةَ الوجدِ
في قفرتينِ إلى جنةِ الحالمينِ بطيبِ
اللقاءِ

أعبيءُ من ضحكةِ الصبحِ جُبري،
وأثرُ فوقَ الجداولِ عطري،
أطخُّ بالطينِ ساقَ النخيلِ،
وأمسحُ كفَّ الفراشةِ بالآسِ
يغسلُ عينيَّ ورْدَ البكاءِ

أفضُ غشاءَ الدفاترِ
أرسمُ نهرينِ من دمعِ حقلِ يتيمِ تراوده
عن شذاهِ الظباءِ
على مرفأِ الحُلْمِ أجلسُ
في ماءِ عيني انتظاراً الغديرِ المسافرِ
خلف المساربِ في ساحةِ الشوقِ
عند سقوطِ الندى من عيونِ السماءِ



نورمان ديغو



كتاب "الدماغ الذي يغير نفسه"

إلى وضعية عدم السيطرة
تؤدي إلى المقاومة والمناعة
ضد الاستسلام والتنازل
والخلاص.



تالي شاروت

المعززة لتعليم شيء جديد. وأن التفكير الإيجابي والتنازل
يغيران الدماغ بطريقة فعلية فيزيائية مادية لا مجازية،
ويسمى هذا العلم المعترف به "Neuroplasty" أو ليونة
الدماغ، بمعنى آخر أن أفكارنا التي نفكر بها تستطيع
بالفعل تغيير بنية وتركيب وتشكيل وطريقة عمل ومهام
وظائف الدماغ وتقوي مناطق المشاعر والأحاسيس في
الدماغ.

فهل يمكن تعليم التنازل؟ يؤكد د. مارتن سليجمن
مؤسس علم النفس الإيجابي ورئيس جمعية أطباء النفس
الأمريكية أن التنازل وكذلك التنازل يعلمان، فقد طور
سليجمن وكل من "بيترسن" و"ستين" من بعده نظرية
التنازل والتنازل، وأنهما أسلوبان في التفكير وتفسير
الوقائع والأحداث.

إنها الفكرة التي نكونها عن القيمة العامة التي نعطيها
لأنفسنا ولإمكاناتنا وفرصنا ولمكانتنا في الحياة، ولقد
طور سليجمن وزملاؤه أسلوب التفسير المتفائل والمتشائم
انطلاقاً من أعماله حول العجز المتعلم، فالكلاب التي
وضعت في أقفاص تحتوي أرضيتها على شبكة يمكن أن
تصدر عنها شحنة كهربائية صارمة مؤلمة من دون أن
تتمكن من تجنبها تعلمت الاستسلام للعجز، حتى عندما
أتيح لها في وضعية تجربة لاحقة أن تتجنب الصدمة من
خلال إمكانية الهروب من القفص، ولكنه استطاع كذلك
من خلال تجارب أخرى معالجة الكلاب السلبية بتجارب
تمكنها من تجنب الصدمات من خلال الضغط على رافعة
وبعد محاولات عدة من دفعها للقيام بالسلوك الإيجابي
الذي يحصنها من الصدمة تمت معالجتها، وأصبحت
إيجابية تقاوم، ولا تستسلم بسهولة، وتبحث عن وسائل
أخرى تحصنها من الصدمات.

خلص سليجمن وزملاؤه إلى أن عدم السيطرة على
الوضعية الصادمة يؤدي إلى العجز والتنازل، ولكن
السيطرة على الوضعية الصادمة التي يعقبها التعرض



إلى 7% مقارنة بالمجموعة الثانية، بل وانخفضت فيهم
بشكل عام جميع أنواع المشكلات الصحية.

إن طبيعة الحياة التي نعيشها تفرض على إنسان اليوم
واقعا يشعره بأنه لا يستطيع أن يغير الكثير، مما يجعله
ضحية سهلة للتشاؤم، ولا فكاك من ذلك إلا بتغيير
طريقة تفكير الإنسان وحديثه لنفسه، فقانون الجذب
يؤكد أن ما تركز عليه بصفة مستمرة تحصل على مزيد
منه في حياتك، وقانون الحصد يؤكد أن ما تزرعه في
عقلك تحصده في جسدك وحياتك، ولذلك لا بد أن تبدأ
من حديثك لنفسك، فالدراسات الحديثة تؤكد أن التكرار
والتركيز والأنشطة التي تختارها في حياتنا، سواء كانت
ذهنية أو عملية، كلها تؤثر في الدماغ تأثيراً عجيماً في أنها
تعيد تركيبه وتكوينه وطريقة عمله، فعلى قدر ما تحدث
عقلك حديثاً إيجابياً على قدر ما ينشط ويعاد تشكيله
ليعطيك أفكاراً إيجابية ونشاطاً وطاقاً، والعكس صحيح.

وبذلك فإنك تستطيع أن تعيد تدريب عقلك ليكون
أكثر تنازلاً وإيجابية.. والتنازل الحقيقي الإيجابي هو
الذي يقترن بالعمل والمثابرة والصبر، والفشل الحقيقي
والتشاؤم هو أن تكف عن المحاولة.

إنه تنازل رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقته بحماية
الله له وقد اقترنت بالأخذ بالأسباب على أتم وجهها
وصورها في هجرته من مكة للمدينة في خطة محكمة
دقيقة التفاصيل، ومع ذلك وصلت إليهم قریش فقال له
أبو بكر: "يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه
أبصرنا تحت قدميه، فقال: "يا أبا بكر، ما ظنك بالثمين
الذي تالئهما؟" يقول تعالى "إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن
الله معنا".

إن التنازل حقاً أساسه الإيمان.. عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال: إن رجلاً قال يا رسول الله ما الكياتر؟
قال: الشرك بالله والإياس من روح الله والقنوط من
رحمة الله.

وكيف لا يتفاءل من يقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَبَادِيُ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ هنا أفهم معنى الحديث "أنا
عند ظن عبيدي بي، فإن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً
فله" .. تقاءلوا بالخير تجدوه.

ويج كتابه (تعلم التنازل)
يوضح كيفية تحقيق ذلك بإدراك ما تقوله لنفسك عندما
تصادف العقبات، وكيف يؤثر ذلك في حياتك، فإذا تم
تغيير ما يجول بداخلك من حوارات ستصل إلى نتائج
مذهلة.

لقد طور سليجمن عدة أدوات لقياس التنازل والتشاؤم
وتشخيصهما لدى كل من الناشئة والبالغين، كما طور
برامج تدريب مهمة لتعديل التفكير التنازلي إلى إيجابي
تنازلي، وقام بتطبيقها عملياً على عدد كبير من المؤسسات
التجارية والإدارية، وبالفعل زادت الفعالية والإنتاج.

وقام أيضاً بتصميم برامج لتدريب الناشئة على التفكير
التنازلي الإيجابي، نظراً لمروداتها على صحتهم الجسدية
والعقلية والنفسية وأدائهم التحصيلي والسلوكي.

يقوم التدريب على طريقة تعديل الأفكار في العلاج
المعرفي، ويكون التدريب كالتالي: إزاء أي حدث تتوالد
أفكار تشاؤمية، وما ينتج عنها من سلبية كحزن أو
استسلام، يقوم المدرب أولاً بتحديد الأفكار أو الذكريات
أو الصور التي وردت على ذهن المتدرب المتشائم، وكيف
يرى نفسه والوضع الذي هو فيه، وبعد تحديد الفكرة
التشاؤمية يتم دحض هذه الفكرة وتعديلها وتغييرها
بأدوات طورها مؤسسو هذا العلم، مثل إيضاح خطأ
الاعتقاد المتشائم بالمنطق والحجة أو إيجاد تفسيرات
بديلة، تحل محل التفسيرات المتشائمة، وكشف المبالغة
في الرؤية المتشائمة والجدوى من هذه الرؤية التنازلية
السلبية.

وفي دراسة قام بها مارتن سليجمن وجريجوري
بوشنان Buchanan في جامعة بنسلفانيا ونشرت في
مجلة الجمعية الأمريكية لعلم النفس Journal of the
American Psychological Association، وجد أن
تعلم التنازل استطاع أن يخفض نسبة الاكتئاب في طلبة
السنة الأولى بنسب كبيرة، حيث تم تحديد الطلبة الأكثر
تشاؤماً بناء على اختبار، ثم تم تقسيم الطلبة المتشائمين
عشوائياً إلى مجموعتين، المجموعة الأولى تلقت 16 ساعة
ورشة عمل (طرق تعلم التنازل) والمجموعة الثانية لم
تلق أي تعليم.. بعد 18 شهراً وجد في المجموعة الأولى أن
الاكتئاب انخفض من 32% إلى 22% والتوتر من 15%

عتبة الحياة



محمد بن عبد الله الفريج

كاتب ومفكر



@malfriah

كثيراً ما نرى مشكلات ومعوقات لا حلول لها إلا بالخلاص والفتك منها نهائياً، ونبدال الغالي والرخيص من أموالنا وأوقانتنا وأنفسنا لتحقيق ذلك، بينما هي في الحقيقة فرص سانحة لنعدل سلوكنا، ونقيم أنفسنا، ونروضها، ونرممها من الداخل قبل أن نطلب من الآخرين ذلك.

جرت أحداث هذه القصة في منتصف القرن الثاني الميلادي في بلاد الحكمة العظيمة (الصين)، حيث كانت هناك امرأة عجوز بلغت من الكبر عتياً، وقد رأَت السنين تمر سريعاً وابنها الوحيد يكبر بين عينها، ففرضت عليه أن يتزوج من إحدى بنات قريته، إذ كانت لها رغبة شديدة في أن ترى أحفادها قبل موتها، ونزولاً على رغبتها وإلحاحها تزوج الابن إحدى بنات قريته الهادئة الوادعة، وما إن تزوج، وحضرت زوجته لتسكن مع زوجها في بيت كان يضم والدته المسنة، حتى بدأت الغيرة الشديدة تأخذ من راحة الزوجين وعلاقتهم كل مأخذ، فأبَت زوجته إلا أن تصبر، وأخذت على نفسها عهداً بأن تصبر؛ وفاءً لزوجها الذي كان يحسن معاملتها، ويرفق بها، ومررت الأشهر تلو الأشهر، والزوجة تصبر نفسها إلى أن جاء اليوم الذي قررت فيه أن لا حيلة في استمرار حياتها إلا بالتخلص من هذه العجوز إلى الأبد، فأشارت عليها إحدى قريباتها بأن تلجأ إلى أحد حكماء القرية المجاورة، ومن الغد باكراً انطلقت إلى القرية المجاورة، متدرة بأنها سوف تحضر بعض البذور من بعض المزارعين

بغليها كل يوم باكراً، وأعطيتها والدة زوجها قبل خروجك للحقل، واستمري على هذا الأمر أربعة عشر يوماً، بعد ذلك ستموت في اليوم الخامس عشر، بعد أن يكون السم قد سرى في جميع جسدها، وعلى الفور أخذت الزوجة العشيبة، وانطلقت بها لقريتها تنتظر الصباح على أحر من الجمر، وما إن أشرقت شمس صبيحة ذلك اليوم حتى قامت الزوجة بغلي جزء من العشيبة، وقدمتها لوالدة زوجها، ما أثار حفيظتها واستغرابها الشديدين من هذه المعاملة التي لم تعتد عليها!!

استمرت الزوجة على هذا المنوال سبعة أيام، وكأنها سبع سنوات شداد، عندها لاحظت أن والدة زوجها بدأت تتغير معاملتها لها بشكل غريب، وصارت تسأل عن صحتها وعن تعامل ابنتها معها، وما إذا كان يسيء معاملتها، أو يرغمها على العمل بشكل مرهق؟، فقالت لها الزوجة: إنه على العكس من ذلك تماماً، وبدأت والدة تعامل مع هذه الزوجة، كما لو أنها ابنتها، وأصبحت تقف بجانبها عند نشوب أي خلاف مع ابنتها، وتطلب من ابنتها أن يحسن معاملتها، وتقول لابنتها: إنها لو أنجبت بنتاً، فلن تكون في مثل هذه الزوجة لها في حسن معاملتها وصبرها، أطلب صمت رهيب على المكان بعد هذه الكلمات من والدة زوجها، وأخذت الخوف والرعب من الزوجة حذاً بعيداً، فهي تعرف أن السم يسري في جسدها، وسيقضي عليها في غضون سبعة أيام كما أخبرها الحكيم، فأصابته الحيرة الشديدة، وتمكن منها الهلع، فهي لا تريد لهذه العجوز أن تموت، فالأمر الذي كانت تريد موتها من أجله انتهى الآن، ولكنها لا تدري ماذا تفعل، فأشارت عليها قريبتها السابقة نفسها بأن تعود إلى الحكيم، وتستشير له لعله يجد لها حلاً ومخرجاً، على الفور ذهبت للحكيم تستجده ليجد لها حلاً، لكنه أخبرها بأن الأمر قد انتهى، وأن العجوز سوف تموت لا محالة في غضون سبعة أيام، وعليها أن تستعد لهذه المرحلة من حياتها، وقال لها: ارجعي لي بعد سبعة أيام لنرى ماذا سنفعل، سأبذل ما في وسعي، ولكن لا أعدك بشيء، رجعت الزوجة بخيبة شديدة وحسرة لا تدري ماذا تفعل، وجلست تنتظر مرور هذه الأيام الثقيلة جداً على أحر من لهب النار، وكما اقترب الموعد بدأ قلبها يزداد خفقاناً؛ خوفاً واضطراباً، وفي اليوم الموعد رجعت للحكيم لعله يجد لها مخرجاً مما

وضعت نفسها فيه، فأجلسها الحكيم، وهدأ من روعها، وقال لها: اعرضي على قصتك مرة أخرى، فعرضتها بشكل مختلف عن سابقتها من حيث ثناؤها على والدة زوجها، وكيف كانت رفيقة بها وحسنة المعاملة، وأنها تقف في صفها عند أي خلاف ينشأ مع زوجها، فقال لها الحكيم: وما الذي تغير عما سبق، فقد كنت مُصرّة على قتلها والتخلص منها، فقالت له: إن معاملتها تغيرت بشكل كبير منذ أن بدأت أعطيها العشيبة بعد غليها، فقال لها الحكيم: توقفي الآن يكفي إلى هذا القدر، يبدو أنك متعبة جداً من هذا الأمر، وسأنتهي لك، اسمعي يا ابنتي، نحن البشر انعكاس لما نجده، بمجرد أن رأَت أم زوجها حسن معاملتك ورفقتك بها وصنيعك معها تعاملت معك بالمعيار نفسه، هذا هو حال الأسوياء من البشر، كثيراً ما نبحث عن حلول لمشكلاتنا عند الآخرين، بينما هي في الحقيقة في أعماق أنفسنا، قالت: له، والسم الذي يجري في جسدها ماذا أصنع به؟ قال: لا عليك هذا ليس سماً، هذه عشيبة عادية يستطيع أخذها كل واحد، ولن تلحق بها أي ضرر.

تعقيب:

كثيراً ما نرى مشكلات ومعوقات لا حلول لها إلا بالخلاص والفتك منها نهائياً، ونبدال الغالي والرخيص من أموالنا وأوقانتنا وأنفسنا لتحقيق ذلك، بينما هي في الحقيقة فرص سانحة لنعدل سلوكنا، ونقيم أنفسنا، ونروضها، ونرممها من الداخل قبل أن نطلب من الآخرين ذلك.

وأنا أدون هذه الأسطر تذكرت عظمة الحديث النبوي الشريف الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّقُّ لَا يُكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم (رقم 2594).

ومرت على خاطري مقولة الشاعر والكاتب المسرحي الإنجليزي وليام شكسبير: «أصعب معركة في حياتك عندما يدفعك الناس إلى أن تكون شخصاً آخر».

ودلف إلى عقلي أيضاً ما قاله جيم هينسون، مبتكر الدمى المتحركة: «أومن باتخاذ مواقف إيجابية تجاه العالم، وأملتي أن أرى العالم بصورة أفضل من التي رأيتها، عندما أتيت إليه».

كثيراً ما نبحث عن حلول لمشكلاتنا عند الآخرين، بينما هي في الحقيقة في أعماق أنفسنا

لمرت على خاطري مقولة الشاعر والكاتب المسرحي الإنجليزي وليام شكسبير: «أصعب معركة في حياتك عندما يدفعك الناس إلى أن تكون شخصاً آخر!»

ودلف إلى عقلي أيضاً ما قاله جيم هينسون، مبتكر الدمى المتحركة: «أومن باتخاذ مواقف إيجابية تجاه العالم، وأملتي أن أرى العالم بصورة أفضل من التي رأيتها عليها، عندما أتيت إليه»



الشرق بمنظار الغرب:

كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجاً



أ.د. عبد القادر شريف بموسى

أستاذ التعليم العالي بقسم اللغة العربية
وأدابها
كلية الآداب واللغات
جامعة تلمسان- الجزائر

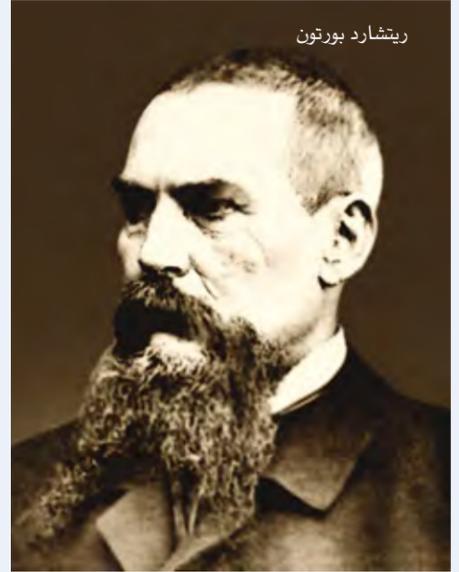
كان الشرق مصدر إشعاع حضاري منذ القديم، فقد بزغت على أرضه وبين شعوبه أهم الحضارات القديمة (الفرعونية والبابلية وحضارات بلاد الرافدين). ولعل من أهم هذه الحضارات التي أضاعت بنورها العالم بما فيه الغرب نفسه، الحضارة العربية الإسلامية، إذ كان لها فضل كبير على تقدم الغرب وتطوره، حيث أخرجته من ظلام الجهل والمهمجية الذي كان يعيش فيهما إلى نور العلم والمدنية.

ويُعد احتكاك الأوروبيين بالحضارة الإسلامية في كل من إسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا من الدلائل القاطعة التي تبرهن على مدى تأثير المسلمين في أوروبا ومدى فضلهم على تقدمها. لكن، وبدلاً من أن يردّ الغرب الجميل للشرق ولحضارته، ناصبه العدا، بل وأطلق عليه اسم "البرابرة". إن أول ما يقوم به قوم حين يسكنون أرضاً جديدة، إنهم يقومون برسم حدود بين أرضهم والجوار المباشر، وبين المناطق التي تقع وراء ذلك والتي يُسمونها منذ ذلك الحين "أرض البرابرة"؛ وهذا ما قام به الغرب عند احتكاكه بالشرق (ممثلًا في الحضارة العربية الإسلامية)، إذ رسم حدوداً بينهما، فأطلق لفظه "غرب" على أراضيه والمناطق المجاورة لها، وفي الوقت ذاته أطلق لفظه "شرق" على كل المناطق التي تقع وراء ذلك. فالشرق من ابتداء الغرب، بل يكون ثنائياً معه، فهو عكسه ونقيضه وهو في الوقت نفسه تجسيداً لمخاوف الغرب وإحساسه بالتفوق. إن من الطبيعة البشرية أنّ الشيء المجهول والغامض يثير مخاوفها ويفزعها، فهي إما أن تستسلم له وتدعن، وهذا ما حدث مع الإنسان القديم حينما لم يستطع إدراك حوادث الطبيعة ومعرفة كنهها، فكانت البراكين والزلازل

والصواعق... تثير مخاوفه ورعبه ممّا دفعه إلى أن يؤلّه هذا المجهول ويذعن له؛ فجعل للزلازل إلهًا وللفيضانات إلهًا آخر يتقرب إليها بالقرابين والصلوات. أما الطريقة الأخرى للنفس البشرية التي تسلكها تجاه هذا الشيء المجهول، فهي أن ناصبه العدا، بل وقد تحاول مهاجمته إن قدرت على ذلك، حتى تحمي نفسها منه وتحسن بالأمان والطمأنينة؛ وهذا ما حدث مع شعوب أوروبا حين احتكت بالشرق وخصوصاً بعد أن أحسّت بتهديده لها من خلال فتوحات المسلمين لإسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا. ومنذ هذه اللحظة، أصبح الغرب يرى في الشرق مكاناً خطراً يتنامى فيه الإسلام وتتكاثر الأجناس الشريرة، وأما المسلمون فهم سود ذوو هيئات بشعة. وقد أدت هذه البغضاء إلى إنشاء عداوة للإسلام أتاحت حماية عقول المسيحيين من الارتداد عن دينهم وحقت المسيحية بشعور من الاحترام للذات من خلال تعاملها مع مدينة أرقى منها في أوجه كثيرة². فحينما أحسّ الغرب بتفوق الحضارة العربية الإسلامية عليه في كل المجالات، بما فيها التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية التي جاء بها

الإسلام، أصابه خوف شديد على دينه المسيحي من أن يرتد عنه كل من يتصل بالشرق (الحضارة الإسلامية)؛ ممّا دفعه إلى ابتداء صورة أخرى للشرق مخالفة لما هو عليه في الحقيقة. فأصبح المسلمون - في عيون أوروبا - سوداً ذوي هيئات مشوهة للإنسان الغربي عن الشرق، ويكون خلفية فكرية مشوهة للإنسان الغربي عن الشرق، وذلك حتى يضمن (الغرب) عدم الارتداد عن الدين المسيحي، الذي يُعد - ولا يزال - الدعامة الأساسية التي تركز عليها أوروبا في مواجهة العالم الإسلامي. إن التعصّب الأعمى لدى أوروبا في القرون الوسطى لكل ما هو غربي ومسيحي، دفع بها - حينما رأت نفوذ الإسلام يزداد وحضارته تنتشر في ربوعها على الرغم منها - إلى أن تجهز بالعداوة والبغضاء للحضارة الإسلامية من أجل الحد من انتشارها؛ بل وأصبحت ترى في الدولة الإسلامية خصمها اللدود. «ومن هنا أصبح يُنظر للإسلام على أنه إغناء للمسيحية، وأن رسوله محمداً هو عدو للمسيح، وكان الغرب يرى في العالم الإسلامي عالماً مضاداً لأوروبا، وبذلك أصبح موضع الشك والريبة»³. ولعل من أهم مظاهر هذا العدا والتعصّب، الحروب

الصليبية على العالم الإسلامي، والتي دامت أكثر من قرنين حيث تجلّت فيها روح الحقد والكره للمسلمين وللإسلام بشكل سافر. وحتى بعد ذلك بقرون عديدة، لم تستطع أوروبا التخلّص من هذا العدا والحقد الدفينين اللذين كُنهما للشرق والعالم الإسلامي على الخصوص؛ «ولهذا كان من السهولة بمكان أن تتحوّل رغبتها القديمة في الوقوف في وجه خصمها الإسلامي إلى تصميم على السيطرة، هذا التصميم الذي كان الأساس النفسي للإمبرياليين منذ نابليون»⁴ أثناء حملته على مصر سنة 1798م. لقد أدت الحملات الصليبية إلى تواتر الأخبار عن الشرق وارتسام عدد من التصورات المبالغ فيها والمنسجمة مع المعطيات الثقافية المحلية. ولعل من النتائج المباشرة لذلك، ظهور عدد من القصص التي عُرفت بـ "الرومانس"، إضافة إلى أعمال شعرية ملحمية يمكن وصفها إرهابات لاستشراق أدبي سيستمتر حتى القرن العشرين. وقد انقسمت تلك الأعمال - المتولدة عن الاحتكاك بالشرق العربي الإسلامي - إلى قسمين رئيسين: هما الأعمال القائمة على الغرائبية أو الفانتازية



الأسلوب في لوحة (أوجان دي لاکروا 1798 - 1863 Eugène Delacroix) " موت ساردانا بالو " 1827 - 1828 (La Mort de Sardanapale) التي استوحاها من قصيدة لبيرون تحمل الاسم نفسه. وقد صُدم المجتمع الأوروبي الذي كان موجوداً في الشرق من جرّاء ما قرأ عن العنف والخسّة والبذاءة، التي وضعت الشرق في هذا السياق. وقد كان لنقاد القرن العشرين مأخذ على الاستشراق لكونه مرآة إمبريالية مشوّهة للشرق، حيث إنها عكسّ للثقافة الأوروبية لا لحقيقة الشرق⁹.

إنّ المقولة الأوروبية التي تركّز على فسق الشرق وولعه بالجنس لم تكن وليدة الرّحلات الأوروبية، بل قد «ترافق الشرق دائماً في ذهن الأوروبي بالتوقّعات الجنسية، إذ كان يبرز في ثنايا النصوص اللاهوتية والأسطورية القديمة نموذج المرأة الغاوية: فهناك (ديدو Dido) في رواية "فيرجيل" تستقبل (إيناس Aeneas) في فراشها كما استقبلت كليوباترا أنطونيو في سريرها، وهناك (ميديا Medea) المتطرّفة في عواطفها وعنفها، إنها الشرقية، الهمجية التي تغوي وتصدّ في اللحظة الواحدة»¹⁰.

ولقد جاء بعد ذلك الرّحالة الأوروبيون ليركّزوا على أسطورة "الشرق الجنسي". ويعدّ (ريتشارد بورتون Richard Burton) واحداً من هؤلاء، فقد كان «الشرق في نظره: مجالاً محرّماً، حيث النساء جوار يمنحن ملذّات جنسية»¹¹. ومن بين الرّحلات الأخرى التي تُعدّ أنموذجاً لهذا التشويه - والتي تصوّر الشرقي على أنّه مثارٌ للسخرية ومدعاةٌ للتسلية والازدراء معاً، وتصوّره ذليلاً دائماً ومستسلماً لمن هو أقوى منه - رحلة (كنغليك Kinglake) إذ يقول عن الشرقي (الآسيوي): «... يبدو أنّ الآسيوي يُكنّ شعوراً بالاحترام العميق الذي يصل غالباً إلى درجة العبادة، لكلّ من أسأوا إليه بقسوة عنيفة... ولهذا كنتُ أرى كيف أنّ استسلامه وانصياع عقله كانا بلا حدود أمام فكرة القوّة»¹².

لقد كان لهؤلاء الرّحالة النصيب الأوفر في إبراز الصّورة المشوّهة للشرقي، كما كان لهم التأثير الكبير في زرع هذه الصّورة في الذهنية الغربية. فهي هو الرّحالة (بورتون Burton) يصف أحد أبناء السند (الهند وباكستان حالياً) بقوله: «...إنه كسول ولا مبال، وقذر، ومدمن، ومعروف بجبنه في أوقات الخطر، في حين أنّه يصبح وقحاً عندما لا يكون ثمة ما يخشاه، وليس لديه آية فكرة عن الصدق»¹³.

إنّ الاتهام الخطير الذي يوجّهه الرّحالة الإنكليزي إلى الشرقيين يخصّ إفساد الأخلاق: «فكلّ الشرقيين يُعدون مولعين بالتفانص والأفات الأكثر انحطاطاً. ويعدّ العرب أناساً شهوانيين وقساقاً حتّى داخل الأماكن المقدّسة في الإسلام، وهذا ما يُعدّ تدنيساً للمقدّسات وانتهاكاً للحرّمات. ففي حوالي سنة 1820 وسّم بعض الرّحالة

العرب بالشذوذ الجنسي...إضافة إلى أنّه حتّى الخاصية التي أسندت إلى الإسلام تقصّل اللاأخلاقية: فعلى حسب الرّحالة ليس الدين هو الذي يربّي الإنسان»¹⁴.

فهذه الروايات عن الشرق للرّحالة الأوروبيين، جاءت في معظمها مشوّهة لصورة الشعوب الشرقية، تصوّرها على أنّها مخلوقات همجية تحركها الغريزة وتسيّرنا النزعات الجنسية والعذوانية، وأنّها ذات بشرة داكنة ومفزعة، وهي لا تستطيع أن تصل إلى ذلك الصّفاء والنقاء اللذين وصل إليهما العرق الأبيض (الأوروبي طبعاً)؛ بل إنّ هذه الروايات زادت في ترسيخ بربرية الإنسان الشرقي وحيوانيته داخل المجتمعات الأوروبية من خلال التركيز على شدّة الاختلاف بينهما، ممّا يسمح لها باعتبار الشرقي نوعاً آخر من الكائنات؛ فهو أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

وإذا ما استثنينا بعض الرّحالة النّزهة الذين حاولوا تقديم صورة نزيهة وحقيقية عن الشرق، فإنّ معظم روايات الرّحالة الأوروبيين أنتجت صورة بشعة للشرق، كان من شأنها أن عزّزت السلطة السياسية بمختلف بنياتها داخل المجتمعات الغربية؛ وبالشكل نفسه عملت هذه السلطات السياسية على تعزيز هذه الصّورة وترسيخها لدى العامّة من الغربيين، وحتّى لدى المثقفين والرّحّالين أنفسهم. ولعلّ ما ذهب إليه الدكتور «رنا قباني»، يصف وصفاً دقيقاً الحالة التي كانت عليها كتابات الرّحالة الأوروبيين في تلك العصور (عصر النهضة الأوروبية) من تأثرها بثقافة العصر المهيمنة، إذ تقول: «ولكنّ هذا لا يعني أنّ جميع الرّحالة الذين تحدّثوا عن الشرق قد أسأوا تصويره، وإنّما يعني أنّ سوء التصوير هو الذي طغى، وهو الذي أسرّخ في أذهان الناس في الغرب. إنّ قصص الرّحلات كانت على كلّ حال جزءاً من الاستشراق الذي حرّض على قيام الإمبراطورية»¹⁵. ثمّ تضيف بأنّ «القوّة تحتاج دائماً إلى المعرفة. ومن هنا تأطّرت الثقافة الأوروبية ضمن صورة مشوّهة عن الشرق باعتبار أنّ الذوق المهيمن وغريزة الأسطورة كانت لهما الغلبة في نهاية المطاف»¹⁶.

فلا بدّ للاستعمار الأوروبي الإمبريالي - قبل أن يقوم باحتلال الشرق - أن يكون مزوّداً بكلّ المعلومات عن هذا الشرق في مختلف ميادين الحياة، بدءاً بطريقة أكل شعوبه ولهوها وكيفية عيشها، ووصولاً إلى طريقة الحكم عنده وأخبار حكّامه وخطاباتهم وحروبهم وإسرافهم وملذّاتهم.

وهذه المعلومات مهمّة جداً للقادة الأوروبيين، حتّى يكونوا على علم ودراية بكلّ ما يجري فوق الأرض التي ستطوّها أقدامهم. وكما تصل إليهم هذه المعلومات كان لا بدّ من بعث رّحالة من بني جنسهم إلى هذه الأقطار البعيدة والشاسعة، حتّى يزودونهم بكلّ ما يحتاجونه عن الشرق الغامض والمبهم.



ريتشارد وليام سوثرن

وكي ينال هؤلاء الرّحالة استحسان دولهم التي أمّدتهم بالمال، وسهّلت لهم مهمّتهم، كان لا بدّ لكتاباتهم أن تتضمن تلك الصور المشوّهة للشرق والتي تُبرزهم همجياً وبدائياً وغريزيّاً حتّى يكون ذلك مبرّراً لقادتهم الغربيين في احتلاله ذات يوم تحت شعار "تقديم الحضارة إلى شعب متخلّف". بل إنهم - الرّحالة الأوروبيين - مضطّرون إلى تأكيد هذه الصّورة المشوّهة التي جاء بها من قبلهم الرّحالة الأوائل، التي رسخت في أذهان الشعوب الغربية حتّى أصبحت هي الذّوق المسيطر عليهم، لأنّه إذا ما حاول بعضهم مخالفة ما ألفه الناس عن الشرق منذ مدّة، وأن يكون نزيهاً في كتاباته، فسيكون مصير ما ألفه، الإهمال والاستهجان وربّما السّجن أو الموت، متهمين إيّاه بالعمالة للشرق. ولهذا فإنّ بعضهم كان مضطّراً لتلفيق الأكاذيب عن الشعوب الشرقية وطريقة حياتها، هذه الأكاذيب ما هي إلا نسخة طبق الأصل مع قليل من التغيير للكتابات والأساطير التي جاء بها الأوائل عن الشرق. إذ من المألوف دائماً أن يُقال بصدد الاستشراق: إنّ الغرب يعرف عن الشرق أكثر ممّا يعرف هذا الشرق عن نفسه، الأمر الذي من شأنه أن يفتح مجرى محدّداً سلفاً للكتابة، ممّا يؤدّي إلى تقييد المراقب الغربي بل وجعله في كثير من الحالات أسير ما قرأ¹⁷.

فإذا كان هؤلاء الرّحالة مقيدين بأراء من سبقهم وبالثقافة السائدة في عصرهم، فهم - ومن ورائهم الغرب وإلى حدّ القرن الثامن عشر على الأقلّ كما بين ذلك بلباقه (R.W.Southern) - كانت لديهم فكرة معقّدة ومبهمّة عن أحد أشكال الثقافة الشرقية والتي هي الثقافة الإسلامية، لأنّ مفهوم الشرق يجتذب دائماً على ما يبدو، تداعيات من الأفكار التي لم تكن محدّدة، لا من طرف ذلك الجهل المطلق عن الشرق ولا من طرف المعلومات الأحادية المصدر التي كانوا يتحصّلون عليها¹⁸. ولقد كان أحد التطوّرات المهمة في استشراق القرن التاسع عشر يتمثّل في تكرير الأفكار الجوهرية حول الشرق، حواسيته وميله إلى الطغيان، تخلفه ولاعقلانيته، وعادة غياب التّظيم والدقّة لديه، وترسيخ هذه الأفكار

إلى الحدّ الذي صار معه استخدام كاتب للفظّة "شرقي" إشعاراً كافياً يحدّد للقارئ الغربي هويّة جسد معيّن من المعلومات حول الشرق. هذه المعلومات جاءت من خلال المضامين التي كانت تتوارى في ثنايا كتب الرّحالة الأوروبيين والكتب الاستشراقية الغربية التي ألّفت في الآداب والعلوم، والتي يتصوّر فيها الشرق على نحو خيالي خرافي، يُظهره بأنّه متخلّف، ميّال إلى الطغيان، ذو عقلية منحرفة، وعرق دوني، وإنّه غير جدير بالحياة الحرّة، وينبغي على الغرب أن يستحوذ عليه ويأسره ويسوده¹⁹.

فهذه الصّورة المبهمة والغامضة للشرقي سمحت للغرب بأن يُسقط الجانب السلبي فيه ويرمي به على الشرق، خصوصاً صفة الشّبق الجنسي والعنف المتأصّل. فهاهو ذا أحد الكتّاب الغربيين (ريموند شواب Raymond Schwab) «يعتبر بأنّ كلمة شرقي كانت مرادفاً لـ "غريب" و "غامض" وعميق ومُنوي»²⁰.

وما هذه المقولة من وجهة التحليل النفسي إلاّ تعبير عن نفسية الأوروبي، إذ إنّ الكثير من دوافعنا وغرائزنا الفطرية (بما فيها غريزة الجنس) - بعدما تكبّت في اللاشعور ولا يُسمح لها بالظهور في الوسط الاجتماعي - تتخذ لها أشكالاً أخرى وطرقاً غير مباشرة، فتصبح بذلك غامضة وعميقة عن شعور الفرد، وخصوصاً عن الأنا الأعلى (Sur-Moi) الذي هو الرّقيب الأخلاقي في الشخصية، وذلك حتّى تجد لها متنقّساً في المجتمع أو وسيلة تظهر فيها بشكل تقبله القيم الاجتماعية والخلفية. ولعلنا لا نبتعد عن المنطق إذا ما قلنا: إنّ إطلاق صفة "منوي" أو "جنسي" على الإنسان الشرقي الذي هو غامض ومبهم ما هي إلاّ عملية إسقاط (**Projection) للجانب السلبي (الجنسي) في شخصية الغربي على الشرقي؛ لأنّه - الأوروبي - لا يمكن أن يعترف بها بينه وبين نفسه. فهذه الدوافع الجنسية غامضة في شخصيته غموض الشرقي وغريبة وعميقة في الوقت نفسه غرابة ذلك الشرقي وعمقه كذلك، ممّا يجعل الغربي يحسّ بالدونية والنقص إذا ما اعترف بهذه الميول الجنسية؛ وهذا ما يجعله يُسقط ويرمي بهذه الصّفات - التي تحطّ من شأنه - على الآخر (الشرقي).

فالكبت الجنسي الذي كان يعاني منه الغربي جعله يصف الإنسان الشرقي بالشّبق الجنسي، وذلك حتّى يجد له تفرّيقاً ومتنقّساً عمّا يكبته ويرغب فيه. ولعلّ أصدق دليل على ذلك ما كان يمارسه الرّحالة الأوروبيون من متّع جنسية في الشرق حينما يجدون الفرصة للتعبير عن هذا الكبت - الذي يعانون منه - خارج مجتمعهم وأهلهم. ومن بين هؤلاء الرّحالة (بورتون Burton) إذ «كانت الحرية الجنسية واحدة من حريات تطلّع إليها: فني الهند مارس (بورتون) أولّ اتّصال جنسي كامل له، وكما فعل أكثر أقرانه، بحث عن خدمات امرأة محلية تلبّي له... احتياجه المادية دون أن يلتزم حيالها بأيّ رباط أدبي

مباشرة، حيث غداً مفهوم الشرق (الفارسي/التركي...) يعني حضارة مغايرة - بغضّ النظر عن القيمة التي تُعطى لها- وصارت النظرة العامّة "الشعبية"، تتراوح بين الشرق المدهش والفنان، "شرق ألف ليلة وليلة"، وبين الشرق المتوحش، البربري، الفظّ، العنيف، ولم تتغيّر النظرة الأوروبية إلى الإسلام، بوصفه ديناً متعصباً، عدوانياً، بسيطاً وبدائياً»⁶.

وحتّى تستطيع أن تستعمر شعوب الشرق دون أن تجد عراقيل من داخلها، أرسلت أوروبا الرّحّالين إلى الشرق ليزوّدوها بمعلومات عنه وأخبار تكون ذريعة لها لاحتلاله وتزيد في الوقت نفسه من تعميق ذلك الكره والعداوة في نفوس الشعوب الغربية تجاه العالم الإسلامي بخاصّة، والشعوب الشرقية بعامّة. وحتّى تجعل الشرق كبش فداء، كان لا بدّ لها من أن تلصق به صفات قبيحة وشريّة من أجل تبرير استعمارها واضطهادها. فجاءت الروايات عن الشرق لتُركّز تركيزاً متعمّداً على تلك السمات التي تجعل هذا الشرق مختلفاً عن الغرب، بل وتفتيه إلى عالم (الأخر) وتخفضه إلى مرتبة (الغير) الذي لا صلاح له⁷. فمن بين الصّفات القبيحة والشريّة التي وُصف بها الشرق، صفة الخمول والفسق والعنف وعدم القدرة على أن يحكم نفسه بنفسه. كلّ هذه الصفات جعلت للغرب الإمبريالي مبرّرات تسمح له بالتدخل فيه والتحكّم به، إذ تجعله يظهر وكأنّه منقذ الشرق من الجهل والهمجية، وأنّه

ما جاء إلى داره إلاّ ليحمل له الحضارة والمدنية.

ولعلّ من أهمّ الملاحظات التي تُلقت النظر بخصوص هذه الروايات الأوروبية عن ذلك الشرق (الأخر)، مقولتان: إحداهما تتمثّل في الإلحاح على الادّعاء بأنّ الشرق هو مكان الفسق والملذّات، والأخرى تتمثّل في أنّ هذا الشرق هو عالم العنف المتأصّل⁸. وهاتان المقولتان كان لهما تأثيرهما الخطير على عقول الشعوب الأوروبية، إذ رسختا فيها - ولا تزال إلى الآن - مفهومًا مشوّهاً



أو عاطفي، وبذلك تكون هي مدبرة منزله وهي متفلسة الجنسي جيمعاً²¹.

ولا يمكن لنا أن نمر على الرّحالة (بورتون Burton) دون أن نستشهد ببعض ما كتبه هو بنفسه عن الحضارة العربية الإسلامية وخصوصاً فن العمارة الإسلامية المرتبطة بالمسجد، حيث يحاول في الفصل السادس - تحت عنوان المسجد - من كتابه "رحلة بورتون إلى مصر والحجاز - الجزء الأول" إرجاع كلّ عناصر العمارة الإسلامية إلى حضارات سابقة أو معاصرة ونفي أيّ خصوصية للعمارة الإسلامية، إذ يقول في هذا المعنى: "فالتزعة التوفيقية Syncretism للمعماريين - والتي هي نتاج للصدف والاندفاع، والغلوّ واللأمبالاة - لاقت أعيناً جاهلة غاية الجهل، بحيث لا يجرحها أن تقع على كلّ مخلط هجين يعوزه التناسق. لقد قام هؤلاء المعماريون بتخليد العناصر المعمارية المتنافرة فيما يُسمّى بالنمط العربي أو الإسلامي Saracenic Style مع أنّ جميع عناصر هذا النمط مُنتحلة من الأنماط المعمارية البيزنطية، ومكررة مُعادة في النمط المعماري القوطي، الذي هو فرع من النمط الإسلامي"²². ويضيف في الكتاب ذاته بالطريقة العدائية واللأموضوعية نفسها متحدثاً عن فن عمارة المسجد قائلاً: "وأعتقد أنّه لا جديد في المسجد العربي (الإسلامي) فهو مجرد إحياء غير واع للأشكال المعمارية التي استخدمت منذ عصور ممعنة فيّ القدم"²³.

يحمل هذا النوع من الكتابات جانباً دليلاً خطيراً، فهو يُحيل بطريقة مباشرة وسافرة إلى أنّ فن العمارة الإسلامي عبارة عن سرقات مبدئة من أنماط العمارة البيزنطية وعمارات حضارات سابقة. بل ويحاول أن يُزيل كلّ خصوصية وقدسية أهم عنصر في الحضارة العربية الإسلامية، ألا وهو المسجد، وذلك بربط عمارته بعمارات حضارات سابقة، ممّا يُحيل بطريقة خطيرة في أذهان الغربيين إلى أنّ الدين الإسلامي ليس ديناً سماوياً جديداً

ولكنه دين مُنتحل من ديانات سابقة مثله مثل عمارته.

وأذهب كذلك إلى ما ذهب إليه مترجم هذا الكتاب لـ (بورتون Burton)، الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ في تعليقه، فد (بورتون Burton) يشير في قوله هذا إلى أنّ هذا الاقتباس المباشر من الأنماط المعمارية البيزنطية واضح تماماً في مساجد القاهرة القديمة. ولا تُنكر تأثير الحضارات بعضها في بعض الآخر، لكن إنكار خصوصية كلّ حضارة فيه تجاوز كبير وخطير. فهل أخذ المسلمون من الحضارة البيزنطية فكرة "مكان الوضوء" الذي لا يخلو منه مسجدٌ بالطبع لا، لأنّ الوضوء خاصة إسلامية. كما أنّ فكرة الأروقة الأربعة في المسجد فرضها وجود مذاهب إسلامية أربعة، ولو كانت خمسة لكانت الأروقة خمسة. إذن ما دخل الحضارة البيزنطية بعدد المذاهب الإسلامية؟²⁴

وأُنهى استشهادي بأقوال (بورتون Burton) وما كتبه في رحلته عن شهر رمضان وتأثيره السلبي على المسلمين لما في هذه الكتابات من خطورة كبيرة في تشويه صورة المسلمين وصورة شهر الصيام في أذهان الغربيين. فقد كتب يقول: "فأصوات المسلمين الصائمين التي لم تكن أبداً - قبل رمضان - من بين أرق الأصوات، قد اكتسبت - خاصة في وقت ما بعد الظهيرة - بحةً مفزعة ونغمة كتغمة صرير الباب. فالرجال يلعن بعضهم بعضاً، ويضربون النساء. أمّا النسوة فيلطمن الأطفال ويُسنن معاملتهم. أمّا الأطفال فهم بدورهم يتضرعون ويعاملون القلط والكلاب بقسوة... والمساجد غاصّة بالناس العاسين المتذمّرين، يرتبص كلّ منهم بالآخر، مع أنّهم يسرون في طريق يرضون الله به"²⁵.

يجعل بورتون من شهر رمضان المقدّس عند المسلمين، شهر العدا والتلاعن والضرب واللطم والترّبص بالآخر. بل ويعمّم ذلك على كلّ المسلمين دون استثناء. فالرجال يلعن بعضهم بعضاً ويضربون نساءهم والنساء يلطمن المساجد مكان العدا والترّبص بالآخر للانقضاض عليه. هذا ما يحاول هذا الرّحالة زرعه في أذهان مواطنيه الغربيين عن المسلمين وعن إسلامهم ومكان عبادتهم. فتعميمه لم يستثن الأطفال الذين ينقضون بقسوة على القلط والكلاب. هذه المبالغة الكبيرة والتعميم المضلّ لا يمكن لنا أن نجد لهما تفسيراً مقنعاً إلا من خلال ربطهما بالنظرة الاستعمارية للشرق من طرف الحكومات الغربية التي مولّت رحلات أمثال (بورتون Burton) كي يقدموا لها صوراً مشوّهة عن الشرق المسلم تُبرّر أمام شعوبها حتمية الاعتداء عليه واستعمارته تحت غطاء درء خطرته المتنامي وتقديم حضارة لشعب همجي ومتخلّف.

وقد وقفت بعض الشيء عند الرّحالة (بورتون Burton) لأنّ كتاباته المزلّلة عن الشرق المسلم ودينه الإسلامي بقي أثرها الخطير والمؤثر في أذهان الغربيين (دولاً وحكومات

وشعوباً) في أثناء تعاملهم معنا إلى غاية اليوم ونحن في الألفية الثالثة.

كما يجب أن تنتبه إلى أنّ المفكرين الغربيين - حتّى هم كذلك - لم يروا من الشرق إلا ما أراد هذا الشرق أن يبديه لهم، أو بالأحرى ما أرادهم أن يبيحوا عنه فيه، بعملية اصطفاية "غير علمية ولا موضوعية". وفي الحالين أنشأ هؤلاء صورة للشرق إنشأ يعتمد على ما ترسّب في الذاكرة الجمعية الغربية من مقولات، وعلى ما صنعه الخيال الشعبي من تصوّرات، شكّلت الفضاء لمجمل الأفكار الغربية، وشكّلت من ثم أداة ضغط لم يستطع المفكرون الغربيون الفكك من إسارها، أو التحرّر من ربقتها. وهكذا كان هؤلاء يرون ما أسقطه اللاوعي عندهم، أكثر مما يرون بأعينهم ومنطقهم العقلي، فيقومون بعملية انتقائية فجّة لما جاؤوا يبحثون عنه. فالشرق عند بعضهم موطن الحكمة، وبلاد شهزاد وشهريار، والسندباد، وشعبه مجموعة من الشعراء والحكماء والفلاسفة. بينما كان عند آخرين بلاد التخلّف، والجمود، والسكون، وشعبه مجموعة من الكسالى، والمتعصبين، المحبّين للعنف والمتعشّين للدماء. وفي الحالين - وكما يبدو واضحاً - فإنّ الشرق عبارة عن عناصر مشتتة، منمّطة، لا رابط بينها، تمثّل لحظات معزولة من سياقها الموضوعي، لخدمة الأفكار المسبقة التي تتحكّم بهؤلاء الباحثين وبأبحاثهم²⁶.

ومن هنا نستطيع القول إنّ الشرق قد حقّق كلّ الاحتياجات التي أرادها الغرب منه، سواء الاحتياجات التّفسية منها أو الدينية أو الاجتماعية. فكلمة "شرق" تُثير فوراً تداعيات كثيرة في ذهنية الأوروبي مثل: الشرقي المسلم، المحتال، ألف ليلة وليلة، الصّحراء، الرقص، الحروب الصليبية، الإنجيل، الجوازي، الحريم... إلخ.

ومع هذا كلّ، فمن الإنصاف أن نذكر بأنّه قد ظهر من الأوروبيين من اعترف بعظمة الشرق؛ فبعد دراسته للغة العربية، اعترف "هيردر (1744 - 1803)" Herder بعظمة اللغات السّامية وأهمّها العربية والعبرية والآرامية والحبشية. وأطّلع على أمثلة قليلة من الشعر العربي، فظهر له أنّ الشعر أجمل تعبير عن ثقافة شعب من الشعوب²⁷. لكنّ الملاحظة التي يمكن أن نضيفها هنا، وهي أنّه مع هذا الاعتراف الموضوعي والنّزيه إلا أنّ هذا القول مع غيره من الأقوال، جاء ليرسم صورة أخرى عن الشرقي، وإن كانت في الحقيقة صحيحة فهي من خلال التأويلات المتعمّدة من بعض الغربيين، أخذت منحى آخر من التشويه؛ فهي صورة الشرقي الذي يعيش الشعر وينشده بل ويجعله ترجمان أحاسيسه الدفينة وعواطفه الجياشة مثل عاطفة الحب. فأشعار العرب على وجه الخصوص مليئة بالغزل والحب. لكنّ بعض التأويلات المتعمّدة من الغرب جعلت الشعر العربي محصوراً فقط في الحبّ والغزل والمجون وطلب اللذة لتصل إلى أنّ الشرقي جنسي حتّى في شعره يبحث عن اللذات الحسّية.

ولا يمكننا أن نختم هذه الدّراسة دون التّعرّض إلى أحد أهمّ المفكرين الغربيين المعاصرين الذين اعترفوا بعظمة الشرق، وفضحوا خرافات بلدانهم وأساطيرها الخاصّة بمدينة الغرب وحضارته ودونية الشعوب الشرقية. هذا المفكر الغربي هو "روجيه غارودي"؛ فهو يعيب على بلاده النظرة الأحادية التي بها تحكم على الحضارات الأخرى، فتسمّها بالتخلّف والبداية، لأنّها لم تُسائر طريقتها وتتبّع منهجها، فيقول: «إنّ الغرب ينصبّ نفسه قاضياً على جميع الحضارات الأخرى - لأنّه يعتبر أنّ المسار الذي يتبعه مثالي، وأنّه المسار الوحيد الممكن - ويحكم ومن ثم على شعب وحضارة وعلم أو تقنية بأنّها بدائية أو نامية أو متخلّفة، وفقاً لنقطة وجودها على هذا المسار. أي وفقاً لكثرة أو قلة تشابهها معها»²⁸. بل إنّ هذا المفكر الشجاع ليسخر من المؤرخين الغربيين حينما يطلقون لفظة "الغزوات البربرية" على غزوات البرابرة لروما وسقوطها في أيديهم عام 476م وعلى غزوات أخرى، بينما يبدّلون هذه التسمية - وهذا ما يثير عجبه وسخطه - عندما تكون الغزوات من صنع الأوروبيين، فيصبح اسمها "الكتشافات الكبرى"²⁹.

ولعلّ هذا أكبر دليل يقدمه شاهد، على همجية الغرب

المراجع المعتمدة في الدراسة:

- 1 - ينظر: Edward Said : L'Orientalisme : l'Orient crée par l'Occident - Traduit par Catherine Malamoud - Editions du Seuil - Paris p 70 - 1980 .
- 2 - رنا قبانى- أساطير أوروبا عن الشرق: نقوّ تُمدّد- ترجمة: د. صباح قبانى- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق- الطبعة الأولى- سنة 1988 - ص 36.
- 3 - المرجع نفسه - ص 19.
- 4 - المرجع نفسه - ص 19.
- 5 - ينظر : د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي- دليل الناقد الأدبي - المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء (المغرب) وبيروت (لبنان) - الطبعة الثانية- 2000 -ص30.
- 6 - ينظر : محمد راتب الحلاق - نحن والآخر: دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر الشرق/الغرب× التراث/الهوية × الممكن/الواقع- منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق-1997- ص15.
- 7 - ينظر : رنا قبانى- أساطير أوروبا عن الشرق - مرجع سابق - ص 19 و 20.
- 8 - ينظر : المرجع نفسه - ص 19 و 20.
- × لوحة أوجان دي لاكروا - Delacroix " موت ساردانا بالو- La Mort de Sardanapale " التي رُسمت ما بين سنتي 1827م و1828م وهي لوحة زيتية على قماش بطول 395 سم وعرض 495 سم، توجد الآن في متحف اللوفر بباريس (Musée du Louvre, Paris).
- 9- ينظر: دوتكان هيث، جودي بورهام - الرومانسية - ترجمة: عصام حجازي- مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - الطبعة الأولى 2002 - ص161.
- 10 - رنا قبانى- أساطير أوروبا عن الشرق - مرجع سابق - ص 46.
- 11 - المرجع نفسه - ص 22.
- 12 - المرجع نفسه - ص 25.
- 13 - المرجع نفسه - ص 25.
- 14 - Joelle Redouane - L'Orient arabe vu par

وأحادية تفكيره وتلاعبه بالمعلومات والأحداث التاريخية، التي تظهره على أنّه حامل الحضارة ومكتشف القارات، بينما من جهة أخرى، تُظهر الآخر (الشرقي) همجياً بدائياً ومتخلّفاً. لكنّ هذا المنكر يحاول أن يُزيل بعض ما لُقّق لصورة الشرقي والحضارة الشرقية - وخاصة الحضارة الإسلامية - من صفات لا تمثّل إليها بصلة التي ما تزال راسخة في أذهان الكثير من الغربيين. فقد اعترف صراحة بعظمة الحضارة العربية الإسلامية وبمدى تأثيرها على مدينة الغرب إذ يقول في ذلك: «إنّ الحضارة العربية الإسلامية لقتت الماضي وهيأت المستقبل طوال ألف سنة. ونقلت إلى أوروبا - عبر إسبانيا وصقلية - ثقافة حملت مسؤوليتها ألف عام، ومارست تأثيرها على الغرب، بترجمة الآثار الإسلامية إلى اللاتينية... إنّ هذه الآثار الآتية من إسبانيا وصقلية رسمت منعطفاً في رؤية الغرب للعالم»³⁰.

ومع أنّه قد ظهرت نزعة غربية تحاول فهم الشرق من جديد فهّمًا مبنياً على الدراسة الموضوعية لثقافته وحضارته فإنّنا يجب ألا ننسى بأنّ غالبية روايات الرّحلات الأوروبية عن الشرق شأبها التّحامل ودأخلها الافتراض. فلا يُنكر بأنّ هذه الروايات أدت بشكل أو بآخر

les voyageurs anglais - Office des Publications Universitaires (O.P.U) - Alger - 1988 - p 139

- 15 - ينظر : رنا قبانى - أساطير أوروبا عن الشرق - مرجع سابق- ص 26.
- 16 - المرجع نفسه - ص 27.
- 17 - ينظر : المرجع نفسه - ص 27.
- 18 - ينظر : Edward Saïd - L'Orientalisme - مرجع سابق - ص 72.
- 19 - ينظر: باقر بري - إضاءات على كتاب الاستشراق لإدوار سعيد - دار الهادي للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى 2002 - ص61.
- 20 - المرجع نفسه - ص 67-68.
- ×× - Projection: هو عملية هجوم لاشعورية يحمي بها الإنسان نفسه من خلال الإصاق عيوبه وأخطائه ونقائصه ورغباته المحرّمة أو المستهجنة بالآخرين. ويمكن اعتبار ذلك عبارة عن لوم للآخرين على ما فشل هو فيه، بسبب ما يضعونه أمامه من عقبات وما يُوقعونه فيه من زلات أو أخطاء. وعلى سبيل المثال إنني أكره شخصاً ما ولكنّي أقول للآخرين هو يكرهني؛ بهذه الطريقة أتخفّف من إثمي. وبالعمى التحليلي النفسي المحض، يدلّ الإسقاط على العملية التي ينبذ فيها الشخص من ذاته بعض الصفّات والمشارع والرغبات وحتّى بعض "الموضوعات" التي يتنكر لها أو يرفضها دون أن تتدخل الواعية (الشعور) في استشارتها. فالغرائز، والنماذج البدئية « Archétypes » مجتمعة، تشكّل اللاشعور الجمعي الذي لا يتكون من محتويات فردية خاصة فقط، بل ومن محتويات جماعة أو أمة أو جنس بشري معيّن ويتكوّن كذلك من محتويات عالمية ذات حدوث نظامي.
- مزيد من التفصيل، يمكن مراجعة :
- كمال الدسوقي: ذخيرة علوم النفس - الدار الدولية للنشر والتوزيع - القاهرة، الجزء الأول، ص 695.
- و كذلك كتاب:
- جان لابلانج، ج. بونتايس- معجم مصطلحات التحليل النفسي- ترجمة: مصطفى حجازي- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر- الطبعة الأولى- 1985 ص70.
- 21 - ينظر : رنا قبانى - أساطير أوروبا عن الشرق - مرجع سابق - ص 84.

إلى توسيع معرفة الغرب للعالم؛ إلا أنّ هذه المعرفة كانت مشوّهة خدمت إلى حدّ بعيد الاستعمار ورؤيته الإمبريالية والتسلّطية. وللأسف لا يزال بعض هذا التشويه موجوداً بيننا حتّى اليوم بالرغم من زوال الاستعمار منذ مدّة. ولعلّ أصدق ما يدلّ على بقاء هذه الخلفية الذهنية المشوّهة عن الشرق لدى الغربيين هو ما يحدث الآن ونحن في القرن الواحد والعشرين، حيث ما يزال الشرق - والإسلام على وجه الخصوص- يُوسم بالعنيف والشهواني، بل ظهرت صفة أخرى أصقها هؤلاء بالإسلام والمسلمين والذين هم منها براء، هذه الصفة هي الإرهاب. فإذا كان العداة للإسلام جزءاً لا يتجزأ من البنية العقلية للشعوب الغربية والرّحالة الغربيين في القرون الماضية، فإنّه لا يزال كذلك - ونحن داخلون على الألفية الثالثة - ضمن البنية العقلية للإنسان الغربي واللاشعور الجمعي*** (Incocscient Collectif) الآن. ولا أدلّ على ذلك ما يحدث الآن في البلدان الإسلامية وما يلاقه المسلمون في العالم من حصار واستئصال تحت غطاء القضاء على الإرهاب الدولي الذي يمثّله هؤلاء.

- 22- ريتشارد ف. بيرتون - رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز - ترجمة وتعليق: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - دط- 1994 - الجزء1 - ص 85-86.
- 23- المرجع نفسه - ص 86.
- 24- يُنظر: المرجع نفسه - ص 86.
- 25- يُنظر: المرجع نفسه - ص 72.
- 26- ينظر: محمد راتب الحلاق- نحن والآخر - مرجع سابق - ص 16-17 .
- 27 - ينظر: برند مانوتيل فايشر - الشرق في مرآة الغرب - دار سراس للنشر (تونس) وديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - سنة 1983 - ص 65.
- 28 - روجيه غارودي - وعود الإسلام - الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة الأولى 1984 - ص 104.
- 29 - ينظر: المرجع نفسه - ص 21.
- 30 - المرجع نفسه - ص 139.
- ***- اللاشعور الجمعي Incocscient Collectif - هو، بالمعنى الذي حدّده " يونغ " : ما في لاشعور الفرد، ربما يكون من أصل سلفي أي يرجع للأسلاف. وهو مجموع الصفات غير الشعورية التي لم يكتسبها الفرد بل هي مورثة. وهي غرائز بما هي حوافز على القيام بأفعال تقتضيها ضرورة ما، دون أن تتدخل الواعية (الشعور) في استشارتها. فالغرائز، والنماذج البدئية « Archétypes » مجتمعة، تشكّل اللاشعور الجمعي الذي لا يتكون من محتويات فردية خاصة فقط، بل ومن محتويات جماعة أو أمة أو جنس بشري معيّن ويتكوّن كذلك من محتويات عالمية ذات حدوث نظامي.
- مزيد من التفصيل، يمكن مراجعة :
- كمال الدسوقي: ذخيرة علوم النفس - الدار الدولية للنشر والتوزيع - القاهرة، الجزء الأول، ص 695.
- و كذلك كتاب:
- كارل غوستاف يونغ: علم النفس التحليلي- ترجمة وتقديم: نهاد خياطه - دار الحوار- دمشق- الطبعة الأولى سنة 1985 ص293.

الإفصاح عن الذات



د. عبدالرحمن بن سليمان النملة

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كل منا يبحث عن صديق وفي يبيت له مكنون نفسه بحرية وتجرده، ذلك أن مناجاة الأصدقاء تزيل الكثير من الهم، لأنها تبعث على الراحة، وإعادة التوازن. لذلك اهتم الباحثون في الدراسات النفسية، وتحديداً في مجال الصحة النفسية بموضوع الإفصاح عن الذات Self-disclosure بوصفه يمثل دور الوسيط النفسي لتوافق الأفراد وصحتهم النفسية. إن مفهوم الإفصاح عن الذات يعد محكاً لتقييم الشخصية السوية لما له من فوائد كثيرة في تنمية وتطويرها المهارات الاجتماعية، وتحسين علاقات الفرد مع الآخرين، إفصاح الفرد وتعبيره عن ذاته يسهم في تحقيق فهم متبادل بين الأفراد في العلاقات التفاعلية مما يؤدي إلى تقوية هذه التفاعلات الاجتماعية والعلاقات اليبينية بين الأفراد.

ويسهم الإفصاح عن الذات في تحسين مستوى الصحة النفسية لدى الفرد بصفة عامة، حيث يُعدُّ، حسب العديد من الدراسات بمثابة عامل وقائي ونقطة محورية في التدخل للوقاية وعلاج بعض الأمراض والاضطرابات النفسية، وخاصة ما يتعلق بإيذاء الذات لدى المراهقين من الجنسين.

ويرى بعض الباحثين أن "الإفصاح عن الذات يساعد في تحقيق فهم أفضل للفرد عن ذاته، كما تبين ارتباطه إيجابياً بالتقدير الإيجابي للذات وبالترابط الأسري"¹ ويعرف الإفصاح عن الذات بأنه "عملية الكشف عن الذات وإظهارها بحيث يتمكن الآخرون من التعرف عليها وإدراكها، ويتضمن هذا الكشف المشكلات الاجتماعية والنفسية والصحية والاقتصادية، والطموحات المستقبلية والآراء والاتجاهات وبعض الأسرار الخاصة والأسرية"². ويساعد إفصاح الفرد عن ذاته على التواصل الجيد مع الآخرين والتفاعل الإيجابي معهم، خاصة إذا تم الإفصاح عن خبرات الفرد ومشاعره للآخرين بشكل متبادل مما يولد الشعور بالقرب والتواد مع الآخرين.

والإفصاح عن الذات يُعدُّ عملية يقوم الفرد من خلالها بإفشاء بعض المعلومات الشخصية لفرد آخر دون غيره من أفراد المجتمع، فهو بذلك يعكس طبيعة العلاقة التبادلية للاتصال الشخصي. فعندما يفصح الطرف الأول عما يدور في خلدّه ويظهر الطرف الثاني الاهتمام والتفهم لما يقوله زميله، فإن عملية الاتصال تحدث بين الطرفين بشكل آني ومستمر. ويعتمد الفرد على خبراته

السابقة في اختيار الشخص المناسب لهذا النوع من الاتصال الشخصي، فكلما ازدادت ثقنا في شخص ما، كلما ازداد مقدار ما نصصح له من معلومات عن ذاتنا، وعادة ما تكون هذه الثقة مبنية على مدى تقبلنا لردة فعله المتوقعة تجاه المعلومات المفصح عنها.

ويؤكد بعض الباحثين³ على أهمية معرفة الفرد لمستوى إفصاح الذات لديه، خاصة وأن لكل فرد مستوى مختلفاً من الحاجة للحميمية، فبعض الأشخاص يشعرون بالارتياح عندما يتحدثون عن خبراتهم الشخصية، وبعضهم يشعر بالتوتر، وهذا مؤشر على المستوى المتدني من الألفة والمودة بين الفرد والآخرين، ذلك إن انخفاض مستوى إفصاح الذات قد يؤدي إلى أن يكره الفرد نفسه، وأن يشعر بالعزلة وعدم مشاركة الآخرين، كما يعوزه نقص التغذية الراجعة (رد فعل الآخرين) عن مدى سلامة أفكاره، بالإضافة إلى الشعور بالخجل وعدم القدرة على حل المشكلات. وللإفصاح عن الذات آثار إيجابية على الفرد، ذلك أنه عندما يخوض الفرد علاقات اجتماعية مع الآخرين ويتفاعل معهم يحدث تبادل للإفصاح عن الذات، يتضمن البوح ببعض الخبرات الشخصية عن نفسه، مما يؤدي إلى التهدئة والتخفيف من الحالات الانفعالية السلبية، التي قد تتصاحب مع الخبرات الحياتية الضاغطة التي خاضها الفرد، فيشعر بالارتياح عندما يبوح بها ويناقشها مع أفراد يثق بهم أو مقربين إليه. إذ "من الأهمية أن يفشي الفرد ويفصح عن بعض الخبرات والمشاعر السلبية التي تؤرقه، حيث تبين أن

الأفراد ذوي الإفصاح المرتفع عن ذواتهم لديهم مستويات أعلى في الصحة النفسية من الذين يفضلون التكتّم وعدم البوح عن مشاعرهم وخبراتهم السلبية للآخرين"⁴. ويختلف الأفراد في مقدار ما يفصحون به من معلوماتهم الشخصية للآخرين، فقد ذكر الباحثان جوزيف لوفت (Joseph Luft) وهاري إنجهام (Harry Ingham) أن الفرد لا يدرك جميع المعلومات المتعلقة بذاته، كما أن الآخرين لا يدركون جميع المعلومات المتعلقة بذلك الفرد. ولتوضيح كيفية حدوث عملية الإفصاح عن الذات فقد طور الباحثان نموذجاً أطلقوا عليه "نافذة جوهاري" (Johari Window)، حيث تم تقسيم الذات البشرية إلى أربع مناطق رئيسية، وحسب سيلر وبييل (2006م & Seiler Beal)، فإن هذه المناطق هي:

1. المنطقة المكشوفة: وتحتوي معلومات لا يمكن للفرد إخفاؤها عن الآخرين، مثل لون الشعر والمظهر العام والوظيفة، إضافة إلى معلومات يقدمها لهم طواعية.
2. منطقة الأسرار: وتحتوي معلومات يعتمد الفرد إخفاءها عن الآخرين، فهناك أمور لا نريد للبعض أن يعرفها عنا، ومن ثم نسعى إلى حجبها عنهم، فعلى سبيل المثال قد يخفي الطالب عن والديه أن النتيجة السيئة التي حصل عليها في امتحان ما، كانت بسبب تقصيره في الدراسة، بينما لا يجد حرجاً من ذكر هذا السبب لأصدقائه المقربين.
3. المنطقة العمياء: فهناك معلومات لا نعلمها عن أنفسنا لكنها ظاهرة للآخرين، فقد يظن الواحد أنه قائد غير ناجح بينما يرى زملاؤه تحليه بمهارات قيادية فذة، ولعل أوضح مثال على ذلك نزوع بعض الأشخاص إلى تكرار كلمة معينة بشكل مستمر في أثناء حديثهم (مثل تكرار كلمة "يعني" أو "في الحقيقة") أو إحداث حركة لا إرادية عندما تسلط عليه الأنظار (مثل هز الركبة أو التبسم).
4. المنطقة المجهولة: وهي منطقة غير معروفة من الجميع، وتمثل جميع أبعاد شخصياتنا، التي لم يتم اكتشافها حتى الآن، فقد يظن الواحد منا أنه شجاع إلى أن يتعرض لخطر محقق فيكتشف خلاف ذلك.

ويمكن القول: إن مساحات الإفصاح وعدم الإفصاح الخاصة بالفرد تختلف باختلاف الشخص المقابل، بل إنها تختلف مع نفس الشخص من وقت لآخر. فكلما زادت درجة الثقة بين طرفي الاتصال، كلما ازدادت مساحة المنطقة المكشوفة، وهذا لا يعني بأن الفرد سيقوم بالإفصاح عن معلومات أكثر للشخص المقابل فقط، بل

إنه على الأرجح سيكتشف أموراً أخرى في ذاته لم يكن يعرفها من قبل، وتزداد مساحة هذه المنطقة كلما كانت العلاقة مع الآخر أقوى.

وهناك بعض العوائق التي تحول دون إفصاح المرء عن ذاته⁵، نذكر منها:

- الخوف من ظهور عيوبك للآخرين: قد تعتقد أن الإفصاح عن الذات سيظهر للطرف الآخر القصور في شخصيتك أو في المهارات التي تتمتع بها، وهذا ما يدعو كثيراً من الرجال إلى التردد في طلب المساعدة عندما يصلون الطريق، لكي لا يظن الطرف المقابل أنهم تائهون أو أنهم لا يملكون القدرة على تحديد الاتجاهات.
- الخوف من أن يصبح رفيقك ناقداً لك: ربما تظن أنه عندما تطلع شخصاً ما على نقاط ضعفك فإنك بالتالي ستصبح عرضة لهجومه عليك.
- الخوف من أن تفقد شخصيتك: فالبعض يرى أن هناك بعض الأمور الخاصة بهم التي لا ينبغي لأحد أن يطلع عليها، وقد يكون هذا الخوف ظاهراً لدى الشباب في مرحلة المراهقة بصورة أكثر، حيث تزداد رغبتهم في الاعتماد على أنفسهم واتخاذ قراراتهم الخاصة دون الرجوع إلى الوالدين أو الأخ الأكبر.
- الخوف من أن تفقد زميلك: فقد يكون لدى أحدهم سر دفين لو أطلع عليه زميله لربما أدى إلى ابتعاده عنه أو إلى إنهاء الصداقة التي بينهما، لذا فقد يتردد في إخبار زميله مثلاً بأنه كان يتعاطى المخدرات عندما كان شاباً خوفاً من أن يؤدي الإفصاح عن هذا السر إلى فقد ذلك الصديق.

وخلاصة القول: إن الإفصاح عن الذات يساعد على نمو وتطور العلاقة بين الأشخاص، كما أن الإفصاح غير المناسب يمكن أن يسيء إلى تلك العلاقة، ويتميز الأفراد ذوو الإفصاح المرتفع عن ذواتهم، بالمهارات الاجتماعية والاستعداد الاجتماعي المرتفع، وكذلك تتميز شخصياتهم بالانسيابية والقدرة على التفاعل مع الآخرين. كما يتيح الإفصاح عن الذات للفرد الفرصة أن يثق بالآخرين، لدرجة تسمح له بالبوح عن خبراته ومشاعره الذاتية، مما يساعده على أن يتخلص من أعبائه النفسية من خلال التنفيس الانفعالي لمشاعر مؤلمة أو مخجلة مما يحسن من صحته النفسية.

كما أن إخفاء حقيقة الذات عن الآخرين قد اتضح لدى بعض الأفراد من الجنسين الذين يعانون من الرهاب الاجتماعي وعدم القدرة على التعبير العاطفي، بالإضافة إلى شعورهم بالوحدة النفسية.

الهوامش:

- 1 - بانيني وفارمر وكلاارك وبارنت (1990م Panini Farmer, Clark & Barnett).
- 2 - الباكر، 1996م.
- 3 - هوك وفرشتاين ودتريتش وجريدلي (2003م Hook, Gerstein, Detterich & Gridley).
- 4 - خان وهسلينغ (2001م Kahn & Hessling).
- 5 - ناب وفينغليستي (2000م Knapp & Vengelisti).

أهم المصادر:

- الباكر، جمال محمد (1996م). "مقياس الإفصاح عن الذات"، كراسة التعليمات. القاهرة: دار الفكر العربي.
- Hook, M., Gerstein, L., Detterich, L. & Gridley, B (2003). How close are we? Measuring intimacy and examining gender differences. Journal of Counseling & Development, 4 (81), pp. 462472-.
- Kahn, H. & Hessling, M. (2001). Measuring the tendency to conceal versus disclose psychological distress. Journal of Social and Clinical Psychology, 20, pp. 4165-.
- Knapp, M. L. & Vengelisti, A. L. 2000. Interpersonal Communication and Human Relationships. Boston, MA.: Allyn and Bacon by Pearson Education, Inc.
- Panini, R., Farmer, F., Clark, M. & Barnett, K. (1990). Early adolescent age and gender differences in patterns of emotional self-disclosure to parents and friends. Adolescence, 25 (100), pp. 959977-.
- Seiler, W. J. & Beal, M. L. 2006. Communication: Making connections. Boston, MA.: Allyn and Bacon by Pearson Education, Inc.



وبحثهم عن العدالة الاجتماعية



د. عمار الجنيدي

الأردن

برزت ظاهرة الصعلكة عند العرب منذ بدايات العصر الجاهلي، كأسلوب حياة وكقيمة فكرية، لأسباب فرضتها البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي عاشوها في تلك الحقبة.

وهي بوصفها ظاهرة اجتماعية جاءت كرد فعل على بعض العادات والممارسات التي فرضها النظام المالي، الذي ساد في تلك الحقبة، فخرجوا على هذا النظام ثائرين؛ ليأخذوا بالقوة ما حرموا منه، أخذين بثأرهم من الأغنياء البخلاء في مجتمع لا قانون ولا محاكم منظمة فيه.

وعُرفت طائفة الصعاليك الشعراء ممن اشتهرت حياتهم وشعرهم بموضوعات وأسلوب وغايات معينة، وخاصة: بطيئة الصعاليك الفقراء، فقد عرّف معجم لسان العرب الصعلوك بأنه: «الفقر الذي لا مال له»، وقالوا عن صعاليك العرب إنهم: «ذؤبان العرب» وذؤبان العرب: «لصوصهم وصعاليكهم»، وقالت العرب: «تصعلك الرجل أي افتقر».

وفي عرف التاريخ الأدبي: هم جماعة من مخالفي العرب الخارجين عن طاعة رؤساء قبائلهم، الذين كانوا يحكمون وفقاً لمأثور عادات العرب وتقاليدهم..

ومع تطوّر دلالة هذا المصطلح: أصبح يدل على طائفة من الشعراء ممن كانوا يمتنون الغزو والسلب والنهب، ينهبون أموال الأغنياء، ويخاطرون بحياتهم من أجل سد رمق الفقراء وحاجته فيكفلونهم بذلك أسباب الحياة.

ثم اكتست كلمة الصعلكة معنى جديداً بسبب إمعان الصعاليك بالفتك والقسوة والسلب والنهب والترويع، فصارت تعني: النزوع الثوري، حيث كان الاقتران بهذا الاتجاه الثوري يُحتمّ على الصعلوك لأن يكون شجاعاً فارساً شاعراً سريع العدو مدركاً للفوارق الطبقية بين الأغنياء والفقراء، بحيث يحسّ بالألم الناتج عن فقره وعجزه عن التكفل بمتطلبات حياته اليومية والخبرة بدروب الصحراء.

واتضح نزعات الصعاليك بأنهم كانوا يسيطون على قوافل وأموال الأغنياء البخلاء، ويخولون الأغنياء الكرماء وكانوا يقتسمون بالتساوي ما يفتنون، وكانوا يتصرفون بالنجدة والإيثار وعطفهم على الفقراء العاجزين، ويفاخرون بصعلكتهم أيما فخر، ويرون فيها قصاصاً من الأغنياء البخلاء وفتوة وتضامناً اجتماعياً و"اشتراكية قسرية"، وكان أدبهم متخماً بالأخلاق صادقا في تصوير حياتهم ومذاهبهم عاكساً صدق واقعهم خال من الغزل مُكثرين من مخاطبة زوجاتهم عبر أشعارهم، واشتهر منهم (عروة بن الورد) و(السليك بن السلعة) و(تأبط

شراً) و(الشنفري) و(عمر بن برّاقة) وغيرهم. القبائل العربية المنتشرة في بطاح صحرائها، لم تكن على مستوى متشابه في الغنى والخصوبة، فالكثير منها كان موغلاً في الفقر والجذب، بينما تجد قبائل أخرى على النقيض من الخصوبة ووفرة النتاج الغذائي، مما أفرز طبقة من الفقراء المعدمين الذين ثاروا على طبقة الأغنياء الملاك المترفين، واحترفوا الغزو والنهب للحصول على قوتهم، فراحوا يطلبون أرزاقهم بالإغارة على القبائل الأخرى، ينهبون القوافل الصغيرة ويسرقون الإبل ويغيرون على الأسواق.

أما النظام الاجتماعي الذي حكم القبائل العربية آنذاك فقد كان له دور الحسم في بروز ظاهرة الصعلكة، حيث إن القبائل لم تكن راضية عن سلوكيات بعض أبنائها، الذين كان لهم عداوات وثارات مع أبناء القبائل الأخرى، فخلعتهم لسوء سلوكياتهم، لأن وجودهم في القبيلة مجلبياً للثأر والاعتداء عليهم، فبترأت منهم لكي لا تتحمل وزر جرائم جنائياتهم على القبائل الأخرى، وعرفت هذه الطبقة بال«الخلعاء».

ووجد الكثير من أبناء الحبيشيات - الذين تسرب إليهم السواد - منبوذين، غير متساوين في حقوقهم مع أبناء العرييات الحرائر، بل وغير معترف بنسبهم إلى آبائهم، وإحساسهم بظلم المجتمع لهم؛ مدفوعين للخروج على قبائلهم للمطالبة بالاعتراف بنسبهم وحقوقهم، كمنثرة ابن شداد، وهؤلاء عرفوا بـ«الأغربة السود».

اكتسب الصعاليك شهرتهم من تمردهم على قيم وقانون المجتمع الجاهلي، ومن الطبايع والسجايا التي كانوا يتمتعون بها، كالشهامه والفروسية وإجادتهم قول الشعر ومناداتهم بالعدالة الاجتماعية، حيث إنهم توحدوا وأشاعوا بينهم نوعاً من العدالة الاجتماعية، التي تقوم في أهم دعائمها على المساواة، فتوزعوا الفنائم بالتساوي بينهم أولاً، ثم ما لبثوا أن تعاطفوا مع الفقراء، ليوزعوا الفنائم عليهم ويقتسموها معهم.

لا يعرف (أبو اللؤلؤ) من أين جاءت هذه الكنية، فهو قد تجاوز الخمسين منذ عدة سنوات، ولم يتزوج، ولم يأتِه (لؤلؤ)، أو لم تأتِه (لؤلؤة)... فهو زاهد في النساء، فما بالك في الزواج؟ ومع ذلك هو يحب كثيراً هذه الكنية، ولم لا؟ فهو رجل مثل بقية الرجال... وليس يليق به أن يُنادى باسمه مجرداً...

أبو اللؤلؤ هذا يعمل (صباحاً).. نعم.. لا تستغربوا... صباحاً ماذا؟ صباحاً سيارة أجرة (سيرفيس) حيّ طريق الباب.. وأحياناً حيّ الحيدرية.. فهو يصيح من الفجر الأول إلى ما بعد الغروب بأعلى صوته، لينادي على الزبائن أن يركبوا سيارة معلّية... نعم هو له أكثر من معلم... معلّمه الأول منذ الفجر وحتى الثانية بعد الظهر (أبو عمر) وهو سائق متفرغ.. ومن الثانية بعد الظهر وحتى العشاء (أبو أدهم)، وهو معلّمه الثاني... وكل واحد منهما أصغر منه سناً... ومع ذلك لا يتوقفون عن كيل الشتائم له والسباب ربّما على عدد الركاب... أو على عدد الليرات التي يجمعها من زبائنه... ثم هم يُظهرون نزقهم منه لأيّ حديث يستمع إليه من أحد الركاب... وربّما لانتباهه لحوار بين راكبين أو راكبتين...

وبرغم أنه (صباح)، فلا تكاد تسمع صوته لا في العمل ولا في الحيّ إلا نادراً... فالجملة عنده عصية... ومن أجل تأمين حاجياته.. أو الدفاع عن نفسه من اتهام... أو التعبير عن سرور... لا تكاد تسمع منه إلا كلمة واحدة أو كلمتين... إما بصوت خفيض مليء بالحياء... وإمّا بصياح فيه زمجرة الأقياء...

يحاول كثيرون من مالكي (الميكرويات) أن يستميلوا قلب (أبو اللؤلؤ) للعمل معهم... ويغرونه بأجر أكبر ممّا يتقاضى... بهزّ كفيه إلى الأعلى... يقول (مأ!!!)، وأحياناً يكرّرها ثلاثاً... تعبيراً عن الرفض... أبو اللؤلؤ معروف في حيّ (كرم القاطرجي) منذ زمن بعيد... منذ أن كان له صديق يُدعى (أبو رحمو)...

صديق واحد

كانا متحابين... تراهما في أوقات الفراغ مع بعضهما لا يفترقان... يحبّان أكل (الفول المدمّس) ليس لوحدهما فقط، بل يجمعان كثيراً من رجال الحارة... وهما لا يشتريانه جاهزاً... بل يجهّزانه منذ أذان الفجر على نار هادئة...

وعندما مات صديقه (أبو رحمو) صار القبر صديقه.. فهو لا يتوانى عن زيارته كل صباح.. وقبل كل غروب.. وكان مروره دقائق معدودات.. ينتهزها من عمله ببراعة نادرة.. لا تزعج أياً من معلّيه..

يتجمّع حوله أولاد الحيّ وشبّانه.. يسألونه: كيف مات أبو رحمو؟ يجيبهم بعد إلحاح: مات وانتهى... وما لكم في الرجل.. ألم يكتمكم الأحياء حتى تلحقوا الأموات؟ ثم يعلق قائلاً: يا ليتني أموت كما مات... ثم يهرب منهم إلى غرفته الصغيرة التي تركن في زاوية معتمة من الحيّ... وحقيقة الأمر أنّ (أبو رحمو) مات فجأة.. بعد جدال مع معلّمه.. الذي قال له بعد عشرين سنة من العمل معه: "أبو رحمو.. هذا حساب أجرتك هذا الأسبوع.. وهذه فوّه إكرامية.. ومن الغد ابحث عن عمل آخر"...

يا ربّي.. ماذا فعلت؟ وكيف سأعيش؟ عشرون سنة وأنا في خدمته.. ولم أزعجه يوماً.. ومنذ يومين وأنا مريض، ولم أقدر على الذهاب إلى العمل.. هل هذا ذنبي؟ هل لي ذنب آخر؟؟؟؟

وعاد إلى بيته.. وبكى كما لم يبكي من قبل.. لا لشيء.. إلا لغموض معلّمه.. ولجهله سبب الغموض والموقف.. لم يدرك بيكائه سوى أبو اللؤلؤ... فقد قضى معه ساعات قبل أن يدخل بيته... وهو الوحيد الذي عرف شيئاً من سبب حزنه...

لم يفهم أحد من أهل بيته سبب البكاء.. ولا شعروا باشتداد المرض عليه.. تركوه يذهب إلى فراشه.. لعلّه يغالب المرض.. وعندما دخلوا إليه في وقت متأخر من الليل وجدوه قد انتهى.. لا حركة جسده الأصفر الشاحب..

بقلم: محمد بن يوسف كرزون

لم يتمكّن من (التصبيح) على أبو اللؤلؤ.. لأنّ الموت قد أتاه وانتهى... فلم يخطر على باله أنّ لقاءه بأبو رحمو هو آخر لقاء..

أبو اللؤلؤ لمن سيشتكو همّه بعد اليوم؟ ومن سيحضّر الفول معه؟ ومن سيبادلته بالحديث عن الهموم الكثيرة؟ ومن سيساعده على الزواج من أخت أبو رحمو؟ وأحبّها لأنها أخت أبو رحمو.. صحيح لم يتكلم معها ولا حرف.. ولكن نظراتها له ونظراته لها تجعل قلبه يطير فرحاً..

وينتظر الفرح القريب.. وأبو رحمو صارحه بزواجهما.. وفجأة.. وبعد أيام من وفاة أبو رحمو يضحّ في الحيّ خبير خطوبة (فريدة)، أخت أبو رحمو من المعلّم.. لم يصدّق ما سمع: أسبوع واحد فقط مضى على وفاة أخيها.. معقول أن تُقدم أسرتها على خطوبة من هذا النوع؟ الناس في بلادنا ينتظرون حتى مرور 40 يوماً على الأقل.. ثم هي كيف وافقت؟ وتطاوت أسئلته.. وكثرت حتى التفت عليه.. وملأت غرفته حتى السقف.. حرّك يديه وكأنّه يدفع خيوط الأسئلة وحبالها عن رقبته.. ونام..

في الصباح.. تذكر صديقه مثل كل يوم.. ونسي الدنيا كلّها.. سوى أن قدّم لأخت أبو رحمو باقة ورود صغيرة وقال لبائع الورود: اكتب عليها (أبو اللؤلؤ يتمنى لك السعادة والخير)...

ومن يومها لا يتكلم أبو اللؤلؤ.. هو يصيح.. صباح.. ولكنه لا يتكلم إلا مع أحجار قبر صديقه...

ملاحظة

1: كتبت الكنية (أبو رحمو) دون إخضاع لتواعد النحو، لأنّ أهل حلب يلفظونها هكذا.. وأنا تركتها مبنية على الحكاية.

2: الميكرو: هو الميكرو باص سيارة نقل متوسطة الحجم تتسع لما بين 7 إلى 13 راكباً.. حسب نوعها...



السيوطي ..

أ نموذج العالم المتشارك في التراث العربي الإسلامي

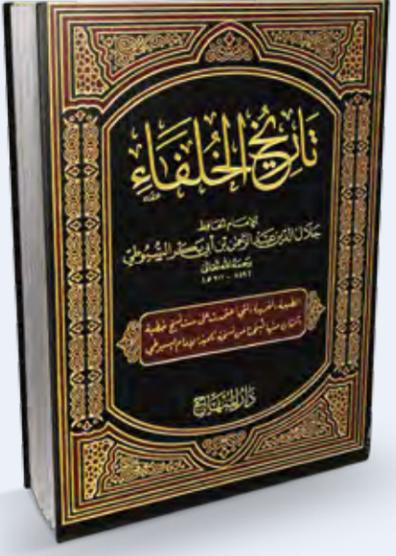
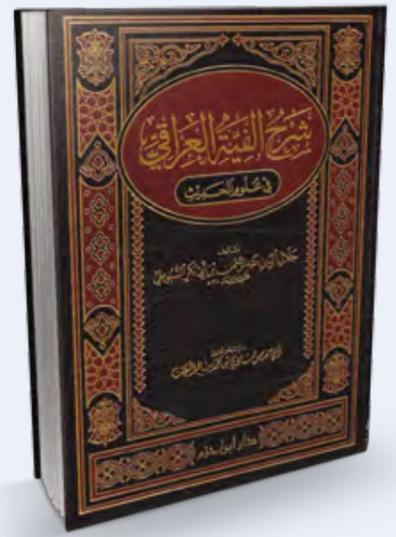


بقلم: د. فريد أمعشوشو

باحث مغربي

نطالع ونسمع كثيراً بأن فلاناً متخصص، مثلاً، في الشعر، أو النقد، أو الفقه، أو القانون، أو غيرها من ميادين المعرفة والإبداع. بل إننا نجد بعضهم متخصصاً فيما هو أدق؛ كأن يتخصص في طبّ العيون، أو في دراسة شعر التفعيلة، أو في زكاة الأنعام، أو في غيرها من المجالات العلمية والأدبية والفنية الدقيقة.. إن الأمر يتعلق بظاهرة التخصص العلمي التي يراها الكثيرون ذات فائدة عميقة من منطلق أن المشتغل بعلم ما، حصراً، يكون عطاؤه فيه أوفر، ويكون حوضه فيه أعمق، بخلاف من يسهم في مجالات عدة إسهاماً يشتت جهده، ويجعل مردوده أضعف وأقرب إلى السطحية في نظرهم، ظانين - ربما - أن العالم غير مستطيع التمكن من علوم عدة وإذا عدنا إلى تاريخ أمتنا العلمي محاولين التعرف إلى سير علمائنا الأجلاء، فسندلفي أنهم كانوا - في الغالب - لا يقصرون اهتمامهم على علم من العلوم، بل كانوا يخوضون في جملة ميادين معرفية، قل عددها أو كثر، ويؤلفون فيها كتباً ورسائل. لذا، تجد الواحد منهم أديباً، وفقهياً، وفلكياً، وطبيباً... وهذا ما يعبر عنه أصحاب التراجم القدامى بلفظ "المشارك"، أو ما يعبر عنه - حديثاً - بمصطلح "المُسوعي". والأمثلة على ذلك من الوفرة بمكان في

تراثنا العلمي الغني، ولعل من أبرزها حالة جلال الدين السيوطي، رحمه الله، علامة عصره، وفريد دهره، ونبأته مضمرة... التي تقوم دليلاً خريماً على أننا عرفنا نموذج "العالم المشارك" قبل أن يظهر، بقرون كثيرة، ما سمي بـ "المُسوعيين" (الأنسكلوبيديين) بفرنسا، خلال القرن الثامن عشر (عصر الأنوار)، الذين كتبوا في ألوان عديدة من المعرفة؛ كما قال د. أحمد عزت عبد الكريم. يلفت انتباهنا، لدى الاطلاع على متأثر التراث العلمي الذي خلفه أسلافنا، على امتداد الأعصر والأزمان، ظاهرة ترجمية تستحق منا الوقوف عندها، ودراستها دراسة تحليلية ومقارنة، وهي ترجمة العالم أو الأديب لنفسه؛ الأمر الذي يقوي فرضية ظهور فن السيرة الذاتية (الأوتوبوغرافيا) في تراثنا الأدبي، أو على الأقل انطوائه على إرهاباته وبيذوره. فقد عمد مجموعة من علمائنا، قديماً، إلى كتابة سيرهم بأنفسهم، إما في أحياز محددة داخل كتبهم؛ على نحو ما فعل ابن الخطيب السلطاني (ت 776هـ) في آخر كتابه الموسوم بـ "الإحاطة في أخبار غرناطة"، وإما في كتب مستقلة؛ كما فعل السيوطي في كتابه "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" (جزآن)، وفي كتابه "التحدث بنعمة الله" (جزء واحد).



وإن السيوطي، بمباشرة هذه الترجمة الذاتية، كان على علم بأنه يقلد علماء سابقين فعلوا الشيء نفسه، ولا سيما في مجال الكتابة التاريخية، وبأنه ليس مُدشّن هذه العادة في الثقافة العربية الإسلامية؛ إذ قال في "حسن المحاضرة": "وإنما ذكرتُ ترجمتي في هذا الكتاب اقتداءً بالمحدثين قبلي، فقل أن آلف أحدٌ منهم تاريخاً إلا وذكر ترجمته فيه. وممّن وقع له ذلك الإمام عبد الغفار الفارسي في "تاريخ نيسابور"، وياقوت الحموي في "معجم الأديب"، ولسان الدين بن الخطيب في "تاريخ غرناطة"، والحافظ تقي الدين الفارسي في "تاريخ مكة"، والحافظ أبو الفضل ابن حجر في "فضة مصر"، وأبو شامة في "الروضتين"، وهو أزوعهم وأزهدهم". (335/1 - 336) ونضيف إلى هؤلاء المذكورين، هنا، ابن خلدون الحضرمي (ت 808هـ)، الذي عرّف بنفسه في آخر أجزاء كتابه المعروف "العبر"؛ هذا الجزء الذي نُشر في كتاب مستقل - لاحقاً - عنوانه "التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً" (تحقيق محمد بن تاويت الطنجي).

مما استهل به السيوطي ترجمته ذكره نسبه مفضلاً. فهو جلال الدين عبد الرحمن ابن الكمال بن أبي بكر محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضير الأسيوطي؛ نسبة إلى أسيوط، أو سيوط، عاصمة الصعيد المصري. ويكنى بأبي الفضل. وهو سليل عائلة عريقة، قيل: إن أجدادها قدموا إلى مصر من بغداد، عُرفوا بالمكانة الاجتماعية والتجارة والزهدي وفعل الخير والعلم، واشتهر في هذا الأخير عددٌ من أفراد تلك العائلة، أبرزهم والده الذي كان، كذلك، قاضياً؛ على حدّ تعبير عبد الرحمن السيوطي نفسه في الترجمة المشار إليها؛ إذ قال: "ولا أعرف منهم من خدم العلم حقّ الخدمة إلا والدي".

وقد وُلد الرجل "بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب

سنة 849 هـ"، في القاهرة، وعانى مرارة اليتم، وعمره دون الست سنوات، بموت أبيه. وحفظ القرآن الكريم كاملاً دون الثامنة من عمره، وقرأ كتباً كثيرة جداً؛ فأحبّ العلم وهو صغير، وكان لوالده إسهامٌ كبير في هذا الصدد؛ لأنه كان يصحبه معه إلى مجالس العلماء. ويمرور الأعوام، لأزّم المشايخ، وتلقى عنهم العلم، وعددهم 150، ترجم لهم في معجم خاصّ سمّاه "حاطب ليل وجارف سيل"، ومنهم الإمامان سراج الدين البلقيني وابن حجر العسقلاني اللذان كان يعدّهما قدوته في العلم؛ بحيث ذكر أنه دعا الله، وهو يشرب من ماء زمزم ممّا حَجَّ، أن يصل في الفقه درجة البلقيني، وفي الحديث درجة ابن حجر. ومنهم، أيضاً، تقي الدين الشمني، وهو أحد شيوخه في العربية، وأستاذه محيي الدين الكافيجي الذي دامت مدة ملازمته له أربع عشرة سنة. وعاصر السيوطي، الذي عاش في آخر العهد المملوكي، كثيراً من العلماء؛ من مثل السخاوي، وابن إياس، والقسطلاني. وعُرف عنه الارتحال لطلب العلم، وملافاة الشيوخ، ومعرفة طبائع الناس وعوائدهم في البلدان الأخرى؛ إذ سافر إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور، وقد أفاده ذلك كثيراً فيما صتّفه، علماً بأنه كان مؤرخاً ذا تأليف عدة في هذا المجال على نحو ما سنذكر فيما بعد.

وجلس السيوطي للإقراء والتدريس بعد نيّله الإجازة من عدد من شيوخه في العلوم الشرعية والأدبية. فقد أجزى للتدريس وهو ممّا يتجاوز بعد السابعة عشرة من عمره، في مطلع سنة ستّ وستين وثمان مئة؛ ممّا يدل على ذكائه ونباهته وسعة معرفته في تلك السنّ المبكرة. ولعل أبرز المؤسسات التي درّس فيها اثنتان: جامع ابن طولون المشيد في القرن الهجري الثالث، والشيخونية بعد وفاة عثمان المقدسي. وكان يتولى تدريس جملة علوم نبع فيها، وتضلع منها، وفي مقدمتها الحديث النبوي الشريف ومصطلحه وعلومه عامة. وقد ذكر هذه العلوم قائلاً: "رَزَقْتُ التبحُّر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو،

أن العالم غير مستطيع التمكن من علوم عدة؛ وإذا عدنا إلى تأريخ أمتنا العلمي محاولين التعرف إلى سير علمائنا الأجلاء، فسندلفي أنهم كانوا - في الغالب - لا يقصرون اهتمامهم على علم من العلوم، بل كانوا يخوضون في جملة ميادين معرفية، قل عددها أو كثر، ويؤلفون فيها كتباً ورسائل. لذا، تجد الواحد منهم أديباً، وفقهياً، وفلكياً، وطبيباً... وهذا ما يعبر عنه أصحاب التراجم القدامى بلفظ "المشارك"

يَلَفَتْ انتباهنا، لدى الاطلاع على متأثر التراث العلمي الذي خلفه أسلافنا، على امتداد الأعصر والأزمان، ظاهرة ترجمية تستحق منا الوقوف عندها، ودراستها دراسة تحليلية ومقارنة، وهي ترجمة العالم أو الأديب لنفسه؛ الأمر الذي يقوي فرضية ظهور فن السيرة الذاتية (الأوتوبوغرافيا) في تراثنا الأدبي، أو على الأقل انطوائه على إرهاباته وبيذوره. فقد عمد مجموعة من علمائنا، قديماً، إلى كتابة سيرهم بأنفسهم

والمعاني، والبيان، والبدیع، على طريقة العرب البُلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة". وفي آخر قوله هذا إشارة واضحة إلى أنه تلقى تلك العلوم، ودرّسها كذلك، بالطريقة التعليمية الأصلية لا بالطريقة المتأثرة بالمنطق الأرسطي وبالمؤثرات الأجنبية بصفة عامة. وتأتي بعد هذه المعارف علومٌ أخرى، هي: أصول الفقه، وعلم الكلام، والصرف، والإنشاء والترسل، والقراءات، والطب، والتاريخ، والتصوف. وثمة علمان ابعد عنهما السيوطي لأسباب محددة، أحدهما الحساب الذي كان يجد مشقة بالغة في استيعاب مسائله؛ إذ قال عنه: "فهو أَعَسر شيء علي، وأبعد عن ذهني. وإذا نظرت في مسألة تتعلق به، فكأنما أحاول جبلاً أحمَله". والثاني هو علم المنطق، الذي نأى عنه لأنه رأى غير ذي نفع، وأن دراسته مُضِرّة؛ ولذلك - كما قال - "تركته، فمَوْضُنِي اللهُ تعالى غيرَه: علم الحديث، الذي هو أشرف العلوم". على أن تركه المنطق ليس معناه أنه كان يجهله أو يشقّ عليه أمر فهمه كما هو الحال بالنسبة إلى علم الحساب، بل الحقيقة عكس ذلك؛ ذلك بأن الرجل قد ألف فيه "القول المشرق"، محرماً الاشتغال به، ومعبراً عن كرهه له، لاسيما بعد أن أفتى ابن الصلاح بتحريمه، وكذا كتاب "صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام".

وبعد الحفظ، والأخذ عن شيوخ العلم، والجلوس للتعليم، شرع السيوطي في التأليف انطلاقاً من سنة 866 هـ: حيث قال: "وقد ألفت في هذه السنة، فكان أول شيء أفتته "شرح الاستعاذة والبسملة"، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقيني، فكتب عليه تقرّيباً". وتوالت، بعد ذلك، تأليفه، التي بلغت المئات، في شتى الميادين العلمية التي كانت معروفة إلى زمانه؛ وبذلك، "دخل التاريخ من أوسع أبوابه": على حدّ عبارة أحد الدارسين المحدثين.

ومارس الإفتاء، وهو مقامٌ جليل وخطير، في الوقت نفسه، لا يبلغه إلا الراسخون في العلم، المتفقهون في أبوابه، وهو دون الثانية والعشرين من عمره؛ فافتى في كثير من النوازل والقضايا، وكان حريصاً على تقييد فتاواه وإجاباته، التي جمع جملةً وإفراة منها في كتابه "الحاوي للفتاوى".

لقد أهدت هذه المسيرة الحافلة بالعبء العلمي صاحبها لأن يكون مجتهداً؛ كما قال هو نفسه، وكان يرى أن باب الاجتهاد يظل مفتوحاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأنه واجبٌ وجوباً كفاً على الأمة في كل عصر ومصر، منتقداً من يقف في وجه ذلك، قائلاً عنهم في أول رسالته الموسومة بـ"الرد على من أخذ إلى الأرض، وجعل أن الاجتهاد في كل عصر فرض": "وبعد، فإن الناس قد غلب عليهم الجهل وطمّهم، وأعماهم حبّ العناد وأصمّهم، فاستعظموا دعوى الاجتهاد وعدّوه منكراً بين العباد. ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرضٌ من فروض

الكفايات في كل عصر، وواجبٌ على أهل كل زمان أن تقوم به طائفة من كل قطر". وذكر السيوطي أنه لم يبلغ مرتبة الاجتهاد إلا بعد أن تقدّم به العُمَر، وأخذت ملامح الكبر تبدو عليه، فقال في "حسن المحاضرة": "وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد - بحمد الله تعالى - أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله لا فخراً، وأني شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أرفّ الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر! ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها، وأدلتها النقلية والقياسية، ومداركها، ونقوصها، وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها، لقدرت على ذلك، من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله". (339/1)

إن هذه المكانة العلمية الرفيعة التي بلغها السيوطي سبّبت له، أحياناً، مشكلات ومتاعب، وجرت عليه انتقادات، وأوجدت له خصوماً، أشدهم عليه - إطلاقاً - هو معاصره وبلديه السخاوي (ت 902هـ) الذي كان منافساً قوياً له، وهو ذو شهرة في مجال التاريخ كما نعلم؛ إذ كان ينتقده، ويكيل له الاتهامات بالكذب والسرقة العلمية بالسطو على جهود العلماء وعزّوها إلى نفسه؛ ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل بالغ السخاوي - كما يذكر

دارسون - في تهجمه على السيوطي؛ فرماه بالغباء لجهله الحساب، وبعقوب أمه التي ذكر أنها جارية تركية غير عربية الأصل، وبالانتهازية والأناثية. ولم يقف السيوطي مكتوف اليدين حيال هذه الاتهامات، بل ردّ عليها، موجّهاً سيلاً من الانتقادات للسخاوي؛ كما في "الكاوي في الرد على السخاوي"، ومما قاله عنه: "وخرّج لنفسه ولغيره، مع كثرة لحنه وعريه من كل علم؛ بحيث إنه لا يحسن غير الفنّ الحديثي شيئاً أصلاً، ثم أكبّ على التاريخ؛ فأفتى فيه عمره، وأغرّق فيه عمله، وسلق فيه أعراض الناس، وملاه بمساوئ الخلق، وكل ما رموا به، إن صدقاً وإن كذباً". فقد جرّد السيوطي السخاوي من كل علم، ما عدا فن الحديث، وأشار إلى أن ما كتبه في فن التاريخ كان عن غير هدى وتوفيق؛ لأنه حشاه بأمر أبعد عن الحقيقة والعلمية. ولم يكن نقد السيوطي، أحياناً، يخلو من قسوة وسخرية مرّة؛ كما في انتقاده لابن الكركي في مقامة أسماها "طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة".

وقد تبين لعدد من العلماء، قديماً وحديثاً، أن ما رمي به السيوطي ينتقد إلى الموضوعية، وأن أكثره كذب وافتراء، وأن مرده، بالأساس، إلى الحسد والحقد جرّاء المكانة السامقة التي بلغها الرجل في سلم العلم، وإلى تعاصرها، و"المعاصرة حجاب" كما يقال، تمنع أحياناً المتجاملين من الاعتراف ببعضهم بعضاً. لذا، تصدّوا للردّ عليها، والمنافحة عن السيوطي، وإحلاله المنزلة التي يستحقها بكل موضوعية. فهذا الإمام الشوكاني، رحمه الله، يردّ تلك الاتهامات، في كتابه "البدر الطالع"، قائلاً: "وعلى

كل حال، فهو غير مقبول عليه، لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل بعدم قبول شهادة الأقران في بعضهم بعضاً، مع ظهور أدنى مناقشة، فكيف بمثل المناصية بين هذين الرجلين (يقصد السيوطي والسخاوي) التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض، فإن أقل من هذا يُوجب عدم القبول". ويقول أحد باحثينا المعاصرين، وهود. عبدالعال سالم مكرم، راداً تلك الاتهامات، مُبرزاً دوافعها: "القارئ لهذه الاتهامات، سواء كانت شخصية أو علمية، لا يرى فيها إلا سُومَ الحقد والكراهية والحسد والبغض. إنها لم تصدر في إطار الموضوعية والاعتزان، ولكنها جاءت مشحونةً بالانفعال في الغض من قيمة الرجال، على أن هذه الاتهامات لم توجّه إلى السيوطي بعد موته، ولكنها وُجّهت إليه في حياته..." (جلال الدين السيوطي وأثره في

الدراسات اللغوية، ص 151).

ولعل مثل هذه المعاملة التي لقيها من بعض معاصريه كانت من الأسباب التي دفعته إلى الانقطاع عن الناس، وإيثار العزلة وحياة الزهد والتأمل، والتوقف عن الفتوى والتعليم. وقد ألف في ذلك كتاباً أسماه "التنفيس في الاعتذار عن ترك الفتيا والتدريس". ولزم السيوطي هذه الحياة، معتزلاً في بيته، مُكبّاً على البحث والتحصيل والتأليف، طوال العشرين سنة الأخيرة من عمره أو أكثر.

يقول عنه نجم الدين الغزي، في كتابه "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة": "لما بلغ أربعين سنة من عمره، أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله، والاشتغال به صرفاً، والإعراض عن الدنيا وأهلها، كأنه لم يعرف أحداً منهم، وشرع في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك... وأقام في "روضة المقياس"، فلم يتحوّل منها إلى أن مات، لم يفتح طاقات بيته التي على النيل من سكنه، وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته، ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردّها". وارتباطاً بحياته الزهدية هذه، فإن الرجل قد تولى - كما هو ثابت - مشيخة الصوفية بترية برفوق سيف الدين أبي سعيد الملقب بـ"الملك الظاهر" الجركسي، ومشيخة البيبرسية بعد الجلال البكري. وقبل أن يقبل السيوطي على التصوف واعتزال الناس، وقبل أن يتحلل من جميع مسؤولياته الدنيوية، كان قد تولى مهمة القضاء على عهد السلطان المملوكي المتوكل. وتوفي جلال الدين السيوطي بعد أذان الفجر ليلة الجمعة 19 جمادى الأولى 911 هـ، إثر مرضه أسبوعاً بورم شديد على مستوى ذراعه اليسرى، وقبر بحوش قوصون في زاوية عند باب القرافة، بالقاهرة، ووُضعت على قبره قبّة بارزة.

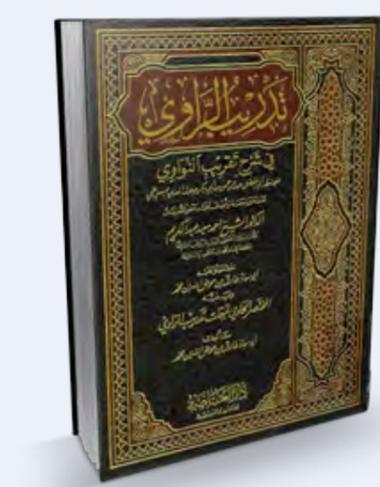
وخلف السيوطي، رحمه الله، تراثاً علمياً غنياً ومتنوعاً، يقدر بالمئات من الآثار ما بين كتب ورسائل صغيرة الحجم. وقد سرد المؤلف نفسه عناوين كتبه في (حسن المحاضرة) (ذكر فيه أن له ثلاث مئة مؤلف سوى ما غسله ورجع عنه)، وفي (التحدث بنعمة الله). وترجم

له تلميذه عبد القادر الشاذلي في كتاب عَنُونَه (بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين)، عدّد فيه أربعة وعشرين وخمس مئة (524) مؤلفاً له. ولما كانت كتبه متعددة ومختلفة، فقد عمد السيوطي إلى تصنيفها إلى سبعة أقسام، في كتابه (التحدث...)، الذي ذكر بين شياها أن له خمسين وثلاث مئة (350) كتاباً تاماً، علاوة على ثلاثة وثمانين (83) لم يمتّها بعد، وتلك الأقسام كالآتي:

- قسم ادعى فيه التفرّد، وأنه لا نظير له.
- قسم ألف ما يناظره.
- قسم صغير الحجم من كراسين إلى عشرة، وكتبه تامّة.
- قسم وقع في كراس ونحوه.
- قسم ألف في واقعات الفتاوى من كراس وفوقه ودونه.
- قسم لا يعتدّ به؛ لأن اعتناؤه فيه كان بالرواية المحضنة.
- قسم كان قد شرع فيه، ولم يكتب منه إلا القليل.

ونميز في كتب السيوطي بين ثلاثة أصناف باعتبار النشر. فبعضها مطبوع، سواء أكان محققاً أم غير محقق، وسواء أكان تحقيق المحقق منها علمياً رصيناً أم تجارياً. وكثيرٌ منها ما يزال مخطوطاً حبيس رفوف الخزائن العامة أو الخاصة، في أماكن متفرقة من العالم، ينتظر من ينفض عنه الغبار، ليُخرجه للناس ويُحييه. ومنها المفقود الذي نعرفه من خلال الإشارة إلى عناوينه في كتب الفهارس وغيرها. ولا بد من الإشارة، ها هنا، إلى اختلاف العلماء في تعداد مؤلفات السيوطي؛ إذ ذكر بعضهم أنها تقدّر بخمس مئة كتاب أو يزيد، وذكر آخرون أنها ست مئة مؤلف، وعدّد منها أحدهم ما يقارب الألف، وأحصى آخرون منها أقل من ذلك عدداً، وتزدان المكتبة العربية بعمليتين مهمّتين في فهرسة كتب السيوطي؛ أولهما لأحمد الشرقاوي إقبال، بعنوان (مكتبة الجلال السيوطي)، صدر بالرباط، عام 1977، وقد أحصى مؤلفات الرجل المطبوعة فقط، وعدّها 725، مبيّناً ناشرها وطابعها، وتاريخ إصدارها. وظهر، بعد ست سنوات، كتابٌ آخرٌ استدرك نقص كتاب أحمد إقبال، الفقهية، (الثبوت في ضبط ألفاظ الفتوى)، (الجامع في الفرائض)، (الأزهار الغضة في حواشي الروضة)، صدر بالكويت، ومؤلفاه أحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني. ومن الكتب التي تفيدينا في هذا الصدد، كذلك، كتابٌ مصطفى الشكعة الموسوم بـ(جلال الدين السيوطي: مسيرته العلمية). ويتضح من تصفح هذه الفهارس والمصادر أن الرجل كان، بالفعل، كاتباً مكثراً، نال نصيباً أوفر من تأليفه ميدان الحديث، يليه الفقه وأصوله، والقرآن وعلومه، ثم اللغة والأدب، ثم التاريخ وغيره. وحسبنا أن نشير، في الأسطر الآتية، إلى جملة من كتبه في هذه الحقول العلمية.

فمن مؤلفات السيوطي الكثيرة في فنّ الحديث ومصطلحه وعلومه نذكر: (كشف المغطى في فضل



الموطأ)، (اللآئى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)، (اللمع في أسماء من وضع)، (المسلسلات الكبرى)، (التوشيح على الجامع الصحيح)، (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج)، (مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود)، (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي)، (نظم الدرر في علم الأثر)، (عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة)، (منتهى الآمال في شرح حديث)، (إنما الأعمال)، (مناهج الصفا في تخريج أحاديث الشفا)، (جامع المسانيد)، (الطب النبوي)، (كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة)، (الأربعون حديثاً في فضل الجهاد). ومن مؤلفاته في علوم القرآن وما يتصل به نجد: (الإتقان في علوم القرآن)، (تفسير الجلالين)، (الدر المنثور في التفسير المأثور)، (ترجمان القرآن)، (أسرار التنزيل)، (مفاتيح الغيب)، (حاشية على تفسير البيضاوي)، (لباب النقول في أسباب النزول)، (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب)، (مفحمت الأقران في مبهمات القرآن)، (الألفية في القراءات العشر).

ومن آثاره في الفقه وما يتعلق به هذه العناوين: (المصايح في صلاة التراويح)، (الأشباه والنظائر الفقهية)، (الثبوت في ضبط ألفاظ الفتوى)، (الجامع في الفرائض)، (الأزهار الغضة في حواشي الروضة)، (بلغة المحتاج في مناسك الحاج)، (فصل الكلام في حكم السلام)، (أدب الفتيا)، (الروض الأريض في طهر المحيض).

ومما تركه السيوطي في ميدان اللغة والأدب عموماً نشير إلى الكتب الآتية: (المزهر في علوم اللغة وأنواعها)، (همع الهوامع)، (الأشباه والنظائر في النحو)، (الاقتراح في أصول النحو)، (عقود الجمان في المعاني والبيان)، (شرحه)، (الفتح القريب على مغني اللبيب)، (الجمع والتفريق في أنواع البديع)، (شرح أبيات تلخيص المفتاح)، (البهجة المرضية في شرح الألفية)، (شرح التصيدة الكافية في التصريف)، (تعريف الأعجم



بحروف المعجم)، (البرق الوامض في شرح يائية ابن الفارض)، (ديوان شعر) مفقود، (المقامات)، (كنه المراد من شرح بانت سعاد).

وله في فنّ التاريخ والتراجم عدة تأليف، منها: (تاريخ الخلفاء)، (أخبار الجوارى)، (الشماريخ في علم التاريخ)، (طبقات الحفاظ)، (طبقات المفسرين)، (تاريخ أسبوط)، (الأحاديث المنيغة في فضل السلطنة الشريفة وأنواع الخيرات المألوفة)، (الوسائل إلى معرفة الأوائل)، (تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء)، (رفع لباس عن بني العبّاس)، (تحفة العجلان في فضل عثمان)، (إقام الحجر لمن زكى سابّ أبي بكر وعمر). ويضاف إلى كتبه في الحقول المعرفية المذكورة أنفاً أعمالٌ أخرى دَبَّجها السيوطي في المنطق؛ كما رأينا في موضع سابق، والكلام والتصوف ونحوها، من مثل (المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة)، و(شرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد)... ممّا تقدّم، يتضح لنا أن السيوطي كان من أهرام الثقافة العربية، ومن قَمَمها الشامخة في النصف الثاني من القرن التاسع وأوائل القرن العاشر، وممّا يحقّ لها الفخر به، وأنه كان أنموذجاً للموسوعية في تراثنا الأدبي والفكري والعلمي بما خلفه من مؤلفات غزيرة في مختلف الميادين، أغنت المكتبة العربية إغناءً واضحاً، وأفادت أبناء الأمة، على مرّ العصور، وغيرهم كذلك. ولا أجدُ خيراً من كلام د. مروان القدومي، في مقاله "الإمام السيوطي داعية الاجتهاد والتجديد"، لختّم مقالتي هذه: "والحق أن فضل السيوطي على العالم الإسلامي عظيم. فهو في مقدمة الذين أثروا الثقافة العربية الإسلامية، ورفعوا من شأنها، وأحلّوها مكاناً عالياً، ومنزلة ساحقة. فهو أحد الذين قادوا مواكبها بموسوعيته العلمية، فأثري المكتبة العربية بنفائس المؤلفات وذخائر المصنّفات، ممّا شهد لها المحققون، وأقرأوا لصاحبها بطول الباع، وسعة الاطلاع، ووفرة الحصول".



أنور العطار .. تتأخر الجمال والطبيعة



بقلم: هاني أنور العطار
الرياض

حياة الشاعر "أنور العطار" لم تكن طويلة قياساً لما ترك لنا من إرث أدبي هائل، ولد الشاعر "أنور العطار" عام 1913م بمدينة بعلبك من أبوين دمشقيين، وتوفي عن تسع وخمسين عاماً، في صباح يوم الأحد الموافق لـ 23 تموز/ يوليو عام 1972م في مستشفى المواساة، ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق، أي أنه عاش فقط تسعاً وخمسين سنة فقط، وهو زمن قصير في عمر العبقري ولا شك.

تلقى دراسته الابتدائية وأكملها في مدرسة البحصة في دمشق، ثم انتقل إلى "مكتب عنبر" لإكمال دراسته الثانوية، وبعد ذلك انتسب إلى دار المعلمين حيث نال شهادة أهلية التعليم الثانوي التي أهلته للعمل مديراً لمدرسة "متين" الابتدائية في ريف دمشق.

أتم دراسته في دمشق وتخرج من كلية الآداب من قسم اللغة العربية في الجامعة السورية، وكانت شهادته هذه خامس شهادة تعطى من كلية الآداب بدمشق عام 1935م.

زاول التدريس في مدارس حلب ودمشق ثم انتدب

لتدريس اللغة العربية في العراق لمدة خمس سنوات، وعاد إلى دمشق حيث زاول التدريس والإدارة، ثم عمل مفتشاً أولاً مادة اللغة العربية في سورية.

سافر إلى المملكة العربية السعودية حيث درّس الأدب العربي في كلية اللغة العربية في جامعة الرياض، ما بين الأعوام 1964، 1965، 1966م.

أحب الشاعر أنور العطار جمال الطبيعة وغناها أعذب الشعر، واهتم في الفكرة والكلمة معاً، وهو بحثري الأسلوب، وقد أحبّ اثنين من الأدباء المعاصرين له رأى في نثرهما صوراً حية من الشاعرية فتجهج نهجيهما - وهما "معروف الأرنؤوط" صاحب جريدة "فتى العرب"، وجريدة "سيد قريش"، و"أحمد حسن الزيات" صاحب مجلة "الرسالة" المصرية التي كانت المجلة الأدبية الدائمة الصيت، والواسعة الانتشار في العالم العربي في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، كما أنه أحب وحفظ الكثير من شعر أمير الشعراء "أحمد شوقي"، وتعقب نشر أشعاره في الصحف والمجلات حتى إنه أستطاع إحصاءها ومعرفة

ما لم يطبع منها آنذاك، وهيئ مخطوطاً لها للطباعة سماه "الشوقيات التي لم تنشرها الشوقيات".

تأثر بالأدب الفرنسي وأحب "لامارتين Lamartine وAlphonse de Musset-Pathay و"أنفرد دو موسيه de Musset-Pathay و"Louis Charles Alfred، وترجم نظماً كثيراً من أشعارهما.

مجد البطولة العربية وأنشد لها قصائد رائعة بالحماسة منها: فلسطين، ثورة مصر، ثورة الجزائر، النازح العربي وغيرها كثير.

أصدر في عام 1948م ديوانه الشعري الأول، الذي أسماه "ظلال الأيام" وقد ضمّنه قصائد رائعة في الوصف والتأمل والمناجاة والبطولات.

وللشاعر "أنور العطار" الكثير من الدواوين الشعرية والدراسات الأدبية المخطوطة، التي هي قيد التجهيز للطباعة بإذن الله منها: "البواكير" و"وادي الأحلام" و"الشاعر" و"الليل المسحور" و"ربيع بلا أحبة" و"منعطف النهر" و"مع قصائد الخالدين" و"ألف بيت وبيت" وديوان "ألف بيت وبيت" لم يكمله، وقد كانت فكرته مبنية على أساس قدرته في انتقاء أجمل بيت شعر من قصيدة ما من قصائد أحد فحول الشعراء المختارين من قبله، ومن بيت الشعر المنتقى هذا يدخل إلى شرح القصيدة ومعارضتها وذكر شاعرها وعصره إلى آخره.

وديوان "علمتي الحياة"، وهو من أواخر ما نظم الشاعر "أنور العطار" من الدواوين الشعرية، وهو عبارة عن خلاصة تجربته في رحلة حياته، حيث ضمنه رؤيته

وفهمه وفلسفته للكثير من الجوانب العقائدية والوطنية والأخلاقية والجمالية التي صاغها جميعها بحلّة بهية من شاعريته المرفهة وإبداعه اللغوي العالي، وقد كتبها على شكل رباعيات كرباعيات "عمر الخيام" المشهورة من الإرث الأدبي الفارسي، حيث تنتظم كل رباعية منها فكرة واحدة يبتدئها بالشطر الأول من كل رباعية ب: علمتي الحياة أنّ حياتي ... ولو شاء القدر في أن تطول حياة الشاعر أنور أكثر من مشيئة الله له، لكان هذا الديوان أكثر تنوعاً، وكثافة، وإغناء ... وأود أن أذكر للقارئ إحدى الرباعيات الشعرية التي تتضمنها مخطوطة ديوان "علمتي الحياة"، والتي يصف الشاعر أنور فيها كبير عمق حبه لأرضه واقتنائه ببلاده وهي:

علمتي الحياة أنّ حياتي ملك
أرضي عزّت على الدهر أرضي
من ينابيعها تعلمت قرضي
من شحاريرها تلقيت شدي
فجرتي هوى فبغضي حبّ
يا لحب ما إن يلمم ببغض
هي نجواي إن جنحت لصحو
والخيالات إن جنحت لغمض

ومن نثر أنور العطار: كتاب "الوصف والتذويق عند البحري" و"أسرة الغزل في العصر الأموي" وله دراسة كاملة لنثر أمير الشعراء أحمد شوقي وكتابه "أسواق الذهب"، وكتاب "الشوقيات التي لم تنشرها الشوقيات".

ومن بواكير مسرحياته الشعرية المخطوطة: مسرحية

آخر ملوك العرب في الأندلس "أبو عبد الله الصغير" سنة 1930م، ومسرحية "مصرع أبي فراس الحمداني" سنة 1961م، وقد تعرض للحديث عنهما الأستاذ "عدنان بن ذريل" في كتابه "الأدب المسرحي في سورية".

وله أيضاً دراسة عن الشاعر الباكستاني "محمد إقبال"، ودراسة عن شاعر الهند العظيم "طاغور".

ترجمت بعض قصائد الشاعر أنور العطار إلى الإنكليزية في كتاب (الشعر العربي الحديث - أزهار الشعر) للمستشرق الإنكليزي وأستاذ الأدب العربي في جامعة كامبريدج "آرثر. ج. آربري Arthur J. Arberry" وترجمت أشعاره أيضاً إلى الفرنسية في كتاب (مختارات من الأدب العربي المعاصر) لأستاذ العربية في جامعة السوربون في فرنسا المستشرق "إدوارد تاراباي Edouard Tarabay" و"لوك نورين Luc Norin".

وله من الكتب المدرسية: كتاب "الزاد" في الأدب العربي، وقد صحح ونقح لغوياً قصصاً مترجمة للعربية من المقررات المدرسية منها قصة "جودي والطفل".

وبالاشتراك مع الأستاذ "نسيب سعيد" ألفا كتاب "الخلاصة في الأدب والنصوص"، وهو تغطية أدبية ملخصة من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث مناسبة للتلامذة وهم على مقاعد الدرس.

وقد ضمن اسم "أنور العطار" في الموسوعة التوثيقية للشخصيات العربية في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض في المملكة العربية السعودية، تكريماً لتلك الشخصيات التي عملت وشاركت في بدايات النهضة



صورة تجمع الشاعر أنور العطار (يمين) مع الشاعر ميخائيل نعيمة في ستينيات القرن الماضي بدمشق

صورة تجمع الشاعر أنور العطار (يمين) مع الشاعر القروي سليم رشيد الخوري في ستينيات القرن الماضي بدمشق



زَهْرُ الْخَرِيفِ

مَنْ حَبِي الْأَيْفِ
بَلِ الْعَضِيفِ
بَلِ الشَّرِيفِ

يَا لَوْعَةَ الْكَبِدِ الْمَلُوعِ
وَالْهُوَى حُرَّ نَظِيفِ

يَا لَوْعَتِي
وَالْحُبَّ لِلْمُشْتَاقِ
مَنْزِلَةَ الرَّغِيفِ

يَا لَوْعَتَاهُ
وَإِنِّي

فِي كَوَكَبِ الشَّرْعِ الْحَنِيفِ

يَا لَوْعَتِي
لَوْ رَفَّ هُدْبُ اللَّحْظِ
يَطْلُبُ نَسْمَةَ
فَلَعَلَّهَا

نَجْوَى رَفِيفِ
أَوْ أَنْ أَظْلَّ عَلَى الرَّصِيفِ

مُنَاجِيَا
أَمَلِ الرِّضَا

فِي عَمَّةِ الدَّرْبِ الْمَجَلِّ بِالضَّنَى
بَيْنَ الْهُوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

فِي قَاعِ الدُّنَى
أَمَلِ طَرِيفِ

زَهْرُ الْخَرِيفِ

أَوَاهُ مِنْ زَهْرِ الْخَرِيفِ !
أَنْي لَقَلْبٍ مُدَنَّفِ
يَنْسَى

بِأَنَّ الْخَافِقَ الْوَلَهَانَ
ذَاقَ الْمُرَّ مِنْ حَرِّ الْمَصِيفِ

وَ بِأَنَّ تَلَكَ الْمُهْجَةَ الْوَلَهَى
بَكَتَ الْمَا

وَ قَدْ أَوْدَى بِهَا
سَحْرُ الْعُيُونِ الدَّابِلَاتِ
بِمَقْلَةِ الطَّبْنِيِّ الطَّرِيفِ

وَ بِأَنَّ أَهَاتِ الْفُؤَادِ
يُؤَزِّهَا

هَمَسَاتِ ذَاكَ الْوُجْدِ
مَنْ رَعَشَ اللَّمَى
يَا لِلْمَى

مَنْ تَغَرَّ ذِيَاكَ اللَّطِيفِ
هَمَسَ يَهَبُ عَلَى الضَّعِيفِ
سَحْرَ وَ مَنْفَتَهُ وَجِيفِ
وَ الْقَلْبَ يَنْفُثُ أَنَّةً

كَتَفَسَ الْوَاهِي النَّحِيفِ
وَ رَوَى تَطُوفِ
يَحْفَهَا تَحْنَانُهَا
يَا لِلْحَفِيفِ

هِيَ مَا أَعَانِي
مَبْعَثُ الْآهَاتِ

فجرتني هوى فُبغضي حبُّ
يا لِحُبِّ ما إن يُلِمُّ ببغضِ
هي نجواي إن جنحتُ لصحو
والخيالاتُ إن جنحتُ لغمضِ
وعن الأيام يقول :

الأيام

علمتني لحياةً أن من الأيِّ
لأم ما يُسعدُ النفوسَ ويرضي
ويصَّبُ النعيمَ صَبًّا ، ومنها
ما يثيرُ الأسى ويضني ويضوي
كلما مرتِ الليالي عَجَالًا
خَلْتُ أَنِي أَمْرٌ وَحْدِي وَأَمْضِي
أَذْنَتَا بَيْنَهَا مَتْعُ الْعَيْدِ
ش وهَمَّتْ أَحْلَامُهَا بِالتَّقْضِي

أما حنينه لدياره فنراه مجسدًا في هذه الرباعية التالية :

الحنين إلى الدار

علمتني أن الحنينَ الدَّاءَ
ارِ غَرَامًا مُأَجَّجٍ فِي ضُلُوعِي
إِنَّ طَافَ بِالفِكْرِ بَلْبِلَتِ الفِكْرِ
رَفِيادَارُ أَنْتِ سِرٌّ وَلُوعِي
إنها الأهلُ والأحبةُ والصَّحْبُ
بِ وَمَسْرَى تَلْفَتِي وَنُزُوحِي
هاجتِ النَّفْسُ فَاسْتَقَاضَتْ أَنْيَا
وتراءت في واكفَاتِ الدَمُوعِ

وفي المحبة شفاء عند الشاعر أنور فهي طبه وطبيبه يقول :

المحبة شفاء

علمتني أن المحبةَ طِبُّ
وسبيلٌ إلى الشفاءِ ودربٌ
يتداوى بها الأولى تَشَدُّوا البُرَّ
ءَ وَأَشَقَّاهُمْ مِنَ الْعَيْشِ كَرَبِ
أَنْبِلُ الحُبِّ ظَاهِرًا وَخَفِيًّا
أَنَّ يَمُوتَ المَحْبُوبُ فَيَمُنُّ يُحِبُّ
يا لِنَفْسِ تَرعى عَلَى النَّفْسِ نَفْسًا
يا لِقَلْبِ يَحْيِيهِ فِي البُعْدِ قَلْبُ

علمتني الحياة أن من الشـ
عرلساناً يعي أحاديث نفسي
مفصح عن تجاربي ترجمان
صادق في أداء ظني وحدسي
إن تشكيت كان باب شكاتي
أو تسليت كان مفتاح أنسي
لم أحاول إخفاء نفسي عنه
فهو سري الذي أصون وهمسي

ولقد اختار الشاعر أنور العطار لكل رباعية عنوانها وموضوعها المتفرد والمميز فجاءت كل واحدة منها مائة القراءة، متشحة بجمال الكلمة وانتقائية العبارة، متضمنة عمق الحكمة ، ومغلقة ببراء المعرفة ...
وقدمها مغلقة بحلة بهية من صنعة الشعرية الحاذقة، وملكته الأدبية الأخاذة، فكشفت عن تملك الشاعر لخاصية القريض وملكته الشعرية المرهفة ...

ولنستمع له هنا في هذه الرباعية التي تعكس مقدار كبير حبه لأرضه ولتملكها لجميع مشاعره وعواطفه ومن كون يناييعها وشحاريرها هم الذين من علموه الشدو والشعر، وكيف أنها قلبت مشاعر البغض عنده إلى مشاعر الحب، وكيف أنها هي التي يناجيه في نهاراته ويراه في لياليه وأحلامه يقول في رباعيته :

أرضي الطيبة

علمتني الحياة أن حياتي
ملك أرضي، عزت على الدهر أرضي
من يناييعها تلتقيت شدوي
من شحاريرها تعلمت قرضي

الثقافية والحضارية في المملكة.
ترك الشاعر أنور بعد وفاته في مكتبته الخاصة في داره في دمشق، المئات والمئات مما جمع وما أهدي إليه من أعلام الفكر والأدب المعاصرين له في حياته من كتب ومخطوطات ودواوين من عيون الأدب العربي والأدب العالمي وعلى الأخص الأدب الفرنسي، بالإضافة للكثير والكثير من الدراسات والمراجع الأدبية والتفاسير وكتب الفقه الديني، مع الكثير من الأوسمة وكتب التقدير لشعره وأدبه.

كتب وحاضر وترجم عن الشاعر أنور العطار الكثير من الأدباء والشعراء والباحثين والإعلاميين، وكانت سيرة وأدب أنور العطار موضوعاً لأطروحات لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي في عديد من الدول العربية، كما كانت دوماً أشعاره في المقررات المدرسية في سورية، وبعضاً من الدول العربية الأخرى.

وديوان الرباعيات هذا ما هو إلا دوحة باسقة الأشجار، ريانة الأغصان، ندية الأزهار، تمثلت في رباعيات شعرية رائعة السبك عميقة المعنى، اختزل بها الشاعر المبدع أنور العطار في أسلوبه الشيق الأخاذ الذي كان فيها نسيج وحده أفكاره ومشاعره وفهمه وفلسفته للحياة، فخرجت توثيقاً لتجاربه في الحياة، وسجلاً لمخالطته الأحياء ...
لذا صدر جميع هذه الرباعيات بقوله: "علمتني الحياة" أو "علمتني"، فضلاً عن أن الديوان يحد ذاته يحمل هذا العنوان ومن ثم كان الشعر لدى الشاعر خير معبر عن تجاربه وخير ناقل لها وخير أمين على مكنوناتها : فلنا وحدسًا، شكايته وأنسًا، سرًا وعلنًا، كل ذلك نراه مجسدًا في هذه الرباعية السينية من رباعياته الشائقة يقول:



صورة للشاعر أنور العطار (يمين) يصافح الشاعر إلياس فرحات، ويظهر في يمين الصورة أمير الكويت الشيخ مبارك الصباح في ستينيات القرن الماضي بدمشق



جاك ديريدا: إرثه بعد عتشر سنوات من وفاته!*

بقلم: جون يرنبوم



ترجمة: د. سعيد بوخليط

مراكش - المغرب

قبل عشر سنوات، رحل عنا فيلسوف "التفكيك"، "التفكيك"، سنحاول، من خلال هذه المقالة، البحث في الإرث الذهني، لمفكر يرتاب من الوراثة.

جاك ديريدا، مسكون أكثر بهاجس البقاء، من الموت. قلقه ذلك، هيمن عليه كلياً، سواء في تجربته اليومية، وكذا نصوصه الفلسفية، يقول بهذا الخصوص: «مختلف المفاهيم التي ساعدتني على الاشتغال، لاسيما مفهومي الأثر والظيف، كانا مرتبطين، ب"البقاء الأصلي"، بوصفه بعداً بنويًا».

قبل عشر سنوات، رحل عنا فيلسوف "التفكيك"، سنحاول، من خلال هذه المقالة، البحث في الإرث الذهني، لمفكر يرتاب من الوراثة.

جاك ديريدا، مسكون أكثر بهاجس البقاء، من الموت. قلقه ذلك، هيمن عليه كلياً، سواء في تجربته اليومية، وكذا نصوصه الفلسفية، يقول بهذا الخصوص: «مختلف المفاهيم التي ساعدتني على الاشتغال، لاسيما مفهومي الأثر والظيف، كانا مرتبطين، ب"البقاء الأصلي"، بوصفه بعداً بنويًا».

سنة 2004، حين اكتشف إصابته بداء السرطان، ستشر له جريدة "لوموند"، حواراً أخيراً لمنظر التفكيك الشهير، بحيث منحه طابع وصية. ديريدا الذي كان يبلغ 74 عاماً، أدرك جيداً أن بقاءه أصبح مسألة وقت، فبدأ أكثر انشغالاً، بإرثه الفكري: «أترك هنا، قطعة ورق، ثم أذهب كي أموت: يستحيل الخروج من هذه البنية، إنها الصيغة الثابتة لحياتي. خلال كل مرة، أسمع معها برحيل شيء ما، فأني أحيا موتي داخل الكتابة. اختيار في حده الأقصى: إننا ننزع الملكية، دون أن نعلم إلى من انتهى الشيء الذي تركناه، من سيرته؟ كيف سيتحقق ذلك؟ بل، هل سيكون له وريثة؟».

عشر سنوات مرت على رحيل جاك ديريدا، وبالضبط يوم 9 أكتوبر 2004. حدث، يطرح ثانية التساؤل بكيفية عاجلة، ومن ثم فهو الذي نسف لبنة وراء لبنة،



يقينيات الفلسفة، ثم ألهم بكتابات المحللين النفسانيين والقانونيين والمهندسين والسينمائيين- نستحضر فقط فيلم "Deconstructing Harry" لصاحبه وودي آلن- هو اليهودي الجزائري الصغير المجسد للفكر في عيون العالم قاطبة. ديريدا، المثير الذي حظي داخل أمريكا بوضع لا يعيше أصلاً سوى نجوم السينما، هو الذي خصصت له جريدة "لوموند"، ملفاً خاصاً تضمن عشرات الصفحات، لحظة موته، مما شكل واقعة استثنائية. ديريدا، الذي يبدو حالياً، أنه اهتدى ثانية، إلى وضع التطهير.

بالنسبة لأغلب الفلاسفة الذين استفسرناهم، لم يعد ديريدا يستشهد به، بذات الزخم، كما كان على قيد الحياة. أيضاً، هو أقل مقروئية، قياساً لوجوه أخرى يرتبط بها اسمه بكيفية فورية، ولنبداً بـ "دولوز" و"فوكو": «حينما تشغل مكانة مهمة جداً كما الحال مع جاك، فبالضرورة ستعيش انحداراً بعد ذلك. الوضع ذاته، عاينته لدى سارتر، حينما كنت طالباً»، يتذكر "جون لوك نانسي" أحد أقرب أقرابه. ثم يضيف، "ماتيو- بوت- بونيفيل"، البالغ من العمر 35 سنة، لحظة وفاة الفيلسوف: «يعد هذا المفعول للتطهير، كلاسيكياً. حين وفاة فوكو أيضاً، انتظرنا عشر سنوات، كي تتمكن من إعادة الاستشهاد به، لأن مختلف القضايا التي أهبها، تم التخفيف منها بعدم مناقشتها. لكن ديريدا، أحدث بعضاً نادراً من نوعه، لاسيما في فرنسا، فلم يظفر قط بمنصب

جامعي. زيادة على ذلك، الكوليج الدولي للفلسفة الذي أسسه ديريدا سنة 1983، كي يسائل هومش المؤسسة الفلسفية، يجعلها منفتحة على التدريس الثانوي وكذا الأجنبي، ثم الحقول غير الفلسفية. من ثم، الكوليج الذي جسد كل شيء، غير كونه مدرسة مكرسة لفكر ديريدا، يمثل اليوم موضوع تهديدات جسيمة من لدن وزارة البحث.

إضافة، إلى هذا الجانب، الناتج على ردة فعل، تقوم مبررات ثانية، تقسر التراجع النسبي لديريدا، من المشهد الفلسفي الفرنسي والدولي. لنبدأ، بصلته الخاصة بسؤال التركة، فإن تراث تعني بالضرورة، المحافظة لكنه كذلك خيانة، يستطرد صاحب "الوفاء الخائن"، محذراً باستمرار تلاميذته، من أفخاخ النقل، وكذا الاقتراض: «ديريدا قارئ كبير للأدب وكذا فرويد ولا كان، هكذا منح إمكانية إعادة قراءة جميع نصوص الفكر، خارج رطانة المدارس»، تشرح "إليزابيت رودينسكو"، مؤرخة التحليل النفسي.

لهذا السبب لا يمكن أن يوجد، شيء ما بمثابة "ديريدين"، اللهم إذا أخذنا في الحسبان من يكتبون بترتيل لغة الأستاذ. ذاك، النثر العجيب، الذي ستفاعل معه هامساً كأنك تخرج الصوت من بطنك، منذ الدقائق الأولى لمصادفته: «أعشق كثيراً المحاكاة الساخرة، لذلك أخبرت ذات يوم جاك، بأني أتطلع فعلاً إلى كتابة عمل يحاكي سخرية الفلاسفة، تؤكد شهادة جون "لوك نانسي"، فأجابني على الفور: "ليس أنا، إذن؟"، كما لو يشعر، كونه أحد أكثرهم سخرية».

للأسف تلك الكتابة الجذابة، بصيغها المعروفة بسهولة مع تعابيره الرمزية، توشك أن تختزل عمله بعد رحيله، إلى مجرد اجترار كلامي، وكذا تلامذته إلى ثرثارين. يقول "بيتر زيندي"، الذي سبق له الالتقاء بديريدا سنة 1995، لحظة إنهائه لأطروحة: «تتصف وضعية ديريدا داخل فرنسا، بكونها إشكالية. يستحسن تجاهله باحترام، لكن الأسوأ هو أن نمارس حياله تقليداً إيمائياً خالصاً، ففكر ديريدا هو فكر الواقعة، التي تأنف من تحمل التكرار، من ثم تمثل أيضاً انتقاداته، أفضل من يرثه».

ضمن هؤلاء، "كاترين مالاو، التي كانت قريبة من ديريدا، قبل أخذها مسافة منه. بالنسبة إليها، فزيادة على الضغينة التي شكل الفيلسوف موضوعاً لها، أو كذا علاقته بالإرث، سيمثل منذئذ، مفهوم "التفكيك" نفسه شاشة لإشعاعه، تقول: «التفكيك، هو أن تسائل، كل ما يطرح نفسه باعتباره بدهاة. لكن، مناحيه ينبغي أن

تتغير. عند ديريدا، انصب كل شيء حول الكتابة والنص والكتاب... اليوم، يتأتى الانقلاب من جهة أخرى، من قابلية التشكل، بمعنى هو أثر، غير مقيد، لكنه شكل متحرك كما في الدماغ أو نظارات غوغل. إذا لم يستحوذ التفكيك على كل هذا، سيفقد فكرًا بدون مستقبل».

السير على هدى ديريدا، من أجل تعبيد طريقه الخاصة، وخلخلة معجمه كي نستحضر اللغة ثانية معه، سيكون ذلك ربما أفضل وسيلة لاستعادته في نهاية المطاف: «يعد ديريدا، مرجعية لا مناص منها، غير أن الأفراد لا يدركون كثيراً عن ماذا يتكلمون، حينما يستشهدون به- يشير جاكوب روغورنسكي- في كتاب صادر عن ديريدا بمناسبة حلول هذه الذكرى العاشرة- عندما يستكشف رولان بارت، ملاحظات تلامذته حوله، فقد أثاره رؤية رأسه وقد أضحى صغيراً، مثل الرأس المقطوع عند قبائل هنود جيفاروس jivaros، هذا يلائم بشكل خاص ديريدا، لأننا ما إن نختصر فكره حتى نعمل على تحويره، فلا توجد لديه كلمة سيده، التي يوسعنا أن ننقلها بسهولة. وضع يجعله مكروها، من لدن المؤسسات وكذا حراس التقدير».

ليس هناك كلمة سيده، لكن كتابة مرفهة، ترفض أن تجزم، تتحسس باستمرار وتيدي تصدعاتها وشكوكها. سنجد لديه، بدل حيز مكان خط سوي، مسلماً متحمساً لكنه متعرجاً، ترصعه منعطفات متوقدة، وكذا ماطلات خصبة. هكذا يطرح، الفعل النقدي عند ديريدا، سؤالاً حول سؤال، منتهياً بشكل عام، بطرح السؤال حول السؤال ذاته. مجازفاً، بالانتقال إلى متشكك، والظهور بصورة مفصول، عن سياق مدة تاريخية عاشت تحت ضغط تلهمها لليقينيات.

يقول باتريس مانجلي، المنتمي إلى طليعة الفلسفة الفرنسية: «بقدر ما هناك خط مستقيم، متخلص من العقد، توجد اليوم ميتافيزيقا جديدة متحررة من العقد، ترفض مركزة النقد، ومتوخية إعادة الارتباط، بأشكال للإثبات، نحيل مثلاً على برونو لاتور أو آلان باديو. لذلك، جسد ديريدا بشكل من الأشكال، وجهاً مميزاً بالنسبة لشباب يتعلمون كي يقولوا الحقيقة وفق صيغة الراديكالية السياسية. لقد علمنا ديريدا أن نتأمل، ونتمهل، فأوجد للشباب المرتاب بل والمعقد كذلك، أفقاً فلسفياً، كان رائعاً جداً. لكن اليوم، يرغب كثير من الشباب، في الفعل».

بالتأكيد، لعمل ديريدا قوة سياسية أصيلة، لأنه يلغم كل الانتماءات ويتوخى شروط عدالة مستقبلية، مثلما يشهد على ذلك، حضور الفيلسوف إلى جانب نضالات المهاجرين الذين لا يملكون أوراق الإقامة، أو رحيله إلى

«أترك هنا، قطعة ورق، ثم أذهب كي أموت: يستحيل الخروج من هذه البنية، إنها الصيغة الثابتة لحياتي. خلال كل مرة، أسمع معها برحيل شيء ما، فأني أحيا موتي داخل الكتابة. اختبار في حده الأقصى: إننا ننزع الملكية، دون أن نعلم إلى من انتهى الشيء الذي تركناه، من سيرته؟ كيف سيتحقق ذلك؟ بل، هل سيكون له وريثة؟».

بالنسبة لأغلب الفلاسفة الذين استفسرناهم، لم يعد ديريدا يستشهد به، بذات الزخم، كما كان على قيد الحياة. أيضاً، هو أقل مقروئية، قياساً لوجوه أخرى يرتبط بها اسمه بكيفية فورية

يعد ديريدا، مرجعية لا مناص منها، غير أن الأفراد لا يدركون كثيراً عن ماذا يتكلمون، حينما يستشهدون به



تقسيم الخدود

رشاد نوري كونتكين¹

ترجمة: عبد الستار الحاج حامد

تركيا - جامعة إسطنبول

تتجاوز على حقي... ولدي جودت، هذا الخد من الآن فصاعداً لي لا تدع أحداً يقبله. اتفقنا؟ السيد خالد: هذا الخد لي أيضاً، إذا سمعت أن أحداً قبله فالويل لك، فلن يكون هناك لا سكر ولا شوكلاتة فرهونده خانم: لنرى هل فهمت يا جودت أيهما خدي؟ جودت: (مشيراً بإصبعه إلى خده الأيسر) هذا هو السيد خالد: وخدي جودت: (مشيراً بإصبعه إلى خده الأيمن) لقد تعلمت (يعود إلى ألعابه مُردداً وحافظاً) هذا الخد خد أبي، وهذا الخد خد أمي... هذا لأبي، هذا لأبي..

2

(في المطبخ بعد طعام العشاء) جودت: حبيبي كبير الطباخين... روعي كبير الطباخين.... عيني كبير الطباخين.. أعطني من حلوى التمر هذه أيضاً. لم تطعمني منه أمي كي لا أمرض. كبير الطباخين: (رجل في الخمسين من عمره من بولو) أعطيك لكن أنت أيضاً أعطني قبلة جودت: لا يجوز، تعضب أمي كبير الطباخين: وكيف ستعرف أمك؟ جودت: أبي لن يحضر لي شوكلاتة. كبير الطباخين: (يُمسك بالطفل ضاحكاً) أو تظن أنك أني لن آخذ قبلة بالقوة إن لم تعطني. (يقبل جودت من خده الأيسر جاعلاً أاه يصرخ)

3

(حجرة السيد خالد مليئة بالضيوف.... جيرانه الكهول، الضباط، المدرسون... عندما كان إمام الحي يروي إشاعة تتعلق بالحي مهولاً أمرها يدخل جودت الغرفة باكياً) السيد خالد: ماذا حدث يا جودت جودت:.... إمام الحي: ما مشكلتك يا صغيري. جودت: (باكياً) أبي، قل لكبير الطباخين هذا شيئاً. قبل قليل قبل خد أمي في المطبخ...

السيد خالد (تاجر غني في الخامسة والأربعين من العمر مخاطباً ابنه الصغير الجالس في زاوية الغرفة يلون أحذية ألعابه بالحرير): تعال إلى جانبي يا جودت انظر ماذا سأعطيك؟ جودت (طفل في الخامسة من عمره ذكي ومشاغب ذو شعر أشقر مجعد): ماذا ستعطيني؟ السيد خالد: مخفياً قطعة الشوكولاتة في يده لنرى نصيبك ماذا سيكون، لكن ليس بالمجان يجب أن تعطيني قبلة جودت: حسناً، قبل (يقفز جودت إلى حضن والده ويمد خده لوالده ليقبله).

فرهونده خانم (زوجة السيد خالد في العقد الثالث من العمر ترمي الملابس التي كانت تخطيها بهدوء): يا بك نبهتك ألف مرة لا تقبل هذا الولد السيد خالد: (ضاحكاً) لا تخافي لن ينفذ سيبقى لك منه أيضاً فرهونده خانم: يا بك أرجوك أترك التصرفات غير المناسبة السيد خالد: أنتِ تصرفين بشكل غير مناسب ماذا يحدث لك إن قبلت الولد فرهونده خانم: ماذا يحدث لي؟! أولاً تجعله مشاغباً، ثم إنك تجعل خدوده ذابلة.. ستصدر منها رائحة السجائر، وبعد ذلك لن أستطيع تقبيله براحتي... خدود جودت مثل الجيفة تقوح منها رائحة السجائر.

السيد خالد: الآن فهمت الحكمة من ذلك. تقولين ستصدر منها رائحة السجائر وبعد ذلك لن أستطيع تقبيله براحتي، هل أعطيك جواباً قطعياً؟ أصبحت أبا في الأربعين من عمري وأريد أن أشبع من حب ولدي.. فرهونده خانم: أنت تريد أن تحب ولدك، وأنا أيضاً لا أقبل خدًا تصدر منه رائحة السجائر السيد خالد: في هذه الحالة هناك حل... لنقسم خدي الطفل... الخد الأيمن لي والأيسر لك فرهونده خانم: حسناً، أقبل، لكن سَتَعِدُّني بأنك لن

لوجوده أم لا: «كما تكلم ديريدا أحياناً عن مناصرين سريين للماركسية، فكذلك يوجد اليوم مناصرين سريين لديريدا، بحيث يوظفون هذا المفهوم أو ذاك، دون إدراكهم، بأنها تنتسب إليه» يلاحظ كازاوا ماسودا، أستاذ في جامعة طوكيو.

سافر ديريدا كثيراً، وعاد مختلفاً وبنجومية أقل، وبشخصية تراجع زخم قوتها، قياساً للسابق. الفلاسفة الشباب، الذين استحوذوا على نصوصه، لم يعرفوه في الغالب، من ثم يشعرون بحرية أكثر نحوه: «ديريدا المتعب، والصامت، والمكتئب على الدوام، هو ديريدا الصفح والعدالة. نتشوق إلى ديريدا المنتمل لأحذية سقواء، مع إثارة ، ديريدا الروك أندرول. على التقيض من الفلسفة الواقعية الجديدة الحالية، التي تفكر في إمكانية صنع التساوي، بين الواقع والتأمل، سيعلمنا ديريدا أن التفكير مجازفة، بحيث لا ندري قط أين المنتهى بين الفكر والواقع. مثلاً الاشتغال ثانية، مع ديريدا عن مفهوم الحيوان، يعني الشروع، بالعيش وسط عالم، لا يمكننا في إطاره أبداً، تمثل اللحم بذات الطريقة. ليس هناك لحم، بل، جسد مفتال»، الحديث لباتريس مانيغليي.

مسار ديريدا، بوصفه وفاء غير وفيء المؤمن بأن أفضل طريقة لاحترام إرث، تكمن في العمل على إفرازه كي ننقذه، ثم تحويله حتى نجعله ينطلق ثانية بشكل أفضل: «ليس أن نختاره (لأن ما يميز الإرث، أننا لا نختاره أبداً، بل هو الذي يختارنا ويصطنعنا بجدة)، بل اختياره، كي نبقيه حياً... . ينبغي التفكير في الحياة، انطلاقاً من الإرث، وليس العكس»، يؤكد الفيلسوف في حوار مع إليزابيث رودينسكو.

وراثه جاك ديريدا، بعد عشر سنوات من وفاته، يعني أن ننصفه. الجواب سيكون، بإخراجه من المظهر وعرضه أمام كل كل الرياح. أولاً، تبيان أن التفكير، الكلمة التي أعلن ديريدا بنفسه منذ زمان عن استهلاكها، وبعيداً عن كونها مسأراً سالباً وعمدياً، تمثل بالأحرى فعلاً للإثبات وفلسفة للحياة. يؤكد صديقه جون لوك نانسي، قائلاً: «الوجه الأكثر اختفاء لجاك، هو ما يصنع راهنيته، إنه تأكيد حقيقي. فيما وراء سلبية ظاهرة، يقول ديريدا الآن، نعم، إنه حاضر، مثل الذي ينفلت، لكن له بالضبط مكاناً، من خلال انفلاته. إنه حضور شخص، والالتقاء والمجيء».

نعم، يعود ديريدا، لقد انبعت ثانية منذ مدة، لكن وداعاً للمظهر، ثم مرحباً بالتحويل.

هامش:

«للاطلاع على النص الأصلي يمكن الرجوع إلى: Cahier du monde ; numéro 21695 ; octobre 2014».

أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فلم يمارس فقط تأثيراً جلياً على أقسام الأدب المقارن، بل ساهم في أن يشكل هناك نماذج للتدريس، بحيث مثلت نصوصه غالباً، مرجعية، كما يقر بالحقيقة "دينيس هولبير"، أستاذ بجامعة نيويورك: «لقد غير ديريدا مجرى الحياة داخل هذا الفضاء الرهباني، كما الحال مع وضع الجامعات الأمريكية. بالنسبة إليه، لا يتأتى الارتباط فقط من الموسوعية، حتى ولو عجز عن التفكك بالآف النكت، التي كان يدلي بها خلال كل واحدة، من زيارته، إلى الحرم الجامعي. حتما توجد جماعات الرفض، لاسيما في الدراسات الأدبية التقليدية، التي تستكين إلى الموسوعية دون مجازفة مفهومية. كذلك، احتاج الطلبة أكثر، إلى إرساء مع ديريدا، حول أسئلة راهنة مرتبطة بالنسوية، ثم ما بعد الكولونيالية، غير أنه صار كلاسيكياً. في المداخلة التي خصصتها للسيرة الذاتية، فمختلف الأسئلة التي طرحها الطلبة، انصبت عليه، والكثير منهم قرؤوا مراراً مقاطع عن روسو، وردت في كتابه عن الغراماتولوجيا».

ديريدا، الأقل شهرة فيما وراء المحيط الأطلسي، قياساً بمكانته في الماضي، ثم الأقل إثارة من الناحية السياسية كما الحال مع فوكو أو دولوز، مع ذلك فهو يستفيد من هالة جديدة، تتعلق بالكاتب الموروث، والدليل على ذلك، المشروع الهائل للمطبوعات الجامعية بشيكاغو، التي قررت ترجمة مجموع محاضراته إلى الإنجليزية، تقول المؤرخة جيزيل سايبرو: «هو مشروع بدون نظير، أتى على إصدار دراسة مثيرة للاهتمام حول ترجمة العلوم الإنسانية. فريق، يضم مختلف المختصين، سيجمع كل سنة كي يناقش الترجمة. سعي مدهش، حينما نعلم انحسار الترجمات من اللغة الفرنسية، وضعف الوسائل. فضلا عن ذلك، فمابين 2002 و2012، لاحظنا بأن دور النشر الفرنسية الأولى، الأكثر ترجمة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، هي دار النشر العريقة "le seuil"، أما الثانية فهي دار نشر صغيرة تسمى "غاليلي"، المكلفة بنشر أعمال ديريدا!».

مثل باقي المفكرين، الذين نصنفهم تحت تسمية "النظرية الفرنسية" French theory ، (دولوز، فوكو، بودريار، ليوتار) ، سيعود ديريدا فيلسوف التعرج إلى منزل الأهل، بعد تجوال طويل، في أمريكا: «تقريباً مثل هيدغر، العائد إلى ألمانيا عن طريق فرنسا، سيرجع ديريدا إلى فرنسا عبر أمريكا»، تشير ضاحكة الفيلسوفة باربارة كاسان.

كذلك، انتقل ديريدا كثيراً بين تركيا والبرازيل والهند واليابان، بلدان عديدة، تضم كثيراً من تلامذته، المدركين

زنزانة نيلسون ماندبلا. مع هذا، وقياساً إلى فوكو ودولوز بل وسارتر، تبدو نصوص ديريدا، أقل تحريضاً على النحو المباشر: «لقد كتب ديريدا وسط عالم، يقف حيال يقينيات كبرى، سواء ماركسية أو كاثوليكية. في عالم ساخر، مثل عالما، يبدو أقل جدوى. إن ديريدا، مثل فاضح لأوهام السحر، يحتاج إلى اعتقاد الحشد، حتى يكون لتفسيره صدق. حالياً، الحشود ليس لها الوقت، كي تعتقد بسحر ما» يلاحظ، "تيموتي سوكري"، وهو أستاذ شاب بجامعة مانشستر. لكن بشكل مفارق، فهذا المحول لديريدا النجم، والوسيم والجذاب والمعشوق، مكنه كي يصير في النهاية كلاسيكياً، ضمن صمت المختبرات والمكتبات.

مؤخراً، نظمت في صالة مسرح المدرسة العليا بباريس، شارع أولم UIm، المتواجدة في الطابق السفلي، ندوة كبرى، تمحورت حول ديريدا. غمرت قاعة العرض، إضاءة خفيفة، مسرح بالنسبة لهذا الكاتب المسرحي، وشبه عتمة لصاحب تنظيرات ما هو خفي: هذا المرة، كان ديريدا متواجداً بين أفراد أهله، بوصفه أحد تلامذة تلك المدرسة، التي انقطع عنها منذ مدة طويلة: «في شارع أولم، هناك فريق يسمى: "اقرأ ديريدا واشتغل عليه، حيث يتلاقى باحثون في مرحلة الدكتوراه من مختلف بقاع العالم» تشير شهادة لمارك كريبون، المشرف على قسم الفلسفة، في المدرسة العليا للآساتذة.

رغم أن ديريدا، لازال بعد يثير كثيراً من العدوانية، فقد ولج قائمة كوكبة الكلاسيكيين، ونقرأه أنيا مثل سارتر أو ميرلوبونتي. لقد ناقشت أطروحتان في السوربون، تمحورت حوله، حدث لم يكن وارداً قبل عشر سنوات! هذه القراءات الثقافية، التي تتلخص من المحاكاة، تهم ليس فقط نصوصه الإتيقية المتعلقة بالوعد والمسؤولية والصفح والعدالة أو الإعدام، لكن كذلك ما نعته "جون لوك نانسي" ب"أسس التفكير"، مثلاً كتاباته حول هوسرل والفينومينولوجيا، ثم ما أسماه ب"نخبوية التناول": كتب ديريدا، باستقاضة عن أنطوان أرتو، وجان جينيه، وبول سيلان، وولتر بنيامين، وكارل شميت...، فما إن يتجه اهتمامك نحو واحد من هؤلاء، حتى تعثر على ديريدا مع كل لحظة وأخرى.

أرتوجينيت وسيلان... كثيرة هي الأسماء التي تذكر بمصاحبة ديريدا للشعراء والكتاب، ورفضه المعلن دائماً بخصوص الفصل بين الأدب والفلسفة، مما كلفه ثمناً غالياً، لأنه في الوقت الحالي أيضاً، يسخر منه مفتايبه الأكثر غيرة، بدءاً بكبار ممثلي الفلسفة التحليلية، مادام ديريدا يظل ببساطة في نظرهم، مجرد مدرس للبلافة. لكن، ذلك، مكنه أيضاً من التوطد داخل مؤسسات أكاديمية، رفضت استضافته.

الفايكنغ والإسلام: تاريخ منسي يوثقه معجم الفردوس (2)



البروفيسور: مهند الفلوجي

أستاذ الجراحة والمشرف على:

معهد تاريخ الطب والعلوم

عند العرب والمسلمين

(www.ihams.org)

لندن

عوداً على بدء واستكمالاً لهذا البحث الشيق الممتع: فإن التأثير العربي الإسلامي على شعوب الفايكنغ الرُّحل في شمال أوروبا الممتدة من بلاد الروس إلى إيرلندة وإلى ما وراء البحار (ومن ثم استقرارهم في البلاد الإسكندنافية)، لهو تأثير كبير الأهمية والخطر، عميق الجذور والأثر، بعيد الرؤية والنظر. كما أن الفايكنغ أنفسهم تركوا آثارهم في جميع لغات البلاد الأوروبية التي غزوها وأثروا فيها، ويشار لها بـ (النرويجية القديمة – أو لغة الفايكنغ) Old Norse ومنها يُشتق الكثير من مفردات اللغة الإنجليزية والألمانية والفرنسية القديمة والحديثة. أي أن الكثير من شعوب الفايكنغ كانوا وسطاً لغوياً بين العالم الإسلامي وعالم الغرب الأوروبي.

رسالة أحمد بن فضلان: سفارة العباسيين لشعوب الفايكنغ والدعوة للإسلام

رغم مرور الزمان، تبقى رحلة أحمد بن فضلان البغدادي إلى ضفاف نهر الفولغا ورسائله في توصيف شعوب الفايكنغ أروع مغامرة فريدة من نوعها في التاريخ البشري، وأول توثيق أكاديمي لطبائع الفايكنغ (تُدْرَس

اليوم في جامعات العالم)، بل وأول سفارة إسلامية للعباسيين في الشمال الأوروبي البعيد، تلبية لطلب ملك الفايكنغ (أو ملك البغار) نفسه آنذاك "الموش بن يلطوار" لنشر الدعوة الإسلامية وشرح مبادئ الدين الحنيف للفايكنغ، ولبناء الجامع المركزي هناك كقلعة حصينة للاحتواء بها من الأعداء وليُطل ملك الفايكنغ من محراب الجامع الكبير هذا على شعبه، ولتوثيق عرى التحالف الإسلامي بين العباسيين وشعوب الفايكنغ ضد الروس الخزار والذي اعتنق مليكهم الديانة اليهودية (هذه هي المطالب الثلاثة لملك الفايكنغ البلغاري خليفة المسلمين آنذاك). فتشكلت هذه البعثة الرسمية استجابة من الخليفة العباسي المقتدر بالله (تولى الحكم من 908-932 م) لطلب ملك البلغار لإرسال هذه السفارة إلى مملكة شعب الفايكنغ في بلاد البلغار.

بالمناسبة، فإن اسم روسيا الحالية هو تسمية عربية ذكرها ابن فضلان في رسالته (أنظر تحت).

ابتدأت هذه الرحلة التاريخية المباركة يوم الخميس 21

حزيران/يونيو عام 921 ميلادي (يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر 309 هجري) من مدينة السلام بغداد عاصمة العالم الإسلامي آنذاك (عاصمة الخلافة والحضارة الإسلامية آنذاك حين كانت أوروبا الغرب تغط في نوم عميق وتتخبط في دياجير العصور المظلمة). قافلة كبيرة تضم خمسة آلاف رجل مصحوبين بثلاثة آلاف دابة محملة بالهدايا والأمتعة والمال الوفير انطلقت من بغداد. وعلى رأس هذه القافلة بعثة رسمية ترأسها سوسن الروسي، وتكين التركي، وبارس الصقلي (من الفايكنغ)، ورأسها الأكبر الفقيه: أحمد بن فضلان البغدادي. انطلقت قافلة بعثة الخليفة المقتدر بالله العباسي من العراق إلى إيران ثم آسيا الوسطى حتى وصلت إلى بلاد البلغار أو الصقالبة على نهر الفولغا في الأراضي الروسية الحالية يوم الأحد 12 أيار/مايو عام 922 ميلادي، بعد مسيرة أحد عشر شهراً.

ترك لنا ابن فضلان تقريراً في رسالة صغيرة حول أحداث الرحلة كتبها عام 924 ضمنها مشاهداته وانطباعاته. ومن أهم ما سجّل أسماء الأمم والشعوب التي مرت بها البعثة ومعتقداتهم وتقاليدهم وعاداتهم وأسلوب حياتهم، لذلك أعدها الباحثون وثيقة مهمة في علمي الاجتماع والأساطير لسكان المناطق التي مرت بها البعثة في القرن العاشر.

ولعل أهم مصادر توثيق مخطوطة ابن فضلان، نجدتها في مواضع مطولة أوردها ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) الذي أنجزه بعد ثلاثة قرون من الرحلة نقلًا عن

نسخة أصلية للرسالة لم تصل إلينا.

وفي عام 1817م عثر على جزء من مخطوطة ابن فضلان في روسيا ونشرتها أكاديمية سان بطرسبورغ باللغة الألمانية عام 1923 م. وفي عام 1924م عثر مهاجر روسي من جمهورية بشكيريا الحالية، متخصص في الدراسات التركية والفلسفة يدعى أحمد زاكي أحمد شاهوفيتش واليدوف على أهم نسخة متكاملة لرسالة ابن فضلان في المكتبة الملحقة بضمير الإمام علي بن موسى الرضا بمدينة مشهد الإيرانية. وفي العام نفسه نُشرت في موسكو مقالة باللغة الروسية تعريفياً بها.

أهدت الحكومة الإيرانية عام 1937م نسخة من مخطوطة مشهد للاتحاد السوفييتي. وفي عام 1939م ترجمت وحققت تحت إشراف وتعليق الأكاديمي الجغرافي الروسي الشهير إغناطي يوليانوفيتش كراتشكوفسكي.

ولدقة وأمانة رسالة أحمد بن فضلان بما يتفق مع المصادر الأجنبية في وصفه لشعوب الفايكنغ، اكتفي الباحثون الإسكندنافيون برسالة أحمد بن فضلان توثيقاً لتوصيف أسلافهم الفايكنغ، وطبعت الرسالة عام 1951 م في مختلف اللغات الإسكندنافية (وقد كان أكثرهم إحتفاءً بها البروفيسور النرويجي: بير فراوس-دولوس).

وقام المجمع العلمي العربي في دمشق (سوريا) بطبع رسالة أحمد بن فضلان، وقام الدكتور سامي الدهان بتحقيقها بدقة متناهية وسرد رائع ومقارنتها بما جاء في المصادر الأخرى (كمعجم البلدان لياقوت الحموي) والرسالة موجودة يمكن تنزيلها من شبكة الإنترنت

البيئية مجاناً ك PDF قابل مباشرة من البحث في غوغل (رسالة أحمد بن فضلان).

واعتماداً على توليف خط سير الرحلة من كافة النسخ التي تكون منها الشكل الأخير لرسالة ابن فضلان يكون خط السير كالتالي، (وهو الذي اعتمده الدكتور حيدر غيبة في الطبعة العربية الأخرى للرسالة):

1. بلاد العجم والترك
2. بلاد الصقالبة
3. الروسية
4. الاسكندنافية
5. بلاد الخرز

وهذه الطبعة، تضمنت الجزء الخاص بزيارة ابن فضلان لاسكندنافيا، التي خلت منها الطبعة الأولى التي حققها الدكتور سامي الدهان (رغم أن هذا الجزء يعادل في حجمه ثلثي صفحات الرسالة تقريباً).

وقام الروائي والسينمائي الأمريكي مايكل كريجتون بنسخ رواية خيالية عام 1976 م بعنوان (أكلة الأموات) Eaters of the Dead by Michael Crichton مدعياً أنها تحوي النص الكامل لرسالة ابن فضلان زوراً وبهتاناً ليفرغ رحلة هذه الدعوة الإسلامية والسفارة العباسية الفريدة من مضمونها، ويحرف مضمون الرسالة والرحلة، بل ويحوّل مسار الرحلة من ضفاف نهر الفولغا إلى الدول الإسكندنافية وتحديداً السويد الحالية. وفي عام 1999 م أنتج شريط سينمائي كبير حول الرواية حمل اسم "المحارب الثالث عشر" لانتونيو بنديرا.

حاول بعض الفنانين تجسيد مغامرة ابن فضلان عبر لوحات فنية منها اللوحة التي رسمها الفنان الروسي/ هنري سميراديسكي/ مستلهماً موضوعها من وصف مخطوطة ابن فضلان عادات الدفن الروسية القديمة كما شاهدها ابن فضلان. اللوحة موجودة حالياً في متحف مدينة سان بطرسبورغ ومسجل أسفها اسم الرحالة الكبير.

وتُرى رسالة ابن فضلان تشابه العادات بين بعض شعوب الفايكنغ وبين الهندوس من حيث إحراق جثث الأموات مع جواربهم! وأيضاً اندهاش ابن فضلان للتححر الجنسي لدى الفايكنغ والذي أثار ضحك القوم عليه.

وفي رسالته، يصف أحمد ابن فضلان كثرة التفاح الأخضر عندهم (أقول وما زال عندهم بكثرة إلى اليوم، بل وسوقوه تجارياً على أنه تفاح الصحة)، كما ويصف ابن فضلان كيف يغتسل الرجال والنساء عُراة دون أن يزيني أحدهم بالآخر (أقول وما زال التمرّي شائناً من ذلك الحين في الدول الإسكندنافية وفي الغرب في الكثير من سواحل السباحة والسياحة، بل وحتى لباس اسكوتلندا الرجالي التقليدي يكون بشكل تنورة رجالية دون أي لباس داخلي).

دلائل إسلام الفايكنغ من رسالة أحمد ابن فضلان: لكن أروع ما في رسالة أحمد ابن فضلان هو توثيقه لحب الفايكنغ للإسلام ولدولة الإسلام ولخليفة المسلمين.

وهنا أجتزأ فقرات مهمات من رسالة أحمد بن فضلان للاستشهاد والاستدلال على ذلك (انظر أدناه):

«فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة، وجه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده وإخوته وأولاده، فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاروس وساروا معنا.

«فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا هو بنفسه، فلما رأنا نزل علينا، ونصب لنا قباباً فنزلناها».

فلما كنا يوم الخميس واجتمعوا نشرنا المطردين اللذين كانا معنا، وأسرجنا الدابة بالسرج الموجه إليه، وألبسنا السواد وعممناه، وأخرجت كتاب الخليفة. وقلت له: «لا يجوز أن تجلس والكتاب يقرأ» فقام على قدميه هو ومن

حضر من وجوه أهل مملكته، وهو رجل بدين بطين جداً.

وبدأت فقرأت صدر الكتاب. فلما بلغت منه: «سلام عليك فإنني أحمد الله إليك الله الذي لا إله إلا هو»، قلت: «رد على أمير المؤمنين السلام» فردوا جميعاً بأرهم، ولم يزل الترجمان يترجم لنا حرفاً حرفاً. فلم استتمنا قراءته كبروا كبيرة ارتجت لها الأرض».



لوحة فنية لأحد الفنانين يصور فيها سفير العباسيين أحمد بن فضلان البغدادي وقافته الكبيرة والتقاءه بملك البلغار الصقلي (الفايكنغ) المسلم، ويصوّر ملك الفايكنغ بالعمامة واللباس الإسلامي.

«فكان بعد هذا القول يؤثرنى ويقرنني، ويباعد أصحابي، ويسميني «أبا بكر الصديق».

«وسألته يوماً فقلت له: «مملكك واسعة، وأمواك جمة وخراجك كثير، فلم سألت السلطان أن يبني حصناً بمال من عنده لا مقدار له؟» فقال: «رأيت دولة الإسلام مقبلة، وأمواك يؤخذ من حلها، فالتست ذلك لهذه العلة، ولو أنني أردت أن أبني حصناً من أموال من فضة أو ذهب لما تعذرت ذلك عليّ، وإنما تبركت بمال أمير المؤمنين، فسألته ذلك».

«وقد كان يخطف له على منبره قبل قدمي: «اللهم وأصلح الملك بلطوار ملك البلغار». فقلت: أنا له: إن الله هو الملك، ولا يُسمى على المنبر بهذا الاسم غيره - جل

وعزاً - وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي لنفسه أن يُقال على منابر في الشرق والغرب: اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقدر بالله أمير المؤمنين. وكذا كان قبله من آبائه الخلفاء».

«فقال لي: فكيف يجوز أن يخطف لي؟ قلت: باسمك واسم أبيك، قال: إن أبي كان كافراً ولا أحب أن أذكر اسمه على المنبر، وأنا أيضاً فما أحب أن يذكر اسمي، إذ كان الذي سماني (به) كافراً. ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين؟ فقلت: جعفر، فقال: يجوز أن أسمى باسمه؟ فقلت نعم».

فقال: قد جعلت اسمي جعفرًا، واسم أبي عبد الله فتقدم إلى الخطيب بذلك ففعلت.

فكان يخطف له: اللهم وأصلح عبدك جعفر بن عبد الله أمير بلغار مولى أمير المؤمنين».

أقول: ورغم بأس وشجاعة الفايكنغ وبطولة ملكهم وكثرة أعداد أتباعه المقاتلين، إلا أنهم كانوا يكتون للإسلام ولخليفة المسلمين كل هيبه ورهبة وتقدير (انظر تحت):

«فقال للترجمان: قل له: تعلم أن الخليفة - أطلال الله بقاءه - لو بعث إليّ جيشاً كان يقدر عليّ؟ قلت: لا. قال: فأمر خرسان؟ قلت: لا. قال: أليس لبعيد المسافة وكثرة

من بيننا من قبائل الكفار؟ قلت: بلى، قال: قل له: فوالله إني لبمكاني البعيد الذي تراني فيه، وإني لخائف من مولاي أمير المؤمنين، وذلك أنني أخاف أن يبلغه عني شيء يكرهه فيدعون عليّ فأهلك بمكاني، وهو في مملكته، وبينني وبينه البلدان الشاسعة. وأنتم تأكلون خبزه وتلبسون ثيابه وترونه في ورأينا فيهم أهل بيت يكونون خمسة آلاف نفس

من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم، يعرفون بالبرنجار، وقد بنوا لهم مسجدًا من خشب يصلون فيه، ولا يعرفون القراءة، فعملت جماعة ما يصلون به. ولقد أسلم على يدي رجل يقال له (طالوت) فأسميت به عبد الله فقال: أريد أن تسميني باسمك محمدًا، وعلمته: (الحمد لله) و(قل هو الله أحد) فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه

إن صار ملك الصقالبة».

أقول: وبالمقارنة يصف أحمد بن فضلان فايكنغ الروس غير المسلمين على أنهم أقدر خلق الله:

«وهم أقدر خلق الله لا يستجون من غائط ولا بول، ولا يغتسلون من جنابة، ولا يغسلون أيديهم من الطعام، بل هم كالحمير الضالة، يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم بإتل، وهو (نهر) كبير، ويبنون على شطه بيوتًا كبارًا من الخشب. ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأكثر. ولكل واحد سرير يجلس عليه، ومعهم الجوازي الروقة للنجار، فينكح الواحد جاريتيه، ورفيقه ينظر إليه، وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بعداء بعض. و(ربما) يدخل التاجر (عليهم) ليشتري من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي إربه».

«ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون وأظفسه. وذلك أن الجارية توالي في كل يوم بالغداة، ومعها قصعة كبيرة فيها ماء، فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه، (وشعر رأسه فيغسله)

ويسرحه بالمشط في القصعة، ثم يتمخط ويصق فيها، ولا يدع شيئاً من القدر إلا فعله) في ذلك الماء. فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل ما فعل صاحبه، ولا تزال ترفعه من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت. وكل منهم يتمخط ويصق (فيها) ويفسل وجهه وشعره فيها».

أقول: والحقيقة أن توصيف ابن فضلان لطبائع الفايكنغ يتفق تمامًا مع حضريات علم الآثار، لا مع الخيال الجامع المخلتق لصنّاع ورواد السينما الحديثة، ولا مع بعض لوحات الفنانين المرسومة دون سند علمي.

فمثلًا تصوير محاربي الفايكنغ بخوذ ذات قرون (للمبالغة في توحشهم) لم تتفق معه الحضريات الحديثة (أنظر الصورتين أدناه للخوذات الحقيقية للفايكنغ وبدون قرون والتي وُجدت في قبورهم مع نقوشهم عليها (Runic inscriptions):

فمثلًا تصوير محاربي الفايكنغ بخوذ ذات قرون (للمبالغة في توحشهم) لم تتفق معه الحضريات الحديثة (أنظر الصورتين أدناه للخوذات الحقيقية للفايكنغ وبدون قرون والتي وُجدت في قبورهم مع نقوشهم عليها (Runic inscriptions):

فمثلًا تصوير محاربي الفايكنغ بخوذ ذات قرون (للمبالغة في توحشهم) لم تتفق معه الحضريات الحديثة (أنظر الصورتين أدناه للخوذات الحقيقية للفايكنغ وبدون قرون والتي وُجدت في قبورهم مع نقوشهم عليها (Runic inscriptions):



أقول: ومراسيم شراء وبيع الجاريات والرقيق بميزان النقود الإسلامية كانت تجري في السوق بأبستهم المحتشمة، لا كما تصورهن بعض اللوحات عاريات (من اللباس تمامًا) بما لا يتفق مع أبسط قواعد الذوق الإنساني. الصورة أدناه مرسومة بسند الحضريات حيث



نرى البائع والمشتري من الفايكنغ يتقدرون السعر بالميزان لجاريتين ولعبيدين (مُطاطئين رؤوسهم):

وبرغم انتهاء عصر الفايكنغ (تقريباً من 800 - 1050م)، فإن من الفايكنغ من ذاب في العالم الإسلامي سكتاً ومصاهرةً وحياةً ومماتاً، ومنهم من تبع من تنصر من ملوكهم (عنوة وتضييقاً) في الدول الإسكندنافية

والشمال الألماني، ومن الفايكنغ من استقل في (مستعمرة النورماندي) الشهيرة التي استقطعوها من فرنسا بعد غزواتهم واستعمارهم لها.

والحقيقة إن النورمانديين هم الامتداد الطبيعي بعد انتهاء عصر الفايكنغ. ولذلك يُعدّ الغزو النورماندي لإنجلترا عام 1066م آخر غزو للفايكنغ، بل والنهاية الرسمية الفعلية لعصرهم تحديداً.

ولعل من أكثر ملوك أوروبا المتعاطفين مع الإسلام والمسلمين، والذين يُعدّون "حلقات وصل" بين الشرق والغرب في البحوث الأكاديمية التاريخية هم الملوك النورمان الثلاثة الذين تجري في عروقهم دماء أجدادهم الفايكنغ المسلمين:

1. الملك روجار الثاني (سلطان صقلية-هكذا يُسمى سلطان وليس ملك صقلية)،

2. الملك فريديريك الثاني (إمبراطور روما الألماني)،

3. الملك ألفونسو الحكيم (في اسبانيا).
The 3 KINGS (with Norman blood):
- King Roger II (Sicily Sultan)
- King Friedrich II (Germany: Holy Roman Emperor)
- King Alfonso the Wise (Spain)

دليل القبور: أموات الفايكنغ مدفونون نحو القبلة لعل حرق الأموات كعادة جاهلية قبل الاحتكاك بالإسلام غير مُجمع عليها بين جميع الفايكنغ، وهذا ما تشير إليه قبور الفايكنغ العديدة، ومن ثم دفن المسكوكات والنقود الإسلامية معهم للتبرك بها، ثم حب شعوب الفايكنغ الصقالبة الجامع للإسلام والتطبع بطباعه والالتزام بأوامره ونواهي (كما رأينا).

ولعل سفارة الفقيه أحمد بن فضلان البغدادي لبلاد الفايكنغ والبلغار تشكل معلماً تاريخياً قام الفايكنغ بعده بدفن أمواتهم بالقبور عملاً بالإسلام بعد استشارة ابن فضلان وكما تدل عليه الحضريات الحديثة.

لكن المعلومة اللطيفة التي جاءتني عبر صديق عراقي كان يقطن في السويد لردح من الزمان (والآن مقيم في ماننستر - الأخ عبد الله المختر) والتي تؤكد فيها أن الكثير من الأموات في مقابر الفايكنغ في السويد قد وُجدوا مدفونين باتجاه واحد:

الإتجاه نحو القبلة !!! وهذا يدل بوضوح إسلامهم في الحياة وبعد الممات، تماماً كما يفعل المسلمون بأمواتهم.

أسماء بعض المُدن الإسكندنافية: ابتداءً، فإن اسم روسيا الحالية هو تسمية عربية ذكرها

أحمد بن فضلان في رسالته، والإسم منسوب إلى اسم قبيلة من قبائل الفايكنغ (كييفان روس Kievan Rus - حكم ووسع مملكته بين 882 - 912م) ومنه أُشتق اسم: روسيا وبلاروسيا وكييف، ووصل حكم مملكته

لذلك فاسم روسيا (الدولة الحالية) يكتب في اللغات الإسكندنافية الآن (روسلاند) أي بلاد (آل روس) نسبة إلى تلك القبيلة الفايكنغية. ولأن هؤلاء الفايكنغ من آل روس كانوا يتنقلون من مكان لآخر بتجديف القوارب الخفيفة التي يحملونها على أكتافهم برأ ما بين الأنهار

والبحيرات، فإن الكلمة الإنجليزية rowing the boat تجدف القارب مشتقة من row من روس. وقد حمت قبيلة آل روس المنطقة ضد الخزار الذين اعتنق مليكهم الديانة اليهودية، بينما اعتنق فلاديمير العظيم (م Vladimir 1015 - 980 the Great) الديانة المسيحية. لاحظ أن اسم فلاديمير هو اسم عربي أيضاً (أنظر تحت).

كما أن تخريج الكلمة الإنجليزية: وَي (Way) أي طريق إنما يُشتق أصلاً من (Waj) والذي بدوره يتسلسل من أصل الفايكنغ النرويجي القديم شاج (Vaj) حيث تخفف الحروف طبقاً للناطقين بها، وهو بالحقيقة من أصل عربي (فج)، كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَبِيبٍ ﴿٢٧﴾ سورة الحج: 27.

وكلمة الفايكنغ بالنرويجية القديمة للقرية أو البلدة الصغيرة هي: كارور (Garoar) وواضح أنها من الكلمة العربية (قرية) خصوصاً إذا لم يُلفظ الحرف الأخير من الكلمة (كاروه).

ثم إن المقاطع اللاحقة في تسمية المدن الإسكندنافية عرية الأصل:

1. لاند (-land) هي أصلاً من العربية (بلاد) لكن تخفف الحروف أو تحذف أو تقلب بعضها وفقاً للسان للناطقين بها. كما في كلمات المدن (-Serkland عرية الأصل:

سيركلاند (Serkland) مركبة من لفظتين عربيتين أي شرق-لاند أي بلاد الشرق ويقصد بها بغداد أو أرض الشرقيين وعاصمتهم الكبرى.

2. حام (-ham) هي أصلاً من العربية (حمى أو حومة) كما في كلمات المدن: Nottingham - Gillingham - Birmingham) وتعني اسم رأس القبيلة وقائدها من الفايكنغ الذي حل مع قبيلته في ذلك المكان فيُسمى باسمه أي: حمى نوتنغ، حمى جيلنغ، وحمى بيرمنغ.

3. بيرك (-Berg أو -Burg) هي أصلاً من العربية بُرج أي حصن وتشير إلى المدينة المحصنة بأسوار تعلوها أبراج مراقبة كما في كلمات المدن (Edinburgh - Hamburg)

وهكذا المدن الإسكندنافية مثلًا ed حيث تقدم البضائع التجارية أيام الفايكنغ فهي حديهم، وهي هدفهم عند الرجوع بسفنهم المحملة بالبضائع من البحر إلى هذه المستعمرة ومنها عبر النهر لمسافة قصيرة.

Birka في السويد Sweden أي بركة لأنها كانت مركز تجاري والمرفاً الآخر الذي ترسو فيه سفن الفايكنغ المحملة بالبضائع فهي مكان التمويل والبركة لهم بما تحمله من خيرات التجارة (واستبعد كون الاسم مشتقاً من بركة لكثرة المياه فيه أو لكثرة شجر البركة Birch).

في الدنمارك قد تعني سعيدة أو المدينة السعيدة (لعله اقتداء ببغداد المسماة مدينة السلام. ومن ثم تحول اسم القسطنطينية بعد فتحها من قبل السلطان محمد الفاتح إلى إسلام بول أو تحت الإسلام ثم تحولت لإستنبول، وسميت مدينة السعادة).

لكن اسم المدينة الإسكندنافية الألف هو اسم مدينة Baekke في الدنمارك Denmark أي مدينة (بكة) تبركا باسم قبيلة المسلمين: مكة المكرمة، وفيها مقابر الفايكنغ.

واسم (بكة) جاء في القرآن الكريم، إذ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي لَبَّيْكَ بِهِ بَارِعًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة آل عمران: 96.

وللاستزادة يرجى مراجعة الفصل الثاني من الجزء الأول ومراجعة الجزء الثاني من معجم الفردوس تحت أسماء الكلمات بحروفها الأولى. ومرجعية الكلمات الإنجليزية من أصولها النرويجية القديمة.

وتعني أدنبره أو أدنبيبرك: مدينة أدن أي مدينة عدن المحصنة بالأبراج (لجمالها وكثرة المياه حولها)، ومدينة هامبيرك الألمانية تعني: مدينة الحمى أو الحومة المحصنة (لأنها كانت كالكبوت الأم للألمان).

وهكذا المدن الإسكندنافية مثلًا ed حيث تقدم البضائع التجارية أيام الفايكنغ فهي حديهم، وهي هدفهم عند الرجوع بسفنهم المحملة بالبضائع من البحر إلى هذه المستعمرة ومنها عبر النهر لمسافة قصيرة.

Birka في السويد Sweden أي بركة لأنها كانت مركز تجاري والمرفاً الآخر الذي ترسو فيه سفن الفايكنغ المحملة بالبضائع فهي مكان التمويل والبركة لهم بما تحمله من خيرات التجارة (واستبعد كون الاسم مشتقاً من بركة لكثرة المياه فيه أو لكثرة شجر البركة Birch).

في الدنمارك قد تعني سعيدة أو المدينة السعيدة (لعله اقتداء ببغداد المسماة مدينة السلام. ومن ثم تحول اسم القسطنطينية بعد فتحها من قبل السلطان محمد الفاتح إلى إسلام بول أو تحت الإسلام ثم تحولت لإستنبول، وسميت مدينة السعادة).

لكن اسم المدينة الإسكندنافية الألف هو اسم مدينة Baekke في الدنمارك Denmark أي مدينة (بكة) تبركا باسم قبيلة المسلمين: مكة المكرمة، وفيها مقابر الفايكنغ.

واسم (بكة) جاء في القرآن الكريم، إذ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي لَبَّيْكَ بِهِ بَارِعًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة آل عمران: 96.

وللاستزادة يرجى مراجعة الفصل الثاني من الجزء الأول ومراجعة الجزء الثاني من معجم الفردوس تحت أسماء الكلمات بحروفها الأولى. ومرجعية الكلمات الإنجليزية من أصولها النرويجية القديمة.

See 'Paradise Dictionary' for English words of Arabic origin via their Old Norse origin

وأرفق أدناه خارطة البلدان كما سماها الفايكنغ لأهميتها:



أسماء الفايكنغ

ابتداءً فإن اسم الفايكنغ بالإنجليزية (Viking) هو من أصل عربي (الفرنجيين ومفرده فرنجي) كما جاء اسمهم في كتابات الرحالة العرب والمسلمين (Varangi Varangian -) إذ كانوا يسمون الغربيين الأوروبيين بهذا الإسم (وصارصليبيو أوروبا يسمون لاحقاً بالـ فرنج او الفرنجة).

ومن فرنجي تحول الاسم الى فايكنغ (كما تؤكد ذلك معظم الكتب الأوروبية).

ثم أن الكثير من أسماء الفايكنغ هي تحويل لأسماء عربية الأصل، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

اسم هيلغا (Helga) هو أصلاً تحويل لاسم (هالة) ويحمل معنى القدسية.

وللاسم تحويلات أخرى (Helge, Helghi)، ومشتقات أخرى: أولغا Olga

ولعل الاسم يقابله بالإنجليزية إسم نظير: هيلين (Helen) بنفس المعنى من الهالة القدسية والنور.

والاسم بربارا (Barbara) هو الاسم المؤنث من الأصل العربي (بربري) أو بَرَّانِي أجنبي كما كان الإغريق يسمونهم بسبب لغتهم التي لا يفهمها الإغريق في الشمال الأفريقي.

ومشتقات هذا الاسم الأثوي كثيرة، يُستخلص بحثاً من غوغل كما يلي:

DIMINUTIVES (تصغيرات الاسم): Babs, Barb, Barbie, Bobbi, Bobbie (English), Bärbel (German), Basia (Polish), Bara, Barica (Croatian)

OTHER LANGUAGES (الاسم في لغات أخرى): Barbra (English), Borbála (Hungarian) Varvara (Bulgarian), Barbora, Bára (Czech), Varvara (Greek), Báirbre (Irish), Barbora (Lithuanian), Varvara (Macedonian), Bárbara (Portuguese), Varvara, Varya (Russian), Barabal (Scottish), Barbora (Slovak), Bárbara (Spanish), Barbro (Swedish)

ويقابله الإسم الذكري برباروس (Barbaros).

لكن هذا الاسم الذكري يختلف عن اسم برباروسا (Barbarossa) الذي يعني بالإيطالي Barb-rosa أو Red-Beard أي ذو اللحية الحمراء وكان يُسمى بها:

خير الدين برباروسا، أدميرال البحرية العثمانية الذي دوَّخ أوروبا وهيمن على البحر الأبيض المتوسط وحوله إلى بحيرة إسلامية أيام السلطان العظيم سليمان القانوني- رحمه الله).

والاسم هيجن (Hagen) هو إسم ذكوري إسكندنافي مشهور وهو من أصل إسلامي: خاقان أو خان، بمعنى الحامي القوي والمالجأ العظيم (strong defender).

ولشهرة الاسم فله اشتقاقات وأشكال أخرى:

Variants of the name Hagen (الأشكال الأخرى للاسم هيجن):

Hagan (Irish, Gaelic): Hakon (German). Hagan is also a variant of Haven (Old English).

Hagan has 2 variants: Haggan and Hogan. Hagan has 7 more different forms: Haaken, Haakin, Haakon, Hacon, Hakan, Hako and Havin.

كما أن اسم فلاديمير (Vladimir) هو اسم مشهور بين فايكنغ الروس، وهو من أصل عربي:

(بلاد - أمير) أي أمير البلاد على الأرجح، أو أنه يعني (فولاذ - أمير) أي الإمبر الفولاذي أو الحديدي.

وللاستزادة يرجى مراجعة الفصل الثاني من الجزء الأول ومراجعة الجزء الثاني من معجم الفردوس تحت أسماء الكلمات بحروفها الأولى. ومرجعية الكلمات الإنجليزية من أصولها النرويجية القديمة.

See 'Paradise Dictionary' for English words of Arabic origin via their Old Norse origin.

مفردات أسكندنافية

تعج لغة الفايكنغ الإسكندنافية النرويجية القديمة بالعديد من الكلمات العربية الأصول وعن طريقهم تغلغلت هذه الكلمات للغات الأوروبية وتسلت المفردات العربية عبر التلاقي الثقافي إلى اللغة الإنجليزية نفسها.

ويمكن تتبع هذه المفردات العربية وغيرها في التخرج اللغوي للكلمات الواردة في معجم الفردوس ذوات التأصيل العربي للمفردات النرويجية القديمة. على سبيل المثال لا الحصر:

للميت تحضيرات كثيرة لكي يرتقي للجنة، فإن الجنة تُسمى عند الفايكنغ بـ (Valhalla)، وبالعربية (ولا- هلا - أي ولي صالة) أو صالة الأولياء أي دار الأولياء الصالحين أو ما يقابل عندنا الفردوس الأعلى.

وكلمة (Valkyrie) تعني (وال- كيري أو ولي - خيرتي) أو خير الأولياء الصالحين. وهو البطل المقاتل الذي تتخيره الألهة للفردوس الأعلى (Valhalla) (انظر أعلاه).

بل إن (العشق) باللغة الإسكندنافية هو: الإسك (alska) ويعني الحب الشديد مثل اللغة العربية.

وكلمة (أو) تقابله بالإسكندنافية كلمة (ao) بالضبط مثل العربية.

ولتُهي فصل الكلمات بإخراج الهواء من المخرج أي النساء بالعربية من فسا، وبالضبط مثله بالإسكندنافية: فيسا (Fisa)!

جديد المعلومات في الاكتشافات الحديثة

أُكتشفت حديثاً قطعتان أو أثران مهمان جداً، دارت حولهما دراسات أصيلة مستفيضة: منها بحوث علمية أكاديمية بالمجهر الإلكتروني والتحليل الكيميائي،

وأخرى تاريخية آثارية عميقة.

وقد نُشرت هذه المقالات وبالتفصيل في أمهات المجلات المحكمة (انظر أدناه).

أولى هذه الدراسات الشيقة:

دراسة جديدة تشير إلى أن (حلقة الخاتم) من القرن التاسع والتي وجدت في موقع للفايكنغ في السويد قد جاءت مباشرة من الحضارة الإسلامية. تتضمن الحلقة فصاً من الزجاج الملون المحفور والمكتوب عليه بالنص العربي (لله) أي في سبيل الله.

وتشير كريستر أهلين من متحف التاريخ السويدي إلى أنه وبعد أكثر من قرن من الزمان من اكتشافه (في أواخر 1800م حتى الآن) في قبر امرأة من القرن التاسع في حفريات مدينة ومركز الفايكنغ التجاري في السويد المسمى (بركة - انظر تحت التعليق على اسم المدينة بركة)، فقد كشف خاتم الفضة هذا مع الفص المحفورة على أدلة اتصالات وثيقة بين عصر الفايكنج (الدول الإسكندنافية) والعالم الإسلامي. وأظهر عالم الفيزياء الحيوية سيباستيان ورملاندر من جامعة ستوكهولم توثيق البحث والتقصي تحت المجهر الإلكتروني الماسح كشف أن ما افترض كونه فصّ من أماتيست amethyst هو في الحقيقة زجاج ملون (مادة غريبة في ذلك الوقت).

نقش على فصّ الزجاج الملون بالخط الكوفي: (لله) أي "في سبيل الله" أو "الله" في الكتابة العربية القديمة.

https://m.youtube.com/watch?v=7UAfyR9kAxx

https://www.youtube.com/watch?v=uWIrY2VzRM0

ثاني هذه الدراسات الشيقة:

تشير إلى خرزتين من الكويالت- الزجاج الأزرق (قد تكون خرز عقد)، وجدت في مقابر عمرها 3400 في الدنمارك، جاءت من مصر القديمة، ربما عبر طرق التجارة الأوروبية واسعة النطاق، وفقاً لبحث جديد صرح به أي. ميكسن من المتحف الوطني في الدنمارك.

لقد ارتدت كبار شخصيات العصر البرونزي فيما يسمى اليوم بالـ (دنمارك)، ارتدت عقود الخرز الزجاجية ذوات الألوان الزاهية والمصنوعة في ورشات الفراغة المصريين وورشات حكام بلاد الرافدين (العراق)، وفقاً لما يخلص إليه تحقيق جديد.

ربطت طرق التجارة مصر وبلاد الرافدين مع الدنمارك منذ 3400 سنة من الآن، وظلت هذه الطرق نشيطة حتى 3100 سنة من الآن وعلى أقل تقدير، كما يصرح بذلك

مصادر البحث:

1. معجم الفردوس ومفردات اللغة العربية عبر التاريخ. للإستاذ الدكتور مهدي الفلوجي. طبعة البيكان للبحوث والنشر. الجزء الأول. الفصل الثاني.

والجزء الثاني (بكماله) عام 2012

2. مقالات البحث الحديثة:

بما يدل بوضوح تصنيع هذا الخاتم من قبل صائغ الفضة العربية.

وهذا مما يدل بوضوح وجود تجارة بينية وتداول للمواد والبضائع الزجاجية الجذابة بين الدول الإسكندنافية وبين مصر وبلاد ما بين النهرين في وقت مبكر قبل 3400 سنة. ومن ثم، فإن الدول الإسكندنافية التي تمخر عباب البحر بسفنها ربما هي التي ذهبت وحصلت على البضائع الزجاجية من تجار العالم الإسلامي في نفس هذا الجزء من العالم بعد أكثر من 2000 سنة بدلاً من الانتظار لهذه القطع المرغوبة من البضائع الزجاجية للتحرك شمالاً

إليها وهي في مكانها عبر شبكات التجارة والتجار آنذاك. كما وتوثق النصوص القديمة لقاءات قد حدثت منذ حوالي 1000 سنة بين الدول الإسكندنافية وبين أعضاء من الحضارة الإسلامية التي امتدت من غرب آسيا إلى أراضي البحر الأبيض المتوسط (رغم ندرة الأدلة الأثرية).

وللمزيد يرجى مشاهدة معرض مدينة سامراء في المتحف الإسلامي في برلين (شباط / فبراير 2013) تحت عنوان: (سامراء مركز العالم)

لاحظ التصنيع العباسي للأواني الزجاجية والخزفية المتطور في القرن التاسع الميلادي (شاهد الرابطين أدناه):

https://m.youtube.com/watch?v=7UAfyR9kAxx

https://www.youtube.com/watch?v=uWIrY2VzRM0

ثاني هذه الدراسات الشيقة:

تشير إلى خرزتين من الكويالت- الزجاج الأزرق (قد تكون خرز عقد)، وجدت في مقابر عمرها 3400 في الدنمارك، جاءت من مصر القديمة، ربما عبر طرق التجارة الأوروبية واسعة النطاق، وفقاً لبحث جديد صرح به أي. ميكسن من المتحف الوطني في الدنمارك.

لقد ارتدت كبار شخصيات العصر البرونزي فيما يسمى اليوم بالـ (دنمارك)، ارتدت عقود الخرز الزجاجية ذوات الألوان الزاهية والمصنوعة في ورشات الفراغة المصريين وورشات حكام بلاد الرافدين (العراق)، وفقاً لما يخلص إليه تحقيق جديد.

ربطت طرق التجارة مصر وبلاد الرافدين مع الدنمارك منذ 3400 سنة من الآن، وظلت هذه الطرق نشيطة حتى 3100 سنة من الآن وعلى أقل تقدير، كما يصرح بذلك

مصادر البحث:

1. معجم الفردوس ومفردات اللغة العربية عبر التاريخ. للإستاذ الدكتور مهدي الفلوجي. طبعة البيكان للبحوث والنشر. الجزء الأول. الفصل الثاني.

والجزء الثاني (بكماله) عام 2012

2. مقالات البحث الحديثة:

بما يدل بوضوح تصنيع هذا الخاتم من قبل صائغ الفضة العربية.

وهذا مما يدل بوضوح وجود تجارة بينية وتداول للمواد والبضائع الزجاجية الجذابة بين الدول الإسكندنافية وبين مصر وبلاد ما بين النهرين في وقت مبكر قبل 3400 سنة. ومن ثم، فإن الدول الإسكندنافية التي تمخر عباب البحر بسفنها ربما هي التي ذهبت وحصلت على البضائع الزجاجية من تجار العالم الإسلامي في نفس هذا الجزء من العالم بعد أكثر من 2000 سنة بدلاً من الانتظار لهذه القطع المرغوبة من البضائع الزجاجية للتحرك شمالاً

إليها وهي في مكانها عبر شبكات التجارة والتجار آنذاك. كما وتوثق النصوص القديمة لقاءات قد حدثت منذ حوالي 1000 سنة بين الدول الإسكندنافية وبين أعضاء من الحضارة الإسلامية التي امتدت من غرب آسيا إلى أراضي البحر الأبيض المتوسط (رغم ندرة الأدلة الأثرية).

وللمزيد يرجى مشاهدة معرض مدينة سامراء في المتحف الإسلامي في برلين (شباط / فبراير 2013) تحت عنوان: (سامراء مركز العالم)

لاحظ التصنيع العباسي للأواني الزجاجية والخزفية المتطور في القرن التاسع الميلادي (شاهد الرابطين أدناه):

https://m.youtube.com/watch?v=7UAfyR9kAxx

https://www.youtube.com/watch?v=uWIrY2VzRM0

ثاني هذه الدراسات الشيقة:

تشير إلى خرزتين من الكويالت- الزجاج الأزرق (قد تكون خرز عقد)، وجدت في مقابر عمرها 3400 في الدنمارك، جاءت من مصر القديمة، ربما عبر طرق التجارة الأوروبية واسعة النطاق، وفقاً لبحث جديد صرح به أي. ميكسن من المتحف الوطني في الدنمارك.

لقد ارتدت كبار شخصيات العصر البرونزي فيما يسمى اليوم بالـ (دنمارك)، ارتدت عقود الخرز الزجاجية ذوات الألوان الزاهية والمصنوعة في ورشات الفراغة المصريين وورشات حكام بلاد الرافدين (العراق)، وفقاً لما يخلص إليه تحقيق جديد.



خرزتان من الكويالت- الزجاج الأزرق وجدت في مقابر عمرها 3400 في الدنمارك، جاءت من مصر القديمة



Beads glassy eyes عيون الخرزة الزجاجية

الخلاصة:

تتظاهر الأدلة جميعاً على عمق العلاقات التجارية والمعيشية والمصاهرة والأخوة الإسلامية بين العرب وبين شعوب الفايكنغ بعد انتشار الإسلام، بل ولعلاقات تجارية وحميمة تربط سكان الشمال الأوروبي بوادي الرافدين ومصر منذ القدم وقبل الإسلام.

وتشير الأدلة وبقوة لإسلام قسم كبير من شعوب وممالك الفايكنغ، بل وانضمام وقتال قسم كبير من الفايكنغ ضمن وحدات الجيش العباسي في بغداد.

كما يشير البحث لتأثر الفايكنغ الكبير بالعالم الإسلامي وبلغته الإسلام: اللغة العربية، وتغلغل هذه المفردات العربية في لغة شعوب الفايكنغ (أي في النرويجية القديمة)، ومن ثم تغلغل مفردات النرويجية القديمة في اللغات الأوروبية: كاللغة الإنجليزية والألمانية والفرنسية.

وكانت مرجعية (معجم الفردوس) من أهم المصادر التي تصدرت قائمة المراجع لهذا البحث الشيق، بل وأهم المراجع التي مهّدت جدياً لتعميق واستمرار هذا البحث الأصيل الممتع.

عالم الآثار جانيت فاربرغ وزملائها من متحف ميزغاردر Moesgaard هي هوبجبرغ Højbjerg (في الدنمارك).

أظهرت التحاليل الكيميائية للخرز الزرقاء التي وجدت في المقابر الدانماركية للعصر البرونزي لتلك المدة أن الحلي قد صُنعت وجاءت من ورش تصنيع زجاجية من مصر الفرعونية ومن حكام الهلال الخصيب، كما كتب ذلك الباحثون في مجلة العلوم الأثرية (بتاريخ 13 ديسمبر).

"هذا هو أول دليل على انتقال الزجاج المصري القديم خارج منطقة البحر الأبيض المتوسط"، كما تقول جانيت فاربرغ.

وتضيف فاربرغ: أما زجاجيات بلاد الرافدين فقد كانت معروفة بوصولها شمالاً وحتى فرنسا.

يشير التحليل الكيميائي إلى أن بلاد الرافدين هي المصدر لهذه الخرزة الزجاجية، وتظهر مُرصعة بعيون من الزجاج الملون: الأصفر والأبيض. أُكتشفت هذه الخرزة في قبر دنماركي يناهز عمره 3400 سنة.

التوثيق: أي ميكسن من المتحف الوطني للدنمارك. Credit: A. Mikkelsen, National Museum of Denmark

أولاً: <https://www.sciencenews.org/article/ring-brings-ancient-viking-islamic-civilizations-closer-together> Ring brings ancient Viking. Islamic civilizations closer together By Bruce Bower March 13, 2015

ثانياً: Analysis and interpretation of a unique Arabic finger ring from the Viking Age town of Birka, Sweden

1. Sebastian K.T.S. Wärmländer. 2. Linda Wählander.

3. Ragnar Saage. 4. Khodadad Rezakhani. 5. Saied A. Hamid Hassan . and 6. Michael Neiß Article first published online: 23 FEB 2015

ثالثاً: Egyptian News Archaeology Ancient Egyptian blue glass beads reached Scandinavia Chemical analysis of Danish discoveries extends range of Bronze Age trade By Bruce Bower December 19, 2014

رابعاً: Ancient Egyptian blue glass beads reached Scandinavia Magazine issue: Vol. 187 No. 2, January 24, 2015, p. 8

ScienceNews



دور التكنولوجيا في تنمية المعرفة بالوطن العربي

طموحة للدخول في هذا العالم الجديد - عالم الاتصالات والمعلومات والحاسب الآلية - لكي تتمكن من اللحاق بركب التقدم.

التكنولوجيا كحل لمشكلات العالم

يواجه العالم في الألفية الثالثة مشكلات جمة تأخذ بخناق الأمم والشعوب منها:

- الغذاء
- الطاقة
- المياه
- البطالة
- الإسكان

وتتعدد وتتباين هذه المشكلات من دولة لأخرى ويأخذ العرب نصيباً وافراً منها إذن ما الحل وكيف السبيل للخلاص... الحل الوحيد والعملية والعلمي في الوقت نفسه هو اللجوء للتكنولوجيا لتوفير سبل الحياة الكريمة والرفاهية المنشودة.

وإذا كان الفرد الحالي قد شهد نزول إنسان على سطح القمر وهو أول تابع لكوكبنا الأرض فليس بعيداً أن تتأقداً عندما الإنسان بقية كواكب المجموعة الشمسية وقد يتماذى الإنسان في أحلامه ويطمح الذهاب لمجموعة أخرى غير مجموعتنا الشمسية وليس بغريب - أن بعض الأفراد من أمريكا وأوروبا - قد بدأت تحجز في وادي القمر الربح.

يتنامى دور المعرفة في عالم اليوم يوماً بعد يوم وتتوسع المعلومات والبيانات ليس على المستوى المحلي بل على المستوى الدولي ولقد واکب هذا التنوع الهائل تعدد وسائل الإعلام مثل المقروءة والمسموعة والمرئية مما بات يمثل ثورة كبرى في عالم المعرفة.

ثم دخل العالم بعد ذلك ثورة وليفة أخرى أكبر أثراً وأعمق تأثيراً وأشد خطراً وهي الشبكة الدولية للمعلومات - الشبكة العنكبوتية- مما أحدث انقلاباً هائلاً في حجم المعلومات المتاحة وأصبح من الميسور بلمسات دقيقة من الأصابع أن تطلع على أحدث الموسوعات وتجوب أقاصي بقاع الأرض والسماء.

وأضحى للمعرفة ثمناً باهظاً لا يملكه إلا من يملك مقومات وأسس عالم اليوم - عالم الاتصالات والمعلومات - وأيضاً علم التطوير الحالي والمستقبلي لتكنولوجيا الحاسبات الآلية

وأصبح العالم فريقين:

- فريقاً يملك المعلومات والتكنولوجيا.

- فريقاً يستورد المعلومات والتكنولوجيا.

وأضحى العالم الأول المتقدم يضع شروطاً قاسية لتصدير التكنولوجيا، وها هو يضع الشروط للدخول على عالم المعرفة.

وجدير بالعرب ومصر هي الرائدة أن تتبنى خطماً

ويشهد عالم اليوم قدرة تكنولوجية جبارة تتطور يوماً بعد يوم، ويأتي بالجديد في جميع نواحي الحياة بل تعدتها إلى الهندسة الوراثية ومحاولة فك الشفرة الجينية والوصول لهذا العالم الفسيح في البناء الإنساني وأيضاً الهندسة الوراثية في النبات لاستنباط سلالات أكثر إنتاجاً وأعلى مقاومه للأمراض والآفات وذلك لإشباع الأفياء المفتوحة. وفي الصناعة الإنتاج العالي التقنية وبالسعر المناسب لكي يلبي رغبات المستهلكين، أن التكنولوجيا هي ميدان التنافس الواسع بين الأمم والشعوب حيث إنها تنقل دولاً من آخر القائمة للصف الأول.

ولقد كان الإستعمار التقليدي بمعناه الشامل عسكرياً ثم تطور ليكون اقتصادياً ثم تطور الآن ليكون تكنولوجياً ومعرفياً وأصبحنا نسمع لأول مرة عن ما يسمى "حظر تصدير التكنولوجيا الفائقة" وهو بهذا يهدف لحجب هذه التقنية المتقدمة وحرمان بعض الدول منها.

وتقدم هذه الثورة التكنولوجية في مجالات عدة من أبرزها التكنولوجيا البيولوجية (الحيوية) وأحلال وإعادة هيكلة المواد وصناعة المعلومات في بعض جوانبها فرصاً جديدة لدفع عجلة التنمية في العالم الثالث وحل مشكلات الفقر ونقص الموارد وتشير بعض الدراسات أن الدول النامية أصبحت تابعة تكنولوجياً للدول الصناعية المتقدمة.

وقد ساعد هذه المسلك في الدول النامية أن كثيراً من المشروعات في الدول النامية أتمدت على التمويل على المعونات الأجنبية وهي مقيدة في معظمها بما يعني أن على الدول المستفيدة من المعونة أن تلتزم بشراء المعدات الرأسمالية وما يرتبط بها من تكنولوجيا وتصميمات هندسية من الدول المانحة للمعونة.

الإسهام العربي في تكنولوجيا الغد

إن العالم العربي في مفترق طرق خطيرة قد تؤثر عليه لسنوات طوال قادمة فهو أما بمنأى عن التقدم التكنولوجي أو مستورد له من دول العالم الأول وكلاهما جد خطير ولا بد له من دور فاعل ليضعه على مصاف الأقوياء - المتقدمة تكنولوجيا - وطريق هذا وواضح إلا أنه شاق وعسير وصعب ولا ينقص العالم العربي ومصر بصفة خاصة الكوادر العلمية القادرة على استيعاب الجديد في عالم اليوم إلا أنها البيروقراطية الإدارية والمشكلات الفردية بين القاعدة والقمة.

لكي تؤتي حركة التكنولوجيا العربية ثمارها المرجوة فلا بد لها من التخلص من قيود وإغلال البيروقراطية واتباع أحدث أساليب الإدارة العلمية مثل:

1 - الإدارة بالأساليب.

2 - الإدارة بالأهداف.

3 - الإدارة بالرؤية المشتركة.

وفي رأي أن الأسلوب الثاني هو أفضل الأساليب لتطويع البحث العلمي لإنتاج تكنولوجيا تخدم الأهداف التكنيكية

للوصول للهدف الإستراتيجي، ومن ثم تعدد الأهداف وطرق الإداء تبعاً للمستويات الإدارية والتنفيذية. ويجب أن ينأى الهدف الإستراتيجي عن أي مطالب مادية سوى الصالح العام وخدمة المجتمع بمعناه الشامل، أي إنتاج تكنولوجيا صالحة لقطاعات الدولة المختلفة صناعة وزراعة واقتصادية بل وسياسية وخدمية.

إن ظهور وأقول القوى العظمى رهن بالتطوير الحادث على مسرح الأحداث الدولية وكذا سقوط الحواجز بين البحوث العلمية الأساسية والتطبيقية لإبراز منتج تكنولوجي قادر على المنافسة.

إن الثورة التكنولوجية تتطلب غزارة في المعلومات وتقنية عالية في المعدات والأجهزة وتدريب للكوادر العلمية. ملحق رقم (1)

مجتمع المعرفة ودوره في التقدم البشري

يواكب عالم اليوم كما هائلاً من المعلومات التي هي الرافد الرئيسي للمعرفة ودورها حيوي ومؤثر في منطقة التقدم البشري.

إلا أن هذا الرافد الرئيسي قد يقود بعض العقبات التي تجد من تأثيره المحوري مما يجعل تداول المعرفة والاستفادة منها أمراً عسير المنال، ومن ثم ينخفض معدل التنمية.

وليس بخاف أن إنتشار الأمية في مجتمع ما يكبل طموحات وتطلعات الأمة نحو الرقي والتقدم والرفاهية.

ونورد بعض المعوقات كالاتي:

- إرتفاع نسبة الأمية.

- تدني مستوى خريجو الجامعات والمعاهد العليا.

- عدم تطوير التعليم والأخذ بمبدأ التكنولوجيا المتقدمة A dvanced Technology .

- عدم الأخذ بأسباب الاستعداد الرقمي E - readness

- إنخفاض عدد مشتركى شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

الدور العربي في تنمية المعرفة الإنسانية

لقد قدم - العرب الأوائل - للحضارة الإنسانية مقومات الحضارة الحالية وذلك في مختلف فروع العلم كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والموسيقى وغيرها.

وفي عالم اليوم يتطور العلم بمعدلات مذهلة ويأتي بالجديد كل ساعة، ويطمح الإنسان أن يغزو الكواكب الأخرى بعد نزوله على القمر.

إلا أن الإسهام العربي ما زال ضئيلاً ومحدوداً على المستوى القومي بيد إن الإسهام الفردي للعلماء العرب كبير ومتعدد، حيث إن معظم البحوث الهندسية التطبيقية بواسطة علماء عرب. ملحق رقمي (2) ، (3)

الخلاصة:

إن المعرفة في عالم اليوم لها مكان الصدارة والإهتمام. ويحدث صراع شرس بين الدول حول امتلاك تكنولوجيا

المعلومات وكيفية معالجتها وتطويرها. والتكنولوجيا هي الحل الوحيد والواقعي لحل مشكلات العالم، بيد أن الإسهام العربي مازال محدوداً على المستويات القومية إلا أن متنامي وفاعل على المستوى الفردي .

وجدير بالعرب أن يركزوا حضورهم للحاق بركب المعرفة لكي يكون لهم الصدارة في مجريات الأحداث العالمية.

التوصيات:

1 - الاهتمام بإنشاء قواعد البيانات ومراكز المعلومات على المستويات المختلفة.

2 - الارتقاء بمستوى التعليم ورفع مستوى الخريجين.

3 - تطويع التكنولوجيا لخدمة المجتمع.

4 - أسلوب بحث علمي لحل مشكلات المجتمع.

5 - ربط الخطط الخمسية بتكنولوجيا العصر.

الهوامش:

- 1 - مطبوعات جامعة طوكيو - اليابان 1995
- 2 - مؤتمر تطوير الدراسات العليا والبحث العلمي 15-16 فبراير 1998 - جامعة الاسكندرية.
- 3 - التنمية في عالم متغير - د. إبراهيم العيسوي - دار الشروق 2002م
- 4 - نظم وشبكات المعلومات - تأليف كجيل سامويلسون وآخرين - ترجمة د. شوقي سالم - 1977م - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 5 - مؤتمر التعليم العالي في مصر وتحديات القرن الواحد والعشرين - جامعة المنوفية يوليو- 1996م.
- 6 - " Lausame " World Competitiveness Tear beok (International institute for Mangement Development Switzerland. 1997 IMD
- 7 - " Globalization " (Human Development Report. 1999) with a hummen face UNDP. Washington bc . 1999

الملاحق

ملحق (1) مؤشرات التطور التكنولوجي:

- 1 - بروز قطاع خدمي حديث
- 2 - وجود قطاع صناعي حديث
- 3 - الهيكل الصناعي والنشائيات الداخلية فيه
- 4 - المدخل المعلوماتي في عمليات الإنتاج
- 5 - المستوى المهاري لقوة العمل
- 6 - هجرة العمالة للخارج (بما فيها الهجرة للأقطار العربية)
- 7 - توافر زراعات وخدمات حديثة تقوم على التكنولوجيا العالية
- 8 - توافر وحدات بحث وتطوير
- 9 - إنتاجية قوة العمل في الزراعة والصناعة
- 10 - وجود تعاقدات فنية وتكنولوجية على المستوى الإقليمي (العربي) بانتفاعين العام والخاص.
- 11 - الاستثمار في تطوير الصناعات والحرف
- 12 - حجم معلومات فنية تستخدم قطاع الاستثمار
- 13 - قاعدة بيانات للقطاعات بالمجتمع
- 14 - أسلوب تدقيق البيانات والمعلومات
- 15 - تدفق عناصر الإنتاج عن طريق حجم المعلومات المتوافرة

ملحق (2) بيان مشتركى الإنترنت بالعالم العربي

- 1 - في مصر (2-3) مليون مشترك
 - 2 - في السعودية مليون مشترك
 - 3 - في الإمارات .05 مليون مشترك.
- ومن هذا يتضح انخفاض الاشتراك النسبي للإنترنت - في مصر - عنها في الدول العربية الأخرى مقارنة بالتعداد الكلي للسكان
- ملحق (3) ميزانية البحث العلمي - في بعض الدول منسوبة للدخل القومي .
- 1 - اليابان 2.8 %
 - 2 - أمريكا 2.47 %
 - 3 - كوريا 2.2 %
 - 4 - إسرائيل 3 %
 - 5 - مصر 1 % (كانت قبل ذلك 0.1 %)
 - 6 - الهند 2.3 %

المرجع تقرير التنمية البشرية بالعالم العربي 2011م



د. عبد المقصود حجو

أستاذ زائر بالجامعات المصرية والعربية - مصر



التعلم الإلكتروني الحقيقي كما يجب أن يكون



د. عماد عمر سرحان

استشاري في المعلوماتية وإدارة المعرفة -

الرياض

ينظر الكثيرون إلى التعلم الإلكتروني على أنه تعليم أقل مستوى من التعليم التقليدي بصفته أنه لا يوجد لقاء حقيقي بين المعلم والمتعلم، وأن الغش والتدليس فيه متاح بشكل أكبر. وربما يعود السبب في تلك النظرة إلى التطبيق الخاطئ للتعلم الإلكتروني، الذي اعتمدت عليه أغلب المؤسسات التعليمية خصوصاً في المنطقة العربية، التي ركزت على مجرد تحويل التعليم التقليدي إلى تعلم إلكتروني عبر بث وتسجيل المحاضرات العلمية من خلال الإنترنت أو استخدام التقنية في الصفوف الدراسية، متجاهلين كل التقنيات والأساليب الحديثة، التي تؤثر على إنسان اليوم. وهم بذلك يحاكون التعليم التقليدي الذي يعتمد على نقل المعلومات من المعلم إلى الطالب، ثم قيام الطالب بعد ذلك بنقل تلك المعلومات التي حصل عليها إلى الورق.

لقد زاد الأمر سوءاً تلك العزلة التي تفرضها تطبيقات إدارة التعلم الإلكتروني Learning management Systems المستخدمة في الجامعات والمؤسسات التعليمية اليوم لتقديم المقررات الإلكترونية. ففي الوقت الذي تتطور فيه وسائل التواصل الحديثة وأدوات المعرفة حولنا، تصر تلك التطبيقات على عزل الطالب عن أقرانه ليتعلم

ويختبر وينجح وحده. لقد كان يدرس مع أقرانه في الصف الدراسي، لكنه ومع استخدام تلك الأنظمة التقنية يفقد ذلك ويعود وحيداً. فهل يمكن لهذه البيئة التي تساعد الطلاب على الحفظ والتلقين والانكامل على المدرس وتعتمد على القوالب التعليمية الجاهزة أن تساهم في حدوث تطوير في التعليم.

لقد كانت النتيجة أن التعلم الإلكتروني السائد الآن لم يضيف قيمة حقيقية للمجتمع برغم الدور الكبير الذي يمكن أن يلعبه في تطوير العملية التعليمية في المنطقة العربية، بل تم صنع نسخة مكررة ومشوهة من التعليم التقليدي. فما العائد من التعلم الإلكتروني إن لم يضيف لعملية التعليم أي قيمة أو فائدة؟ إن كان مجرد تكرار لما هو عليه التعليم اليوم دون تغيير، إن لم نستفد من التقنيات الحديثة في التطور والنمو. هل يمثل التعلم الإلكتروني مجرد "أتمتة" للتعليم التقليدي، مجرد تكريس للوضع القائم ولكن بطريقة مبتكرة. ما فائدة أن نضمن لقاء الطالب بالمدرس إن لم يكن لهذا اللقاء أي عائد أو أن المدرس لا يتقن التعليم. وما الفائدة من أن نحكم على تحصيل الطلاب بمدى استجابتهم للتلقين دون أن نستفيد من التقنيات الحديثة لتطوير أسلوب

تعليمهم؟

إن الكثير من المؤشرات تدل على أن التعلم الإلكتروني سيكون أمراً حتمياً خلال الأعوام القادمة، ولن يكون هناك أي خيار أمام الأجيال القادمة سوى التعلم الإلكتروني كوسيلة لتلقي المعرفة أهمها:

- ندرة عدد المعلمين المتميزين القادرين على تقديم تعليم حقيقي للمتعلمين مقارنة بعدد المتعلمين الذي يزداد يوماً بعد يوم، مما سيجبرنا على استخدام التعلم الإلكتروني لتوفير التعليم لعدد أكبر من المتعلمين.
- المبالغ الكبيرة التي يتم صرفها على التعليم التقليدي دون نتائج ملموسة وحقيقية، مما سيجعل التعلم الإلكتروني فرصة لتوفير تعليم أفضل وبتكاليف أقل.
- ديناميكية المعرفة وتوفرها بشكل مستمر عبر شبكة الإنترنت، حيث لا يمكن للتعليم التقليدي أن يواكب هذا التغير أو أن يتعامل مع هذا الكم المتدفق من المعرفة. ومن ثم فالمعلم اليوم بحاجة إلى تعليم إلكتروني حقيقي يمكنه من الاستفادة من المعرفة حوله بشكل أفضل.
- حاجة الأجيال الرقمية اليوم إلى أسلوب أكثر حداثة في التعلم يستغل ما هو متوفر من تقنيات تناسبهم، بحيث يكون قريباً منهم بشكل أفضل. فالتعليم

التقليدي والإلكتروني السائد لا يتناسب مع جيل، اليوم لأن المعلومات التي يقدمها المعلم للمتعلمين، ويطلب منهم أن يعيدوا تكرارها، هي في الأساس متوفرة وبغزارة على شبكة الإنترنت.

وحتى نكون مستعدين لذلك فنحن بحاجة إلى نظرة أخرى للتعلم الإلكتروني، لا نتقف عند بث محاضرة إلكترونية أو لقاء بين معلم ومتعلم عبر الإنترنت، بل أن نتعامل معه على أنه عملية تعليمية متكاملة ترتبط بمجموعة من العناصر التي تجعله قابلاً يوماً ما، لأن يكون بديلاً للتعليم التقليدي وقريباً لطبيعة المتعلمين اليوم. أهم تلك العناصر:

- 1- البيئة المفتوحة: إن الدمج والتكامل الذي نراه اليوم بين التطبيقات السحابية Cloud Computing والأجهزة المتنقلة Mobiles والشبكات الاجتماعية وتقنيات البيانات الضخمة Big Data أوجد بيئة تقنية مختلفة تماماً عن تلك التي تعاملت معها الأجيال السابقة. فهي بيئة مفتوحة وغير محتكرة وغير مركزية ومتاحة في أي وقت وفي أي مكان ومن أي جهاز وبتكلفة منخفضة. بيئة يسارع فيها التطور بشكل كبير، وتوفر حرية في العمل لم تكن متاحة للأجيال السابقة.

لذلك ينبغي أن يتم استغلال تلك البيئة المفتوحة بوصفها بيئة تعليمية مفتوحة في أي عملية تعلم إلكتروني. فلا يمكن لأنظمة تقنية جامدة أو صفوف دراسية محدودة أن تحدد من تلك الحرية المتوفرة اليوم بين أيدي المتعلمين، وأن نتجح في إيجاد بيئة تعلم حقيقي كما كان الحال سابقاً. فالمتعلمون اليوم بحاجة إلى بيئة تعليمية ذات هيكلية ديناميكية تتلاءم مع تلك الحرية، وتستغل هذا التطور المتسارع وتلك الأدوات المتوفرة بشكل متكامل، وفي الوقت ذاته مرنة قادرة على استيعاب ما قد يأتي من جديد.

وتوفر تلك البيئة المفتوحة اليوم الكثير من الأدوات للمعلم والمتعلم، التي يمكن استخدامها في العملية التعليمية بشكل يضاهي الأدوات التعليمية التقليدية من حيث التكلفة والمرونة وسهولة الاستخدام وتوافرها في أي مكان أو زمان ومن أي جهاز. فالفصول الافتراضية وأدوات التواصل الاجتماعي والتراسل المباشر وإدارة المستندات الإلكترونية وأدوات التدوين والكتابة وأدوات بناء المقررات والمواقع التعليمية والتجارب الافتراضية وتقنيات الواقع الافتراضي كلها وسائل يمكن استخدامها لبناء بيئة تعليمية إلكترونية مرنة وقوية. الجدول التالي يعطي أمثلة لبعض تلك الأدوات:

التواصل الاجتماعي	Google Plus. Facebook. Twitter. Edmodo. Ring. Pinterest
أدوات التدوين والكتابة	Wordpress. Blogger. Tumblr. twitter
إدارة المستندات	Google Docs/Drive. Box. Dropbox. Alfresco. MEGA. Office 360. iCloud
البحث والمصادر التعليمية المفتوحة	Google Scholar. Google for Education. OER Commons. MIT OpenCourseWare. OpenCourseWare Consortium. MERLOT. Connexions. WikiEducator. Open of Course. EDUCAUSE. Commonwealth of Learning. iTunes U. Khan Academy. Dardasa. Tahere Academy
إنتاج الوحدات التعليمية	Youtube. Teachertube. Kaltura. Panopto. ShareStream. Mediasite
الفصول الافتراضية	WIZIQ. Blackboard collobrate. YouTube Live. Skype. Google Hangout. WebEx. eLecta Live. CollabWorx
بناء المواقع التعليمية	Google Sites. Wikispaces. Wordpress. Coursesites. Odijoo. edublog Weebly
التجارب الافتراضية	LEARNZ. Tramline. airpano. vLab. LMS Virtual.Lab. Fractal Lab. oppia
التقويم	MakeAQuiz. QuizMagic. QuizStar. ClassMarker. surveymonkey

2- مناهج دراسية مرنة: منح المتعلم حرية أكبر في تحصيله للمعرفة من مصادر متنوعة دون إجباره على كتاب محدد، ليكون بذلك أكثر ابداعاً وليس مجرد متلقناً ومكرراً.

كما ينبغي عدم إجبار المتعلم على مسار تعليمي محدد في أي مقرر إلكتروني، بل أن تترك له الحرية في ترتيب أولوياته وفقاً لحاجاته. فهو من يقرر المسار التعليمي الذي يسير فيه وطبيعة المعرفة التي يحصلها، والمصادر التي لا يحتاج الاطلاع عليها أو تجاهلها. المهم هو أن يحقق الهدف الذي تم وضعه للمقرر، سواء من قبل المعلم وأيضاً من قبله هو كمتعلم.

وينبغي الاهتمام بالمحاضرات الإلكترونية التي يتضمنها المنهج الإلكتروني بحيث تكون محاضرات فعالة تتبعت عن أسلوب المحاضرة التقليدية التي تعتمد السرد. يجب أن تعمل المحاضرة على إرشاد المتعلم وتقوية التعلم الذاتي

إن ديناميكية المعرفة تفرض علينا أسلوباً في التعليم مختلف تماماً عن ذلك الأسلوب الذي ساد في التعليم التقليدي، وحتى في التعليم الإلكتروني السائد اليوم، فالمعرفة تتدفق علينا من كل اتجاه وهي متغيرة باستمرار، فما هو صحيح اليوم قد يكون غير صحيح في الغد. لذلك فلا مكان اليوم للكتب الدراسية الساكنة والأنشطة التعليمية المكررة وأساليب التدريس القديمة والبيروقراطية في التخطيط والتنفيذ.

ينبغي أن يعتمد التعلم الإلكتروني الحقيقي على مناهج مرنة يتم التعديل والتطوير فيها عاماً بعد عام، اعتماداً على التغذية الراجعة التي ترد من المتعلمين أو المعلمين أو نتيجة التغيرات، التي يمكن أن تحدث في المعرفة أو في أدوات التعليم ذاتها. ينبغي أن تتضمن تلك المناهج

ينبغي أن يعتمد التعلم الإلكتروني الحقيقي على مناهج مرنة يتم التعديل والتطوير فيها عاماً بعد عام، اعتماداً على التغذية الراجعة التي ترد من المتعلمين أو المعلمين أو نتيجة التغيرات التي يمكن أن تحدث في المعرفة أو في أدوات التعليم ذاتها. ينبغي أن تتضمن تلك المناهج منح المتعلم حرية أكبر في تحصيله للمعرفة من مصادر متنوعة، دون إجباره على كتاب محدد، ليكون بذلك أكثر ابداعاً وليس مجرد متلقناً ومكرراً.



ومعلمين خبراً يساعدون المتعلمين في تلقيهم للمعرفة من مصادر متنوعة غير محصورة بـمدرس أو كتاب أو زمان أو مكان، وتعتمد على ممارسة حقيقية لما يتم تعلمه، بحيث تساهم في إخراج متعلمين صالحين لسوق العمل وصالحين لأوطانهم.

الأنشطة التعليمية. فكثير من المعلومات التي يحصل عليها جيل اليوم تتم عبر تلك القنوات الاجتماعية.

- البحث عن مصادر تعليمية مساعدة عبر الإنترنت سواء مقالات أو تطبيقات أو مقاطع فيديو أو تطبيقات وسائط متعددة، ومشاركة تلك المصادر مع أقرانه في المقرر الدراسي. قد تكون هذه المصادر ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بالمقرر الدراسي، لكنها تمثل حاجة لدى المتعلم دفعته للبحث عنها.

- استخدام ما لديه من مصادر حصل عليها سابقاً نتيجة خبرته أو ممارسته لعمل معين حيث يقوم عادة بمشاركتها مع الآخرين والتعديل فيها لتلائم المقرر الدراسي.

- التعديل في المصادر التعليمية المتوافرة بالفعل من قبل المقرر الدراسي من خلال وسمها أو التعليق عليها أو التصويت لها، مما يعني إضافة معرفة وخبرة جديدة لها. ويمكن اتخاذ حوار المتعلمين جزءاً من تلك المصادر التعليمية.

- إنتاج محتوى جديد، حيث قد يعتمد المتعلم على تأليف مقال أو صنع محتوى بصري أو تصوير مقطع فيديو يلخص معلومات معينة أو تجربة لها علاقة بالمقرر الدراسي، ثم يقوم بمشاركتها مع الآخرين.

ختاماً

إن التعلم الإلكتروني حتمي وقادم لا محالة لأجيالنا القادمة، فالتقنية وطبيعة المتعلمين ستفرض ذلك. وعلينا أن نكون مستعدين عبر التعامل مع التعلم الإلكتروني تعليمياً قد يكون بديلاً عن التعليم التقليدي وليس بوصفه مجرد لقاء تعليمي عبر الإنترنت أو محاضرة يتم بثها. يجب أن يتم العمل على بناء منظومة تعلم إلكتروني حقيقي يعتمد على بيئة تعليمية مفتوحة ومرنة

دراسي إلكتروني دون وجود المدرس كعنصر أساسي ومسيطر في العملية التعليمية وما يساعد المتعلم على اكتساب المعرفة، لأنه يقوم بذلك بنفسه وبجهوده الذاتية. يعتمد التعلم الذاتي على اهتمام المتعلم بما يتعلمه وعزيمته على الاستمرار في التعلم لتحقيق هدف محدد، ويتأتى ذلك من الدافعية التي قد يملكها المتعلم، أثناء الدراسة، والتي يجب أن تكون مرتفعة حتى يستطيع الاستمرار في التعلم حتى النهاية. وتنبع الدافعية من إيمان المتعلم بما يفعله وبالهدف الذي يسعى لتحقيقه وبجديته. ويرتبط ذلك بيقظة المتعلم لذاته ولما يتعلمه وإلى أين هو ذاهب، لأن ذلك ما سيساعده على التخطيط لتعلمه وتحديد المهام التي يحتاجها للوصول إلى الهدف المنشود.

ومن ثم فلا مكان للجدول الدراسي الجامد المعد مسبقاً وللقوالب الجاهزة للجميع في أي تعلم إلكتروني. بل لابد أن يحدد المتعلم الطريقة التي سيتعلم بها، والمصادر التي سيعتمد عليها والأدوات التي سيستخدمها، حيث يقوم المتعلم واعتماداً على خبرته السابقة ومهارته من البحث والتواصل مع الآخرين للحصول على مصادر أخرى تساعده في عملية التعلم. ويتضمن ذلك قيام المتعلم بمجموعة من الأنشطة الذاتية التي يجب أن يدعمها أي مقرر إلكتروني، حتى تساعد للمتعلم على بناء تلك المصادر المعرفية الخاصة به، وتشجعه على مشاركتها، فهذا سيضيف الكثير للمقرر الدراسي، ويدعم المعرفة التشاركية بين المتعلمين، ويثري المحتوى المعرفي للمقرر الإلكتروني. وأهم تلك الأنشطة:

- استخدام شبكات التواصل الاجتماعي للتواصل مع ذوي الخبرة أو مع أقرانه داخل أو خارج الصف الدراسي لاستشارتهم أو طلب مساعدتهم في أثناء تأدية

التعلم الذاتي هو أساس التعلم الإلكتروني الحقيقي، وأحد أهم دعائمه التي لا يقوم إلا بها، وهو ما يجعل المتعلم مركز العملية التعليمية وهدفها الرئيسي. فقدرة المتعلم على التعلم ذاتياً هو ما يمكنه من الاستمرار في أي مقرر دراسي إلكتروني دون وجود المدرس كعنصر أساسي ومسيطر في العملية التعليمية، وما يساعد المتعلم على اكتساب المعرفة، لأنه يقوم بذلك بنفسه وبجهوده الذاتية.

مشكلات، والتقييم المستمر لتقدم المتعلم في مسيرته التعليمية، حتى يكون المتعلم على بينة مما يفعله ويصح مسار تعلمه إن احتاج الأمر ذلك.

وليجد تعلم حقيقي فمن الأفضل أن يدير العملية التعليمية الإلكترونية أكثر من معلم ضمن فريق عمل واحد لكل مقرر إلكتروني. فوجود فريق عمل متكامل لتقديم المقرر الإلكتروني سيؤدي إلى الاستفادة من خبرات مختلفة، كما سيساعد على وجود عدد أكبر من المتعلمين يستفيدون من المقرر الإلكتروني الواحد على عكس الدراسة التقليدية المحصورة في الصف الدراسي. ويجب أن يتناسب عدد أفراد فريق الدعم مع عدد المتعلمين، فكلما زاد عدد المتعلمين كلما احتجنا لمعلمين مساعدين للمعلم الرئيسي للمقرر، ف شعور الطالب بوجود المعلم أمر ضروري لنجاح العملية التعليمية.

ويدعم المعلم المؤسسة التعليمية التي ينتمي لها، فكلما توافرت قاعدة معرفة لدى المؤسسة التعليمية كلما كان المعلم في التعلم الإلكتروني قادر على القيام بالمهام المنوطة به بشكل أفضل. تتكون قاعدة المعرفة تلك من المصادر التعليمية التي يمكن اتاحتها للمعلمين ليستخدموها وأيضاً من الخبرات التعليمية المختزلة لمعلمين آخرين، التي نتجت عن الممارسة على مدى حقبة زمنية، التي يمكن أن يستفيد منها المعلم، ويضيف لها في الوقت ذاته. فهذه الخبرات ستمثل معرفة ذات قيمة عظيمة لفريق المعلمين في حال توافرت لهم عند إعدادهم وتنفيذهم للمقرر الإلكتروني.

5- التعلم الذاتي:

التعلم الذاتي هو أساس التعلم الإلكتروني الحقيقي وأحد أهم دعائمه التي لا يقوم إلا بها وهو ما يجعل المتعلم مركز العملية التعليمية وهدفها الرئيسي. فقدرة المتعلم على التعلم ذاتياً هو ما يمكنه من الاستمرار في أي مقرر

واستغلالهما بشكل كامل لبناء أنشطة تعليمية متكاملة للمتعلمين. فهناك الأدوات التي تحاكي الصف الدراسي التقليدي فتوفر لقاءً متزامناً بين المعلم والمتعلم، وهناك أدوات أخرى غير تزامنية تدعم التفكير والتعلم الذاتي والمشاركة الجماعية دون ضرورة اللقاء بشكل مباشر، وكلاهما مهم في توفير بيئة تعليمية قد تفوق البيئة التقليدية.

ويجب ألا تنحصر الممارسة بحدود المقرر الدراسي الجامد ووقته، بل يجب أن تفتح آفاقاً أوسع للمتعلم، فينجزها وفقاً لقدرته وإمكانياته وضمن الوقت الكافي الذي يحتاجه. يجب أن تكون المهام المطلوب ممارستها أكثر تعقيداً وعمقاً من مجرد نشاط تعليمي بسيط، بحيث تمثل تحدياً للمتعلمين، وتدعوهم للتفكير العميق والتأمل والتحليل والإبداع، وتجعلهم ينخرطون في المقرر الدراسي

نحن لا نحتاج إلى المدرس في التعلم الإلكتروني الحقيقي، بل إلى الخبير الذي يساعد المتعلمين على التعلم. فلم يعد المعلم هو المالك الوحيد للمعلومة لأن المعرفة اليوم مشتركة ومتبادلة بين المعلم والمتعلمين، ويتم اكتسابها عبر الحوار والتغذية الراجعة والممارسة، بل والمشاركة في محتوى المقرر من قبل المتعلمين.

بتفاصيله عبر ممارسة حقيقية لما يتعلمه دون حدود أو قيود لما يمكنهم تحقيقه، فتعمل على جعل المتعلمين يكونون شيئاً جديداً ومبتكراً على الأقل بالنسبة لهم.

4- المعلم الخبير:

نحن لا نحتاج إلى المدرس في التعلم الإلكتروني الحقيقي، بل إلى الخبير الذي يساعد المتعلمين على التعلم. فلم يعد المعلم هو المالك الوحيد للمعلومة بالنسبة للطالب كما كان الحال سابقاً، لأن المعرفة اليوم مشتركة ومتبادلة بين المعلم والمتعلمين، يتم اكتسابها عبر الحوار والتغذية الراجعة والممارسة، بل والمشاركة في محتوى المقرر من قبل المتعلمين.

يجب أن يهتم المعلم هنا برسم خارطة الطريق للمتعلمين ليتعلموا مع المتابعة المستمرة وتقديم النصح والمشورة والدعم عند الحاجة، معتمداً على المساعدة الجانبية لهم Guide on the side دون التدخل المباشر، وذلك عبر توفير الخبرة التي يحتاجها المتعلمون وترتيب الأولويات ووضع المفاهيم التعليمية وإدارة الأنشطة الدراسية والمساعدة في النقاشات واقتراح مصادر للتعلم وحل أي

لا يمكن للمعرفة أن تصل للمتعلم دون أن يمارس المتعلم ما تعلمه، لأنه في النهاية هو يتعلم ليعمل. هذه القاعدة لا تستثني التعلم الإلكتروني كما قد يعتقد البعض، بل على العكس تماماً، فالتعلم الإلكتروني هو الذي يوفر الوقت لتنفيذ الممارسة أكثر من التعليم الصفي. إن إستراتيجيات التعليم النشط والتعليم بالعمل من الصعب أن يتم تطبيقها بفعالية ضمن الوقت المحدود للحصة الدراسية أو المدة المحدودة للفصل الدراسي، ولكن يمكن أن يتم ذلك ضمن الوقت الكبير الذي يمكن أن تمنحه المقررات الإلكترونية.

لديه، كما ينبغي أن تتميز بالقصر، وتحتوي عناصر جذب للمادة العلمية، التي يتلقاها المتعلم كالمؤثرات البصرية السمعية واستخدام القصة والحوار، وأن تكون أكثر تفاعلاً مع المتعلم، فيشارك أكثر في محتواها من خلال طرح الأسئلة أو التشارك مع الآخرين في النقاش حولها.

3- ممارسة حقيقية:

لا يمكن للمعرفة أن تصل للمتعلم دون أن يمارس المتعلم ما تعلمه، لأنه في النهاية هو يتعلم ليعمل. هذه القاعدة لا تستثني التعلم الإلكتروني، كما قد يعتقد البعض بل على العكس تماماً، فالتعلم الإلكتروني هو الذي يوفر الوقت لتنفيذ الممارسة أكثر من التعليم الصفي. إن إستراتيجيات التعليم النشط والتعليم بالعمل من الصعب أن يتم تطبيقها بفعالية ضمن الوقت المحدود للحصة الدراسية أو المدة المحدودة للفصل الدراسي، ولكن يمكن أن يتم ذلك ضمن الوقت الكبير الذي يمكن أن تمنحه المقررات الإلكترونية.

وهذا ما ينبغي أن تبنى عليه الأنشطة التعليمية، التي يخوضها المتعلم في أثناء تعلمه في أي مقرر إلكتروني. فيجب أن تكون تلك الأنشطة أقرب للحياة العملية والمهنية بعيدة عن القيود الأكاديمية الجامدة، كما ينبغي أن تتضمن تعلم مهارات التخطيط والتفكير والإدارة والتحليل والنمذجة والتشخيص واتخاذ القرار والتفاوض والعمل الحقيقي الجماعي، لأن هذا ما سيحتاجه المتعلم بعد إنهائه العملية التعليمية.

وينبغي هنا الموازنة في العملية التعليمية بين استخدام الأدوات المتزامنة وغير المتزامنة Synchronous and asynchronous tools التي توفرها البيئة السحابية



الأسس النفسية لسلوك النصيحة بين الإبداع والنقد



د. خالد بن ناهس الرقاص
أستاذ علم النفس المشارك - وكيل كلية المجتمع
للشؤون الأكاديمية

يُعد السلوك الاجتماعي الإيجابي موجهاً لشتى مجالات حياتنا اليومية. ومن أبرز تلك السلوكيات اليومية سلوك النصيحة بوصفه قد يسهل تعايش الآخرين بعضهم بعضاً؛ لذا تحظى النصيحة باهتمام العديد من الباحثين والمفكرين الإسلاميين في سبيل استثمارها في الوجهة المرغوبة. وتتمثل النصيحة في أبسط معانيها في تعريف إجرائي قوامه محبة الخير للمنصوح ودرء الشر عنه في أمور دينه ودينه وأخراه، فهي حق من حقوق المسلمين، وواجب متبادل يجب شيوعه بينهم. كما يمكننا النظر إلى النصيحة بوصفها سلوكاً موجهاً نحو فرد أو جماعة بهدف تغيير اتجاهاتهم أو تعديل سلوكهم لدفع الضرر القائم أو المتوقع حدوثه. وبذا تطوي النصيحة على المبادرة لتقديم الرأي والمشورة الصادقة لمن يحتاجها بوصفها مبدأً إسلامياً أصيلاً (سعيد الرقيب، 2008). وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام لب الدين النصيحة فقال: "الدين النصيحة" قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم¹.

ونجد أن الصحابة رضي الله عنهم قد فهموا المراد من حديث النبي، فطبقوه واقعاً وعملياً، فعن جرير رضي الله عنه قال: "بايعت رسول الله عليه الصلاة والسلام على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم"، فكان - جرير - إذا اشترى شيئاً أو باعه يقول لصاحبه: اعلم أن ما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك فاختر².

قال ابن حجر في بيان النصيحة للمسلمين: "والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم وتعليمهم ما ينفعهم وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه"³.

بمعنى آخر أن النصيحة تحمل دلالة أوسع تشمل الاستشارة والإرشاد والتوجيه والعلاج انطلاقاً من دلالة الحديث النبوي الشريف.

وفيما يتصل بالأسس النفسية والفكرية القائمة على تقديم النصيحة وتقبلها بوصفها بعداً نقدياً إيجابياً:

سواء كانت النصيحة موجهة من الآخرين، أو للآخرين، فهي وسيلة مهمة لتقييم وتطوير القدرات ورأب الثغرات على كل من المستوى الشخصي والمجتمعي، ويتطلب توجيهها أو تقبلها أن يتجلى الفرد بعدد من الآليات التي قد تكفل له الاستخدام الأمثل حتى تصبح أكثر فعالية؛ لذا يجب تبني مجموعة من الأسس تتمثل فيما يلي:

1. أسس تقديم النصيحة:

- الهدف من توجه النقد أو النصح للآخر يتمحور في السعي نحو تحقيق هدف واحد من الأهداف الثلاثة التالية:
 - أ. أن يفعل شيئاً ما بطريقة أفضل.
 - ب. أن يتوقف عن فعل شيء غير مرغوب.
 - ج. أن يفعل شيئاً ما لم يتم فعله.
- يجب الابتعاد عن التعبيرات التقييمية فهي تثير مشاعر الآخر وردود فعله الدفاعية، وبدلاً من أن تقول لصديقك (منظر لك بهذا الشماغ سيء) قل (سيكون منظرك أفضل في غيرها). ويعزى ذلك إلى أن وضع الشخص موضع اللوم شيء غير محبب، بل يجعله أكثر ميلاً لاتخاذ سلوك دفاعي - عدواني. وهنا ينبغي التمييز بين كل من النقد والعدوان والشك المرضي، فعلى سبيل المثال يتمثل الفارق الرئيس بين النقد والعدوان في أن الأول موجهة نحو نقد الفعل ونقد الأفكار التي يطرحها الآخر لتنفيذها وتقييمها، أما في العدوان فإن الهجوم ينصب على الفاعل لا على الفعل. أما فيما يتصل بالفارق الجوهرى بين النقد والشك المرضي (غير المبرر)، فيتمثل بأن الفرد في حالة النقد يعتمد على معايير منطقية في إصداره الحكم، في حين الشك المرضي قائم على توقعات غير عقلانية ليس لها أساس منطقي، فليس هنالك سقف للشك مما يجعل الفرد يشكك في المسلمات كالثوابت الدينية التي يقوم على أساسها المجتمع، وهذا شيء لا نرغبه بالطبع.
- لا تقدم تعبيرات عداوية تحط من قيمة الآخر، فعلى سبيل المثال لا تقل له: (أنت لا تحسن صنع شيء) ولكن

قل له: (يجب عليك تنفيذ ما أطلبه منك حرفياً في المرة القادمة) أو (إن هذه المناقشة عديمة النفع) بل قل له: (أشعر أنني لم أستفد من هذه المناقشة)، وإذا شرحت لفرد شيئاً ما، ولم يفهمك لا تقل له: (إن كل الناس يفهمونني فلماذا لا تفهمني أنت؟) فهذا مثير لاستيائه، ولكن قل له: (ماذا تجده غامضاً في كلامي لأزيد وضوحاً).

- احرص على العبارات الموجهة مباشرة نحو الهدف، وليست السلبية، فلا تقل لمن بغضبك مثلاً: (إن سلوكك سيء ومرفوض) ولكن قل له: (أعتقد أن سلوكك هذا يحول دون توطيد علاقتنا).
- تجنب عبارات التهديد والوصاية، فلا تقل له: (إذا لم تفعل كذا لن أفعل كذا). تجنب العبارات التي تظهر مظهر الوصاية على الآخر، فلا تقل له: (يجب أن تفعل أو يجب ألا تفعل).
- النصيحة في السر وليست على رؤوس الأشهاد، وإلا أصبحت فضيحة لا نصيحة، فقد أورد عن الفضيل قوله: "المؤمن يستر وينصح، والفاجر يتكلم ويعير (أي يفضح)" لذا فالنصيحة يقترب تقديمها في كثير من الأحيان سرّاً في حين الفضيحة تقترب بالإعلان (الحافظ زين الدين الحنبلي، 1988).
- ينبغي فهم السياق الذي يحدث فيه السلوك قبل إصدار حكم من الأحكام (Naumann, 2011)
- حدد التغيير المطلوب في سلوك الآخر بوضوح حتى يعرف ماذا عساه أن يفعل، لكي يكون أفضل حالاً، كأن تقول له: فضلاً توقف عن ممارسة السلوك (أ) (مخاطبتي بطريقة سوقية)، وممارسة السلوك (ب) (خاطبني بطريقة مهذبة).
- أشعر الطرف الآخر بأنك تريد مساعدته، وأظهر له أن سلوكك يحكمه مبدأ حسن النية، فالآخر قد يغفر لك سوء الرأي، لكن من النادر أن يغفر لك سوء النية (نقلاً من محمد أبو رزيزة، 2009).

2. فنيات تقبل النصيحة:

- تقبل نصيحة الآخر لا يعني أن تقبلها بالضرورة، والمقصود هنا أن يتسع صدرك للإنصات لنقد الآخرين، غير أنك غير مطالب بالاستجابة لكل ما يوجه إليك من نقد، وإلا تحول الموقف إلى الوصاية بمعنى وجود طرف منقاد وآخر يملئ إرادته. بل تقبل من حيث المبدأ النقد الذي يطرحه الآخر. وأشعره أنك تفهم ما يقول، وتقبل دوافعه لذلك، ولكن لا توافق على الفعل السلوكي الذي يقدمه بصورة حرفية، وهذا لا يمنع من تنفيذ ما ترى أنه مناسب لك، فكما تقول الحكمة "أن أعين الآخرين مرآة عيوبنا" (جبرائيل سكاف، 1985، 40). وقد قيل في الأثر: "تقبل النصيحة بأي وجه، وأدّها على أحسن وجه". فقد ورد أن رجلاً قال للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اتق الله يا ابن الخطاب. فضاق بعض

الحاضرين من هذا، فقال عمر: دعوه، والله لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

- يجب أن تشعر الآخر أن أحكامك قابلة للمراجعة حتى يقبل على الحوار معك. وتذكر أن شعور الآخر أنك متضايق منه سيحوله يمتنع عن ذلك إن كان حريصاً على عدم فقدانك، ومن ثم ستخسر النصيحة الأمانة والعين الثانية التي ترى عيوبك حتى تتجنبها. ولا يفوتنا هنا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه "رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبه".
- تذكر أن وقت، وأسلوب، والشخص الموجهة إليه النصيحة، يحددان مدى فعاليتها، أن التحديد التدقيق للتوقيت الذي يوجه فيه النصيحة يرفع من تأثيرها، والعكس صحيح، فلا تقصد أو تصح شخصاً أمام الآخرين، أو وهو يشعر بالضيق، أو عندما يكون محتاجاً لمساعدتك. ويعين علينا هنا الالتزام بحكمة الإمام الشافعي الشهيرة "من وعظ أخاه على المأثم فضعه وشانه، ومن وعظه في السر فقد نصحه وزانه" (عبد الغني الدقر، 1988)، فالنصيحة كالدواء الجرعة الزائدة تقتل، بمعنى أن تمارس التلطيف في توجيه النصيحة بوصفه ذا فائدة أكبر قياساً بالنصح المكثف.
- شجع الآخرين على توجيه النقد الإيجابي وتحمل النقد منهم، فالنقد قد ينطوي على جانب من الصواب قد يكون غائباً عن الفرد مما يجعله مدخلاً لتنمية قدراته وتوجيهها في الاتجاه الصحيح، مع حرص الفرد على تقديم عائد للنقاد حول ما يسمع يتضمن ملاحظات حول الطريقة التي عبر عما يريد قوله، مما يفيد الآخر في إدخال تعديلات مستقبلية على طريقته في توجيه النقد للآخرين" أفكارنا تصبح أكثر نضجاً عندما تتجاوز عتبة شفاهنا" (جبرائيل سكاف، 1986، 226)، وليكن شعارك قوامه "أن من ينقدك كأنه ينقدك من الفرق في الخرافات".
- تعلم مهارات الإنصات من منطلق أنها تعد باباً ملكياً للحصول على الخبرة من الآخرين، وتفهمهم، والتعاطف معه، ومن ثم إسداء النصح والمشورة لهم. وتتمثل مهارات الإنصات في قدرة الشخص على تلخيص ما تم فهمه من حديث للطرف الآخر، بما يحويه من معارف مفيدة، تعد ذات أهمية خاصة في فهم الحوار.
- قدم عائداً للنقاد (الناصح) حول ما قال يتضمن ملاحظاته نحو الطريقة التي عبر بها عما يريد قوله، وتأثيره الإيجابي، والسلبى عليك حتى يدخل بعض

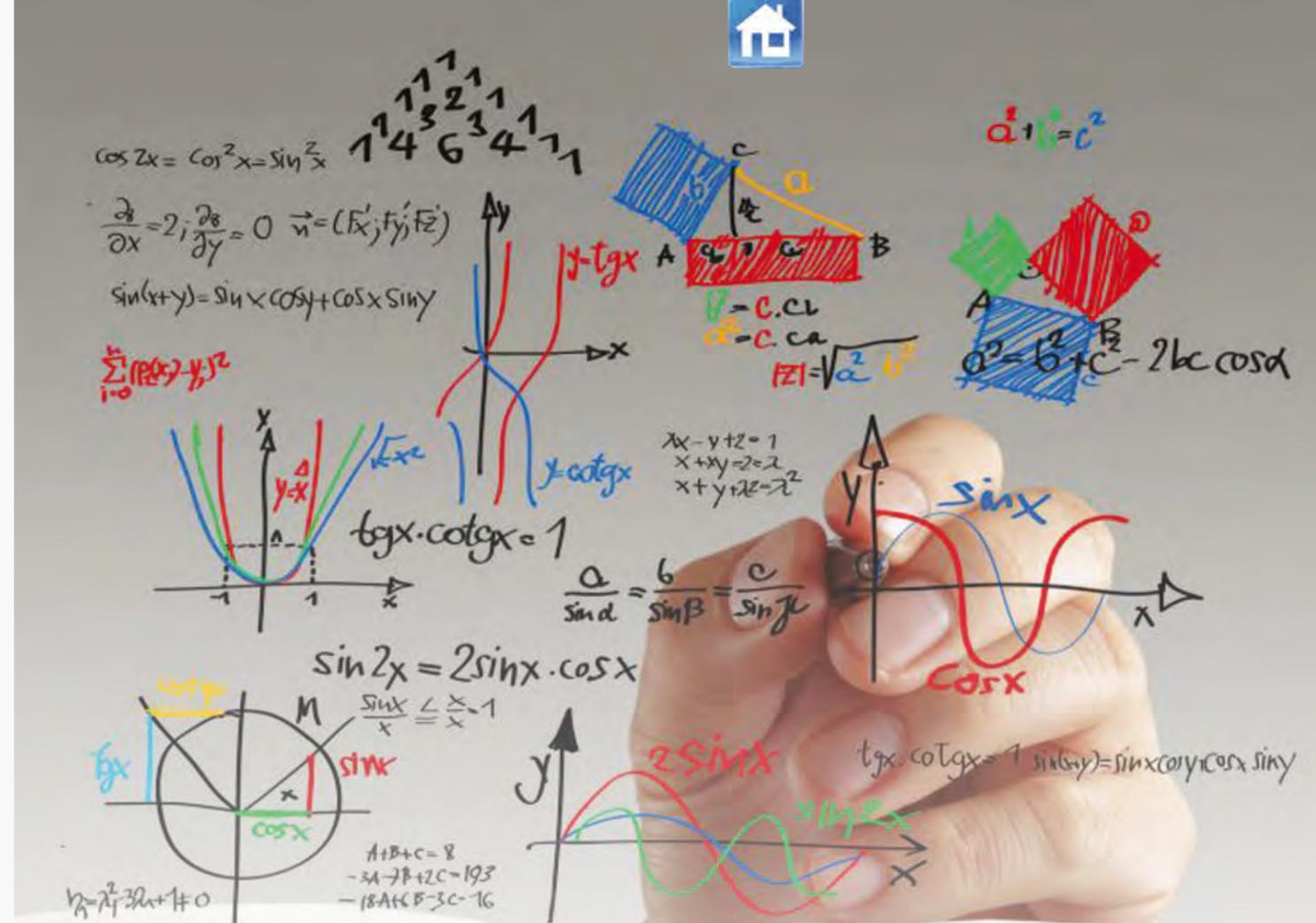
يمكننا النظر إلى النصيحة باعتبارها سلوك موجه نحو فرد أو جماعة بهدف تغيير اتجاهاتهم أو تعديل سلوكهم لدفع الضرر القائم أو المتوقع حدوثه

خاتمة:

يجب علينا التحلي بضوابط وأداب النصيحة كأن يقصد الناصح الحق، وأن يتبع عن الخلط أو المغالطة، والعناية بحدود الألفاظ والتحلي بالإنصاف والانضمام للحق، والابتعاد عن التقليد أو التعصب مصدقاً لأمر الله تعالى سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام بنصح فرعون قائلاً جل جلاله: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِيَنبَأَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طه: 44، فضلاً الالتزام بالممارسات الحكيمة للنصيحة والنقد حتى لا يتحول النقد أو النصيحة إلى ضرب من ضروب الشك والتشهير والوصاية على الآخر، فالنقد والنصيحة عندما يفقدان التوجيه الأخلاقي الحكيم يعانان غاية في حد ذاتهما ليس إجراء أو عملية توجيهية نرغب في جني ثمارها. كما يجب علينا في هذا الإطار اعتبار منظور الآخر، وسلوكه، ودوافعه سواء كان فرداً أم جماعة أم ثقافة، بوصفها مهارة ضرورية لإقامة علاقات متزنة، وواقعية معه، وأكثر إثماراً أيضاً، فضلاً عن أنها مقدمة لازمة للتعايش مع الآخر فقد ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله: يا أيها الناس إنكم تفرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّوهُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: 105 واني سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه". مسند أحمد: 36/1

يبقى أن نشير إلى أن المكاسب التي يحققها الفرد من ممارسته للنقد لا بد أن تتصف بقدر من الحكمة، حيث أن النقد المركز قد يؤدي إلى توتير علاقة الفرد أصدقائه حين يوجه لهم النقد، وهو ما لا نرغبه؛ لذا يجب أن يكون الفرد على وعي بذلك فالنقد كدواء يؤخذ بجرعات محددة، وألا يصبح سيفاً مسلطاً على رقابنا بدلاً من أن يكون في أيدينا لاستخدامه عند الضرورة، ينطبق على من يمارس النقد المكثف دائماً قول الجاحظ: "لو تأملت أحوال الناس لوجدت أكثرهم عيوباً أشدهم تعيباً"، فكما يقول ديكرت "لا يكفى أن يكون لديك عقل (ناقد) جيد، بل الأهم أن تستخدمه بشكل جيد".

الهوامش
(1) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (55).
(2) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (56)، وابن حبان في صحيحه رقم (4546)، واللفظ له.
(3) فتح الباري 1/137.



وظيفتك وبعثتك تكامل تنموي داخلي وخارجي

طورت وزارة التعليم رؤية منهجية تكاملية للمرحلة الثالثة لبرنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي (# وظيفتك-بعثتك) تقوم على دراسة الاحتياج الفعلي من الموارد البشرية في سوق العمل السعودي. وتمثل هذه المنهجية أنموذج للتخطيط الاستراتيجي للمسارات الوظيفية، والتخطيط الاستراتيجي للمسار الوظيفي هو الربط بين الاحتياجات الوظيفية في التخصصات التي تحتاجها منظمات قطاعات الدولة والطموحات المجتمعية والتنظيمية والفردية. ويتطلب تخطيط المسارات الوظيفية في منظمات قطاعات الدولة مراعاة: توجهات الدولة الإستراتيجية، والتطور المُستدام، وتصميم ورسم المسارات الوظيفية الملاءمة لاحتياجات المنظمة الفعلية، وتعزيز التنافسية، والتوازن بين الفرص الوظيفية الحالية والمستقبلية عبر اكتشاف وتقييم الفرص

الوظيفية، على أن يسبق ذلك أنظمة وتشريعات مرنة تسمح بالتخطيط الفعّال للمسارات الوظيفية. ولذا يُعدّ مشروع (# وظيفتك-بعثتك) تنظيمًا عصريًا لحوكمة تخطيط المسارات الوظيفية، وسيلبي شاغر (13000) وظيفة تخصصية في قطاعات الدولة. ومن مؤشرات الرضا والإنجاز عن هذا المشروع الإقبال الكبير عليه، وتمديد مدة التسجيل، حيث بلغ عدد المسجلين (11608) وفق آخر إحصائية. وكما تم التنسيق من قبل وزارة التعليم مع قطاعات الدولة المختلفة لتحديد حاجاتها من تخصصات الابتعاث، وعقد شراكات لتوفير الاحتياجات من طلبة المرحلة الثالثة لبرنامج الابتعاث لتوظيفهم بعد تخرجهم وعودته. فيمكن زيادة نسبة كفاءة وفاعلية مخرجات المشروع، بأن يتسع نطاق التخطيط له استهداف طلبة التعليم العام بمراحله

هند مبارك الدوسري

الرياض

المختلفة - وألا يقتصر على خريجهم- وبما يعكس منطق النظام، وترسيخ فلسفة تعزيز قيم العمل مبكرًا ضمن هيكل متكاملة من الخطط، عبر تبني منحى تعليمي ينمي الميول والاتجاهات المهنية الطلابية المبكرة لهذه الاحتياجات الوظيفية، ويعزز القوة الاقتصادية بتمية الكفاءات البشرية عبر مقاعد الدراسة مبكرًا. ويُمكن مخططي السياسات التعليمية وصنّاع القرار من مأسسة التخطيط الفعّال والمبكر للمسارات الوظيفية في مراحل التعليم العام وتنظيم تشريعاته. ويتطلب ذلك بداية تبني منحى تعليمي تقوم فلسفته على دعم ركائز الاقتصاد القائم على المعرفة الخمس، وهي: النظام والأداء الاقتصادي والاجتماعي القائم على المعرفة وإداراتها، والعلوم والتقنية والابتكار، والتعليم والعمالة المعرفية، وتقنية العلوم والاتصالات. وتعد العلوم والتقنية والابتكار إحدى ركائز الاقتصاد المعرفي لأنها أساس صناعة المستقبل التنموي، وحيث إن إحدى الفئات الرئيسية الست لمؤشرات الخطة الوطنية للعلوم والتقنية والابتكار هي: الموارد البشرية. فوجود عجز في تلبية احتياجات القوى العاملة الوطنية والمؤهلة في تخصصات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات، فإن من تبعات هذا العجز هو انخفاض المؤشرات الاقتصادية في العلوم والتقنية والابتكار. ومن أسباب هذا العجز طرق التدريس التقليدية، وقلة كفايات المعلمين في دعم إكساب الطلاب مهارات القرن الواحد والعشرين، وإنتاج المفكرين القادرين على حل المشكلات خاصة عبر تخصصات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات. ولأجل هذه المبررات المهنية والاقتصادية ظهرت توجهات تعليمية حديثة، ومنها منحى تعليم (STEM) التكامل Science, Technology, Engineering, Mathematics. وتتضح المبررات المهنية في بُعد التخطيط الإستراتيجي بتوفير فرص وظيفية واسعة عبر تعليم STEM من خلال تأهيل الخريجين بالمهارات المطلوبة لسوق العمل في تخصصات مجالاته العلمية. وبالنسبة للجانب الاقتصادي فإذا أقررنا بأن الابتكارات لا تخرج عن كونها ضمن مجالات STEM أو تتداخل فيما بينها أو تتكامل. من ثم سيكون التركيز على تعليم STEM رافد قوي للاكتشافات العلمية والابتكارات التكنولوجية، وتعزيز المنافسة العالمية في عصر ترقى فيه المجتمعات وتتقدم بقدر محصولها من الإنتاج العلمي والتقني. وتعليم STEM هو توجّه تطبيقي لدمج مجالات العلوم والتقنية والهندسة والرياضيات. وتدرسيها عبر نموذج مترابط في نسق تكاملي واحد، يوفر سياقات تدريسية واقعية لمحاكاة العالم الطبيعي، عوضاً عن تدرسيها منفصلة. والسبب وراء اختيار هذه المجالات المعرفية الأربع كون

العلوم والرياضيات تشكل العلوم الأساسية الحياتية، بينما التقنية والهندسة هي الجوانب التطبيقية لتلك المعارف والعلوم، بما يحقق معنى للتعلّم. وظهر تعليم STEM للمرة الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية بالتسعينيات من قبل المنظمة القومية الأمريكية للعلوم (NSF)، ثم تزايد الاهتمام به لارتباطه بالجوانب السياسية وتعزيز القوة الاقتصادية التنموية من حيث توفير القوة العاملة في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات. كما أن مناهج STEM ليست موجهة فقط لتعلّم العلوم، وإنما هي موجهة أيضًا لتنمية ميول الطلاب تجاه هذه التخصصات مبكرًا، ولمعالجة مشكلة شاعت في السنوات الأخيرة على نطاق واسع تُعرف بـ "STEM Pipeline"، المتمثلة في نقص عدد الطلاب الذين يتابعون دراستهم في مجالات STEM العلمية، بسبب تسربهم مبكرًا مما يسمى "بأنبوب STEM" حين يفقد كثير من الطلاب الاهتمام بالعلوم والرياضيات في سن مبكرة. وأظهرت إحصائيات دراسة تتبعية في أمريكا إلى أنه بعام 2001 بلغ عدد طلاب الصف الثالث متوسط أكثر من أربع ملايين في أمريكا، تخرج منهم من الثانوية 2.8 مليون، والتحق بالجامعة 1.9 مليون، وبلغ عدد الخريجين الجامعيين 1.3 مليون، وعدد المتخصصين منهم في مجالات STEM 167000. وتستثمر الولايات المتحدة الأمريكية ما يقارب ثلاث مليارات دولار في برامج فدرالية مرتبطة بتعليم STEM، وتصميم برامج STEM التعليمية لجميع المراحل التعليمية (من رياض الأطفال وحتى التعليم الثانوي). وأسس تصميم هذه البرامج تعتمد على التربية الهندسية والتكنولوجية والبيئية، واستهداف قضايا ومشكلات العالم الحقيقي في سياقات مجتمعية، والتأكيد على دور الهندسة (من منظور كيفية عمل الأشياء)، والاسترشاد بعملية التصميم الهندسي (عملية التصميم كطريقة لحل المشكلات)، وتطوير أفكار متعددة الحلول لها، وتصميم نماذج أولية للحلول واختبارها، للوصول إلى تصميم هندسي، ومنتج مادي تقني. وتتيح بيئة STEM احتمالات ثرية لحلول مبتكرة. وهذا ما يميز تعليم STEM من تركيزه على دمج الهندسة في جميع المراحل التعليمية من رياض الأطفال وحتى الثانوية. فإن تم تبني مثل هذه المناحي التكاملية في مراحل التعليم العام سيساعد ذلك في اكتساب خريجي طلاب التعليم المهارات اللازمة لبدء الحياة المهنية، وتشكيل اتجاهات الطالب المهنية، ومهارات سوق العمل ما قبل مرحلة التعليم الجامعي، وترسيخ ثقافة الإنتاجية، وتحقيق التكامل التنموي الداخلي والخارجي مع رؤية وتوجه وزارة التعليم لمشروع (# وظيفتك-بعثتك).

وتعد العلوم والتقنية والابتكار إحدى ركائز الاقتصاد المعرفي لأنها أساس صناعة المستقبل التنموي، وحيث إن إحدى الفئات الرئيسية الست لمؤشرات الخطة الوطنية للعلوم والتقنية والابتكار هي: الموارد البشرية.

وتعليم STEM هو توجّه تطبيقي لدمج مجالات العلوم والتقنية والهندسة والرياضيات. وتدرسيها عبر نموذج مترابط في نسق تكاملي واحد، يوفر سياقات تدريسية واقعية لمحاكاة العالم الطبيعي، عوضاً عن تدرسيها منفصلة.

وظهر تعليم STEM للمرة الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية بالتسعينيات من قبل المنظمة القومية الأمريكية للعلوم (NSF)، ثم تزايد الاهتمام به لارتباطه بالجوانب السياسية وتعزيز القوة الاقتصادية التنموية من حيث توفير القوة العاملة في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات.

الاستشراق الجديد

و الإسلام



عصر ما بعد الحداثة يتمثل في النيو استشراق، ويعني الاستشراق الجديد.

صدر عن وحدة الدراسات المستقبلية بمكتبة الإسكندرية، العدد الثالث من سلسلة "مراسد"، بعنوان "تيار الاستشراق الجديد والإسلام من الشرق الشيوعي إلى الشرق الإسلامي"، للدكتور أوليفيه موس؛ أستاذ التاريخ المعاصر في جامعة فرايبورغ في سويسرا ومدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في باريس. قام بترجمة الدراسة عومرية سلطاني؛ مترجمة وباحثة في العلوم السياسية.

تعالج الدراسة موضوع انبثاق خطاب ثقافي جديد في مرحلة ما بعد الحرب الباردة يتعلق بانتقاد الحالة الإسلامية وبشكل خاص الإسلام السياسي. وتتناول الدراسة عدة محاور رئيسة؛ هي: تحليل للاستشراق الجديد والرواية النيواستشراقية، وافتراضات الرواية النيواستشراقية، وسياق ظهور الاستشراق الجديد، والتحول من الاستشراق الكلاسيكي إلى الاستشراق الجديد، بالإضافة إلى دراسة كتابات "بات يجاور"؛ المؤرخة في الاستشراق الجديد، وتحليل موقف المرأة المحجبة في الرواية النيواستشراقية، وبحث تداعيات الرواية النيواستشراقية على الحقول الإعلامية والفكرية والسياسية.

يبين الباحث السويسري أن مصطلح "الاستشراق

الاستشراق Orientalism تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، التي تشمل حضارته وأديانه وأدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

بدأ الاستشراق بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312 بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، ولم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام 1779، وفي فرنسا عام 1799، كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838. وعقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس سنة 1873، ثم تابعت المؤتمرات بعد ذلك حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمراً دولياً، فضلاً عن الندوات واللقاءات الإقليمية الكثيرة الخاصة بكل دولة من الدول كمؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في مدينة درسدن بألمانيا عام 1849. ومنذ انهيار القطبية العالمية في أعقاب الحرب الباردة 1990، وظهر اصطلاح جديد يتوافق مع



د. علي عفيفي علي غازي

أكاديمي وصحفي

الجديد" يعكس مذهباً ثقافياً جديداً ذا طبيعة أخلاقية، وطريقة لأشكلة المجال الإسلامي والعلاقات بين الهوية الإسلامية والهوية الغربية، يقوم على تجديد افتراضات الاستشراق الكلاسيكي، ومتطلبات الدفاع عن قيم الديمقراطية والحداثة. ويمثل "الاستشراق الجديد" تجديداً وإعادة تأهيل للأطر والافتراضات الكلاسيكية في سياق يتميز بأدلجة متنامية للعلاقات بين الشرق الأوسط والدول الغربية، تعمل على تشجيع العودة إلى قراءة ماهوية للمجال الإسلامي. وتفضل الرواية النيواستشراقية تعبئة كُتاب ينتمون إلى أوساط متنوعة، ويمكن أن تكون متعارضة على الصعيد الأيديولوجي أو السياسي.

تعرض الدراسة أربعة افتراضات يهيكّل حولها الاستشراق الجديد؛ وهي: المجال الإسلامي كل متجانس، الإسلام يشكل استثناء، جمود العالم الإسلامي، العنف الإسلامي هو نتاج ثقافي. ويؤكد المؤلف على وجود تحديد مزدوج لعالم عربي إسلامي يُنظر إليه ككيان متجانس، ومحددات ثقافية يفترض أنها تقدم معلومات عن الفعل الجماعي والفردى للمسلمين. وينتج عن هذا الموقف سلسلة من الافتراضات المنهجية التي تقدم اقتراباً مُبسّطاً يختصر ظاهرة تتميز بالتنوع سواء في فضاءات المكان أو الزمان. فالاستخدام المتكرر للمبررات الدينية، واستخدام مفهوم الأمة بحيث يتم تجاهل التقسيمات الجغرافية والثقافية، والأسباب نفسها التي تؤدي إلى نفس النتائج، وفكرة الممارسة السياسية الإسلامية المشروطة باللاهوت، هي من ضمن أمثلة عديدة على هذه الافتراضات.

تستند السمة الثانية على استثنائية الإسلام (كحضارة)، بمعنى أن الإسلام بوصفه نظاماً للقيم يخبرنا عن كل نواحي الحياة الاجتماعية والفردية للمسلمين، وهي من المواضيع الأقل أهمية مروراً بالمظاهر العامة، ووصولاً إلى الممارسة السياسية والاقتصادية. في هذا المنظور يفسر تيار الاستشراق الجديد نقص أو غياب الإجراءات والثقافة الديمقراطية في الدول العربية والإسلامية بوصفها نتاجاً لعوامل مرتبطة بـ "الهوية" في هذه المجتمعات: الثقافة، والدين، والتاريخ، وأن أي تطور نحو الديمقراطية والاعتراف بحقوق الإنسان لا يمكنه أن يكون إلا نتاج قطيعة أو عملية تعريب.

أما فكرة جمود المجال الإسلامي فترتبط بشكل وثيق بفكرة الاستثنائية، وهي مظهر مهم آخر في الاقتراب النيواستشراقي. ويفترض شكلاً ما من الاتساق أن ينظر الاستشراق الجديد إلى المجال الإسلامي بوصفه كتلة مصممة وساكنة، نمط من التعارض الذي يقيمه بين غرب ديناميكي، حديث، بشكل معقلاً للتححرر، ويوفر مساحات للإنجاز الفردي، وبين شرق جامد حيث يتشكل الفرد عبر الثقافة وعبر الدين، المؤطران بقوة عبر الأعراف

الاجتماعية والجنسية. ويرتبط مخيال "الإرهاب الإسلامي" بشكل وثيق جداً بتعريف لـ "العقلية العربية" وهو ما يفسر استخدام الإرهاب كنتيجة لـ "التأخر" الثقافي، ولخصائص محددة لثقافة عربية إسلامية. تشير الدراسة، في إطار سياق ظهور الاستشراق الجديد، إلى أنه من بين النتائج التي أعقبت نهاية الحرب الباردة، شكل زوال الاستقطاب الأيديولوجي بين المعسكرين دون شك أحد المداخل القوية لفهم انبثاق وتكريس الرواية النيواستشراقية في المجال الفكري والإعلامي الأمريكي والأوروبي. وأدى انهيار الروايات التي كانت تمنح المعنى، مثل المواجهة بين الليبرالية والشيوعية، في سنوات التسعينيات، إلى سباق لأجل صياغة بديل للتوازن التقليدي بين الشرق والغرب. وتأتي قوة الجذب لدى الرواية النيواستشراقية بشكل خاص من هذا التجديد، الذي يطال أطلس الغربية في ترتيب عالم ما بعد الثنائية القطبية، من خلال اتباع خطوط التوتر المرتبطة بالهوية الإسلامية. وحدود الإسلام الدنوية هذه رسمها "صامويل هنتجتون" على الخريطة بالمعنى الحر، في مقالته الشهيرة "صدام الحضارات".

يتطرق الباحث إلى فكرة اعتبار الاستشراق الجديد "إرهاب علمي"؛ مبيناً أنه عبر المقابلات التي قادها مع عدد من ناشطي حركة الاستشراق الجديد، وعبر تحليل المؤلفات والمراجع، اتضح أن النقد الموجه للإسلام هو في قسم كبير منه ليس نتاجاً لحالة عارمة من الإسلاموفوبيا. ذلك أن معاداة الإسلام السياسي هي بالأحرى نتاج سياقات محددة وللتلاعب بها من قبل مجموعة متنوعة من الفاعلين لخدمة أجندات أيديولوجية أو سياسية، محلية أو وطنية. ويؤكد موس على أن شخصيتين اثنتين كانتا في قلب الانتقال من الاستشراق الكلاسيكي إلى شكله الجديد؛ هما: عالم التاريخ البريطاني "برنارد لويس"؛ الكاتب الذي نهل من تراث الاستشراق القديم، والذي ساهم مقاله: "What Went Wrong؟" في "أقفة" أو "أسلمة" أحداث الحادي عشر من سبتمبر. أما العالم الثاني فهو "صامويل هنتجتون"، حيث صاغ كتابه عن صدام الحضارات المفردات والأسلوب المناسب لقراءة هذه الأحداث.

تتطرق الدراسة إلى الأطروحات التي طورتها "بات يجاور"؛ وهي مؤرخة بريطانية من أصول يهودية من مصر، خاصة مصطلحها حول "الذمائية" dhimmitude و"أورابيا" Eurabia التي تميل لتصبح مواضيع مكررة. حيث كتبت نصوصاً يظهر فيها مصطلح "الذمائية"؛ اللفظ المشتق من اللفظ العربي "ذمة" التي تشير إلى علاقات التبعية بين السلطة الإسلامية والسكان المسيحيين واليهود والزرادشتية. أما كلمة "أورابيا" فتصنف نتاجاً هجيناً من الأوربة والإسلام، وانصهار اصطناعي حيث الضفة الجنوبية المتوسطية التي كانت

تيار الاستشراق الجديد والإسلام

من الشرق الشيوعي إلى الشرق الإسلامي

أوليفيه موس

تشير الدراسة، في إطار سياق ظهور الاستشراق الجديد، إلى أنه من بين النتائج التي أعقبت نهاية الحرب الباردة

من بين النتائج التي أعقبت نهاية الحرب الباردة، شكل زوال الاستقطاب الأيديولوجي بين المعسكرين



في الحاجة إلى سقراط



د. عثمان حسيني

الرشيدية - المغرب

عليه تفادي الموت، ولكن "الهرب من الشرور أصعب"، كما يقول، لأن "شرور الكون هي الأسرع"، فهكذا لم يستطع فيدون إخفاء غرابة شعوره أمام لحظة لم ولن تتكرر كثيراً في التاريخ البشري، قائلاً: «في الواقع إن شعوري كان غريباً حقاً وأنا إلى جانبه - يقصد سقراط قبيل الموت - وفي الحقيقة لم تتملكني الشفقة عندما كنت أفكر أنني أشاهد رجلاً كنت أتعلق به كثيراً ذلك لأنه بدا أمام عيني سعيداً سعادة لا يعرفها إنسان أبداً».

إنه لتأكيد حق، لقيم النبيل والشجاعة الحق، التي تبناها سقراط كممارسة وليست كفضائل نظرية تتهاوى أمام أولى لحظات الحقيقة والواقع، "فالذي قضى حياته في الفلسفة حقاً، تكون نفسه مليئة بثقة عظيمة في لحظة الموت"، وليس سقراط إلا واحد من الذين تعلق قلوبهم وعقولهم بمحبة الحكمة، لذلك فقد كان منشغلاً عن الموت بالحديث عن اللذة والألم وتحرير الفكر، والفضيلة الحق، والتطهير والحجة، وموضوعات الحواس والفكر والمسائل العامة للطبيعة وحتى واجب الاهتمام بالذات ... فالموت لم يكن يعنيه في شيء "يوجد حيناً لا توجد، ونوجد حين لا يوجد".

ها هنا حقاً وصدقاً تصبح الحاجة إلى الفلسفة، أكثر من غيرها، ضرورة؛ ذلك إن الإنسان الفيلسوف وحده يشعر بملكية الفكر ومعه الحرية وسعادة الموت، كم نبغضك على ساعاتك بموتك ياسقراط، وكم هم أعداؤك يائسون، يائسون، تعساء حين اكتشفوا أنهم فشلوا أيما فشل في احتلال وجود الفلسفة لما طردتهم من كينونتها إلى سفسفتهم المتلاشية.

يرحل الكثيرون دون أن تكون لحياتهم ولا حتى لموتهم معنى يخلدهم في التاريخ، بل هناك من يحيى في صمت وفيه يموت ليعترك من خلفه لا شيء يذكره. إن التاريخ البشري هو تاريخ تناقض مستمر على الدوام، يكاد يكون هذا التناقض هو المحرك الأساسي للتاريخ البشري؛ فهناك من يحيى بالحب ويعشقه يموت، وهناك من يحيى بالحرب وبسيفها يموت، وهناك من يحيى بالحكمة ويمحبها يموت.

لا تكاد تذكر الفلسفة إلا ومعها أعداءها، فالتاريخ الإنساني يتذكر ولا ينكر، التحامل الذي أبداه أعداء الفلسفة في سبيل هدم صروحها المجيدة، لكنهم نسوا، ويا للغباء، أنها مشيدة بالعقل والمنطق والحجة والبرهان، وإن مساعيتهم تلك تحيى الفلسفة، إنهم يضخون نفساً جديداً في قلبها ويحشدون محبين وعشاقاً لها، فهم لم ولن يفهموا أن الصغيرة "صوفيا" وقعت في محبة الحكمة وخاضت رحلتها الجميلة وتذوقت لذتها، بسؤال قد يعده العامة صغيراً وساذجاً، "من أنت؟"

بسهام بأسة ورماع منكسرة حاولوا قتل الفلسفة في الفيلسوف، وبرزانة عقل وبشجاعة قلب أحيا الفلسفة والفيلسوف، إنه سقراط العظيم الذي انبعث من رماد موته نفس - يفتح الفناء - الفلسفة، لقد أفسد عليهم نخب ما اعتقدوا بأنه نصر... ربما لم يكن يعينهم موت الفيلسوف بقدر ما كانوا ينتظرون موت الفلسفة، وربما كانوا ينتظرون لحظة ضعف يستسلم فيها العقل لعاطفة المحبين والأصدقاء، لكن الحكمة انتصرت على الأهواء والعقل خان العاطفة وبسعادة الموت تلاشت الحياة. فحتى حين أصدرها حكمهم الجائر بتهم رخيصة، لم يكن صعب



الجديد، والمتمثل في التناقض الظاهر بين الجذب الذي يُمارسه حتى في الأوساط الأكثر تخصصاً، وبين طبيعته غير الإجرائية في نظر العلوم الإنسانية والاجتماعية. يبين موسى أن الهدف الرئيسي للاستشراق الجديد ليس توفير أداة لفهم التحديات السياسية والاجتماعية التي يتورط فيها الفاعلون الإسلاميون، بل في التحرر من الوقائع التي لا تتوافق أو تتوافق بصعوبة مع "مصالح" هوياتية، أو مهنية، وأيديولوجية، أو أيضاً سياسية. وإمكانية إثبات وتأكيد هذه المصالح بإخفاء التحاليل المنهجية للأحداث والعلاقات بينها، لفائدة سرد القصص، هي التي تجذب عدداً غير يسير من المتكلمين ومن الجمهور. وإذا كانت هذه الرواية لا تقدر شيئاً فهي في المقابل تحكي قصة صراع، وتعرض التفاعلات بين الهوية الغربية والهوية الإسلامية، حيث يتم فيها تسطيح الوقائع إلى حد كبير.

تختتم الدراسة بسؤال حول التشويش الذي أحدثه نجاح الرواية النيواستشرافية، وما إذا كان له تأثيرات جانبية عملية أم أنه سيظل خطأ هامشياً في وجود متغيرات قوية أخرى؟ ويبين أن الحتميات الدينية وفكرة الاستمرارية الثقافية توجد اليقين والقدرة على التوقع، فتمارس بذلك جاذبية على حزمة واسعة من الفاعلين، وسواء تم اعتماد هذا الخيار عن تقليد أعمى أو عن عقيدة أو بشكل براغماتي، فليس أكيداً أن تبتني هذه الأفكار وهذه اللغة لا يحمل تأثيراً على إدارة المعلومات والقرارات والإجراءات المتخذة لدى هؤلاء. ذلك أن اللغة والمفردات المستخدمة، وطريقة "سرد" التهديد الإسلامي، والنماذج التفسيرية تساعد في تأطير هذه الالتزامات، سواء على المستوى المحلي، كما تكشفه حجج المبادرة السياسية ضد بناء المآذن في سويسرا، أو على المستوى العالمي كما في حالة نموذج النزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

التي تقبها النظرة الغربية بين "المرأة المحجبة" وبين الأخرى "المسلمة المنشقة". عبر خلع الحجاب، سوف تتحرر هذه الأخيرة وتصبح غربية فإذن، حديثة. الممارسات المتعلقة بارتداء الحجاب تحمل دون شك معان عدة، تختلف حسب السياق، سواء بالنسبة للمحجبات كما في أعين أولئك الذين يتواجهون مع هذا الرمز. وإذا كانت ثنائية "التحرر عبر خلع الحجاب" في مقابل "حجاب رجعي" لا تشدد سوى على البعد المتعلق بالخضوع من ضمن التفسيرات الأخرى الممكنة، إلا أنه يأخذ كامل معناه في الرواية الإستشرافية. ولم تعد ديناميكية الهيمنة التي ترتكز على استخدام صورة المرأة على ما يبدو ذات طبيعة استعمارية فحسب، لكنها يمكن أن تستخدم أيضاً بوصفه تبريراً دقيقاً لروايات صراعية في داخل الدول ومن خارجها. هكذا فإن إدانة وضعية المرأة والواجب المعنوي في تصحيح هذا الظلم الواقع عليها هي مكونات هامشية، جرى إعادة استخدامها من قبل إدارة جورج بوش الابن (2001-2009)، بهدف أن تضيف إلى الاستجابة العسكرية لهجمات 11 سبتمبر، بعداً تدخلياً ذات طبيعة حضارية.

يرى الباحث أنه يجب أن لا ينسب إلى الرواية النيواستشرافية أثر قد يكون غير متناسب مع حجمها الفعلي. فالصورة المشوهة لهوية وإستراتيجيات النضاليات الإسلامية المتورطة في النزاعات أو في مناطق التوتر، بالإضافة إلى الأدوار المختلفة، المؤسسة والمهنية التي يتولاها دعاة هذه الحركية، لا تستند العوامل المتداخلة في عملية اتخاذ القرار أو عدد الخيارات المتاحة أمام صناع القرار. وبالرغم من ذلك، فإن التعرف على تيار نيواستشرافي والفاعل الرئيسيين فيه يسمح بتسليط الضوء على أحد الوكلاء الذين يتدخلون في تقليص إدراكاتنا وقدرتنا على التفكير بشأن مجال واسع للحركة بشكل مكتمل. هذا هو المظهر الرئيسي في الاستشراق

تمثل حدوداً فيما مضى، تلتهم ضفة شمالية تتغافل عن هويتها اليهودية المسيحية. ويقول الكاتب إن كتابات المؤرخة البريطانية، منذ الحادي عشر من سبتمبر 2001، وبفعل استثمارها في رواية الفاشية الإسلامية، لا تجد صدى حماسياً لدى جمهور أقل أو أكثر تطرفاً من الناحية الأيديولوجية فحسب، ولكنها أيضاً تؤثر في أوساط أكثر أهمية من الناحية الفكرية.

يؤكد الباحث أن التفسير في أوروبا، بشكل خاص، تتناول النيواستشرافية الممارسات المرتبطة بالحجاب بوصفه رمزاً يحيل، بشكل مزدوج، إلى حالة تمييز بين سلطة ذكورية فاعلة وبين خضوع أنثوي سلبي، وبوصفه شعاراً يدل على الفصل بين فضاء الحدأة وبين تقليد غابر. ويحاول تفسير النجاح في الربط المشترك بين المرأة المحجبة وبين فكرة الخضوع في المجتمعات الغربية. وذلك ممكن بفضل أداة كاشفة يوفرها نجاح نشر السير الذاتية لنساء "منشقات"، أي نساء مسلمات سابقاً اخترن الانتقال الرمزي من الشرق الإسلامي إلى الغرب العلماني. وفي أدبيات الاستشراق الجديد، فإن هذا الانتقال لا يمكن أن يتم، بدون حدوث قطيعة أو ردة. وتجسد شخصية "أيان هيرسي على": النائبة الهولندية السابقة ذات الأصول الصومالية، عبر كونها امرأة، ومن خلال لهجتها الحادة، وسيرتها الذاتية، رمزية هذا "المنشق في الإسلام"؛ اللقب الذي تعلقه عن نفسها بشكل صريح. وتؤكد حالتها اثنتين من الحجج الرئيسة في الرواية النيواستشرافية: الأولى هي وجود تعارض بين فضاء غربي، تحرري وبين فضاء إسلامي غير صالح ثقافياً أمام التحديث، والثانية في تقديم الحل للعالم الإسلامي إذا كان يريد الخروج من عصوره الغابرة فيحدث قطيعة مع "الإسلام".

مجموع هذه الإدراكات الواعية وغير الواعية التي تتبلور من حول "المرأة" هي التي تفسر العلاقة المتفردة



تأليف: شايم بيرلمان

ترجمة: أنوار طاهر*:

العراق

فلسفة الحجاج القانوني

بين لتمولية السلطة وعنف الأيديولوجيا*



إن التظاهرات السياسية وحملات العصيان المدني والاستنفار الأكاديمي، التي انتشرت في جميع أنحاء العالم خلال السنوات الأخيرة، جرى عرضها في كل مكان تقريباً، بوصفها تمرداً على السلطة *autorité* التي ما إن أصبحت مرادفاً لمفهوم القوة *pouvoir* وذلك نتيجة لاستعانتها بقوة البوليس العام، بدأت تشكل تهديداً مستمراً تجاه الحريات الفردية.

وقد تناول الفيلسوف الإنجليزي جون ستيوارت مل، ومنذ أكثر من قرن، لقضية التعارض القائم بين السلطة والحرية، وذلك في دراسته المعروفة: حول الحرية " *On liberty* " والتي اقتبس منها النص التالي:

«إن الصراع بين كل من الحرية والسلطة هو من السمات الأكثر وضوحاً في تلك العصور التاريخية المألوفة بالنسبة لنا، بدءاً من اليونانية والرومانية وحتى الإنجليزية... حيث كانت تعني الحرية، الضمان والحماية ضد طغيان الأنظمة السياسية... ففي الماضي البعيد، كان الحاكم عموماً يتمثل في شخص واحد؛ أو في قبيلة أو في طائفة، وكان يستمد سلطته من الحق في الإرث أو في الغزو والفتح، وفي جميع الأحوال، هي سلطة لا تؤخذ برضا المحكومين، الذين لا يمتلكون الجرأة الكافية، أو ربما لا يرغبون، في مواجهة نفوذها، مهما كانت نوع الاحتياطات التي يمكنهم اتخاذها ضد ممارساتها القمعية»¹.

ويلاحظ فيما بعد أن جون ستيوارت مل، لم يعد يستعمل مصطلح "السلطة" *autorité*، مستعيضاً عنه، على الدوام، بمصطلح "القوة" *pouvoir*، كما لو أنهما مترادفان. لكن، هل يمكن استبدال الواحد منهما بالآخر؟ فإذا ما قلنا عن أولئك المتحكمين بزمام القوة، أنهم يمثلون "روح السلطات وجوهرها"، فهل يعني ذلك اعترافاً منا بشرعية نفوذهم، التي ما إن تتلازم معها بالضرورة، ممارسات تقديم فروض الطاعة والولاء والتزلف، حتى نمضي قدماً في التعامل مع كل من مفهومي "السلطة" و"القوة" بوصفهما مترادفين. وهذا ما أشار إليه الفيلسوف اللساني الفرنسي إميل ليتريه LITTRÉ ÉMILE، في ملاحظة له ذكرها في قاموسه الكلاسيكي الشهير، حول مفردة *autorité*، حينما سلم أن «هناك جانب معين في استعمال مصطلحي السلطة والقوة يجعلهما مترادفين بعضهما من بعض»، لكنه عاد ليستدرك: «إلى أنه لما كانت السلطة هي من تسمح بشيء ما، والقوة هي من تقدر على تنفيذه، لهذا، دائماً ما تتوفر السلطة على ملمح من التأثير المعنوي/القيمي *morale* الذي لا تحطوي عليه القوة بالضرورة».

في الواقع، أن التعارض بين كل من مفهومي: السلطة والقوة، مثلما هو الحال عليه بين الوقائع والقانون، استمر حتى القرن الثامن عشر. لذلك، نجد أن الأسقف وفيلسوف الأخلاق الإنجليزي جوزيف بتلر *Joseph Butler*، في موعظته الثانية، قد جعل من قوة الانفعالات *le pouvoir des passions* مناقضاً لسلطة الوعي

l'authorité de la conscience؛ ومن ما ينبغي الالتزام به من معايير مسيطرة مخالفاً لما ينبغي الخضوع له بسبب تفوقه الأخلاقي². فكلمة السلطة في اللغة اللاتينية *L' auctoritas*، تعبر عن كل ما يأمر به الحاكم ويصادق على صلاحيته، بإرادة من الحكومين. ومن ثمة، فهو إذن، يقوم بتحويل مفهوم الإرادة ليكون تعبيراً عن "فعل" غير نافذ الصلاحية من الناحية التشريعية، عديم الفاعلية من الناحية القضائية في آن واحد.

وإلى ذلك النوع من التعارض، أشار أيضاً الفيلسوف الفرنسي جاك مارتان في تقريره التاريخي والموسوم: الديمقراطية والسلطة " *Démocratie et Autorité* "، الذي نُشر في المجلد الثاني الذي كرسه المعهد الدولي لفلسفة السياسة لموضوعه القوة. وطرح فيه تعريفين اثنين:

«نفي بمصطلح "السلطة" حق الحكم وفرض الأوامر من جانب الحاكم، وواجب الطاعة والخضوع له من جانب المحكومين؛ أما مصطلح "القوة" فنقصد به ما نملكه من نفوذ يمكننا من إجبار الآخرين على السمع والطاعة. فالإنسان العادل المحروم من كل أشكال القوة والمحكوم عليه بتجرع السم، لا يُدعى - بل يُعلى - من سلطته الأخلاقية. أما اللص أو الطاغية، فهم يبطشون بقوتهم دون أن يتوفروا بالضرورة على السلطة. وهذا ما جعل من مؤسسات مثل مجلس الشيوخ الروماني القديم والمحكمة العليا للولايات المتحدة، مؤسسات تستعرض لسلطة كبيرة غير متماثلة بالضرورة مع مقدار ما تؤديه في الواقع من

وظائف ضمن نظام القوة المتفدّ... فمن أجل أن تحقق السلطة تأثيراً كاملاً على الحياة الاجتماعية، لا بد وأن تستند على مبدأ القوة (بغض النظر عن أن يكون نموذج تلك القوة مشرعاً له قانونياً)، ومن دونه ستكون السلطة غير فعالة وغير متفدّة وعديمة التأثير على الشعب. كل قوة لا تعبر عن سلطة ما، ستكون قوة ظالمة. من هنا، كان الفصل بين القوة والسلطة، يعني الفصل بالضرورة بين النفوذ والقانون»³.

ولطالما أكد الكاتب الفرنسي برتراند دي جوفنيل في دراساته المتميزة: "حول القوة *Du Pouvoir*" و"حول السيادة *De la Souveraineté*" على أهمية السلطة في مجال السياسة، حيث: «أطلق مفهوم السلطة على مدى القدرة في كسب قبول الآخر. أو بالأحرى، هي من يمثل السبب الفعال في تحشيد الجموع طوعياً، ذلك الحشد الذي أرى فيه ممارسات السلطة المتفدّة بوضوح كبير جداً.

لا شك في أن لكل مؤلف الحق في استعمال أي كلمة ضمن المعنى الذي يختاره، شريطة أن لا يكون استعمالاً خارج السياق العام والمألوف. لكننا برغم ذلك ننع في الالتباس حول مسألة فيما إذا كان المعنى المعطى للكلمة ليس بقريب من معناه المعتاد. وعلى ما يبدو إنني وقعت أيضاً في تلك الحالة، وذلك لأن هناك الكثير ممن يعمد إلى المماثلة بين مصطلح الحكومة الاستبدادية " *gouvernement autoritaire* "؛ وبين الحاكم الذي يلجأ إلى الاستخدام المفرط للعنف، قولاً وفعلاً، من أجل إخضاع الشعب له، فحاكم مثل هذا، وحسب رأيني، إنما يفترق إلى السلطة الكافية للاضطلاع بوظائفه على الوجه الأمثل، لذلك نراه يلجأ إلى ردم تلك الفجوة بأداة الترهيب. من الملاحظ أن هذا الانحراف الحاصل في معنى كلمة السلطة، هو حديث العهد، ومحاولتي إنما تأتي لغرض إعادة وضعه في مجرى سياق معناه التقليدي الأصلي»⁴.

ولفت جوفنيل إلى أننا نلمح ذلك التحريف في استعمال مصطلح السلطة، عند من يماثل بين كل من: سلطة القانون والخوف من العقاب، برغم أنه في الواقع، لا ينبغي لقوة البوليس التدخل إلا عندما لا يصبح الاحترام الواجب أمام القانون مبدأ كافياً في تجنب انتهاكه.

لهذا، غالباً ما يلازم عرض خطاب السلطة حضوراً/ وسيطرة لنزعة معيارية، فلا بد من قواعد محددة ينبغي اتباعها أو الخضوع لها، كسلطة الحكم المقضي فيه، أو سلطة العقل أو سلطة الخبرة. في الواقع، إن من يملك القوة دون سلطة، قد يجبر الآخرين على الخضوع له، لكن ليس على احترامه.

نلاحظ أن مفهوم السلطة في التقليد اليهودي-المسيحي، لا يرتبط بالقانون، وإنما بقواعد القيم الأخلاقية *morale*، وهو ذو صلة مباشرة بمبدأ الاحترام. من هنا، نجد مفهومًا يُمثل في أنموذج سلطة الأب على أولاده،

نلاحظ كثيراً أنه قد أصبح من الرائج في مجال السياسة أو مجال الدين، أن يتم الاستعانة بصورة الأب من أجل التعبير عن الاحترام والتقديس الواجب تقديمه تجاه زعيم كاريزمي

فهو الذي يُعلمهم ويُرشدهم حول ما ينبغي القيام به وما يلزم تجنبه، وذلك ما يلتزمهم إياه عبر التقاليد والعادات وأعراف الوسط العائلي والاجتماعي الذي سينضمون إليه لاحقاً. إن السلطة المستمدة من الأب هي نفسها التي للمعلم، الذي يحدد لتلاميذه الطريقة الصحيحة في القراءة والكتابة، وما ينبغي عليهم اعتباره صحيحاً أو خاطئاً. فالقول المأثور: المعلم قال بذلك، *magister dixit* (هو قول حقق للفيلسوف فيثاغورس مكسب ضمان خضوع تلاميذه الكامل لكل الحقائق المطروحة دون فحص واختبار أو حتى إبداء رأي أو فتح جدال) هو أفضل مثال على تبرير عمل السلطة. على أي حال، لا يمكن أن يتشكل حضور مبدأ المساواة سواء في العلاقة بين الأب وأولاده الخاضعين لسلطته الأبوية، ولا في تلك العلاقة القائمة بين المعلم وتلاميذه في المدرسة الابتدائية. لأنه في واقع الأمر، كل تربية، بل وكل تعليم، في أي حقل كان، لا بد وأن يتأسس على مرحلة من التلقين، حيث يكون فيها من العيب الاعتراف بمبدأ مساواة المُلقن مع المُلقن له. فمن اللازم منح بعض من السلطة للشخص المسؤول عن التعليم، حتى وإن كان تعليمياً لتلاميذ بالغين.

فإذا ما قصدت معلماً من أجل أن يعلمني أصول علم الكيمياء أو أسس اللغة الصينية، ينبغي حينها، سيما في مرحلة التعليم الأولى، أن امتثل إلى توجيهاته وتعليماته. لأن ما يعرضه المعلم من انتقادات يفترض المعرفة بالحقل الذي يشتغل عليه. ولهذا السبب، نجد أنه من الطبيعي أن يكون التعليم الابتدائي أكثر دوجمائية من التعليم الثانوي، وأن تكون سمة التعليم الجامعي هي التدريب على التفكير النقدي. وهذا على أي حال لا يتعلق بمسألة السن والمستوى التعليمي فحسب، وذلك لأنه حتى في التعليم الجامعي، هناك مواد دراسية غير معروفة للتلاميذ، مثل اللغة الصينية، تحتاج حتماً إلى دورة من التلقين والتعلم، لكن ذلك سيحصل على أساس من الاعتقاد المسبق على التفكير النقدي في مواد ومقررات علمية أخرى.

إن استبعاد الفيلسوف الفرنسي ديكارت لأي دور للتربية، بأحداث قطيعة مع سلطة الماضي، قاده إلى افتراض وجود أفكار فطرية في ذهن كل كائن عقلائي، وهذا ما قاد الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو يمضي في مؤلفه "إميل أو عن التربية" إلى بناء نظرية غريبة بعض الشيء، يدعى أن لا مكان لتدريس العلوم للأطفال، بل ينبغي عليهم اكتشافها بوسائلهم الخاصة. لكننا أصبنا على علم اليوم، أن المناهج ذات الفاعلية العملية تستلزم



شايم بيرلمان

ضرورة وجود المعلم الذي يتوفر على الكفاءة وروح الإبداع أكثر بكثير من تلك التي تتطلبها المناهج التقليدية التي يمكن أن يستعاض فيها، عند الحاجة، عن المعلم بكتيب تعليمي موجز.

بالطبع، أن من غير المعقول إنكار الدور الأساسي لسلطة الأب والمعلم تجاه الأطفال الصغار. لكن المشكلة الأساسية تكمن في تحديد المرحلة والطريقة التي ينبغي أن تنتهي فيها علاقة السلطة تلك، لتتسح المجال تدريجياً لعلاقة من التعاون والتبادل النقدي. والأهم من ذلك أيضاً، تحديد الدور الذي ستلعبه السلطة داخل بنية العلاقات بين البالغين.

نلاحظ كثيراً أنه قد أصبح من الرائج في مجال السياسة أو مجال الدين، أن يتم الاستعانة بصورة الأب من أجل التعبير عن الاحترام والتقديس الواجب تقديمه تجاه زعيم كاريزمي. فالأب بالنسبة للوطن يمثل "ميتافورا" للزعيم السياسي، الذي كانت/ وستكون أفعاله مبدعة ومحصنة على الدوام. فعلى سبيل المثال لا الحصر، الآباء المؤسسين " *Founding fathers* " للولايات المتحدة الأمريكية، هم الأجداد الذين قاموا بصياغة الدستور الأمريكي ومن ساهموا / ولا زالوا يساهمون في ترسيخ الاحترام والامتنال لذلك الدستور. إن عبادة الأسلاف شائعة جداً في أغلب البلدان الآسيوية والأفريقية. لكنها معروفة بصورة لافتة للنظر أكثر في التقليد اليهودي-المسيحي، ففي سبيل إظهار ما ندين به للرب من مشاعر حب واحترام، ندعوه بـ "أبينا، ملكنا"، حتى إن الصلاة اليومية سواء في الديانة اليهودية؛ أو في الديانة المسيحية، تبدأ عادة بكلمات معروفة للغاية: "أبونا الموجود في السموات". فأضحى قس الكنيسة قابضاً، في آن واحد، على سلطة الأب وعلى سلطة المعلم، طالما كان

فأنا على الرغم من اعتقادي الشخصي بوجود دور للعقل العملي، إلا أنه مجرد دور سلبي، يتلخص في أنه يسمح بأن نستبعد الطول المخالفة لما هو عقلائي. لكن لا يوجد ما يضمن لنا وبطريقة عملية وجود حل صحيح واحد

لكن، علينا أن نساءل هنا، هل يوجد، في الواقع، لكل سؤال يمكن أن يطرحه الإنسان بصورة عقلانية، جواب واحد وصائب بالضرورة؟ وهل يمكننا الاعتراف بإمكانية الوصول إلى حقيقة واحدة، أو على الأقل بوجود مناهج تسمح باختبار كل فرضية خاصة بتلك الحقيقة وبإمكانية صياغتها؟

لا يمكن إنكار أن عدداً كبيراً من العلوم سيما المتعلق منها بالمعرفة تحديداً، ينبغي أن يسود فيها مثال الحقيقة على جميع الاعتبارات الأخرى. لكن عندما يتعلق الأمر بالسلوك، وتمييز العادل من الظالم؛ والجيد من السيئ، وما يتصل بمعرفة الدوافع التي تحثنا على القيام بفعل ما؛ أو إلى اجتنابه. هل توجد فعلاً، حقيقة موضوعية تحدد طبيعة السلوك الأفضل في اتخاذ قرار ما أو اختيار معين؟ إن لم يكن كذلك، هل يمكن أن يكون العقل هو الذي يقودنا في إنتاج أفعالنا؟ ألا تحمل فكرة القول بوجود عقل عملي كما اعتقد بها الفيلسوف الإنجليزي هيوم، تناقضاً مفاهيمياً في ذاتها؟

فأنا على الرغم من اعتقادي الشخصي بوجود دور للعقل العملي، إلا أنه مجرد دور سلبي، يتلخص في أنه يسمح بأن نستبعد الحلول المخالفة لما هو عقلائي. لكن لا يوجد ما يضمن لنا وبطريقة عملية وجود حل صحيح واحد. إذن، في هذه الحالة، إن لم يكن هناك حلاً واحداً نافعاً في المسائل العملية، كذلك الذي يقدمه لنا الجواب الصائب في المسائل النظرية، فسوف لن تكون اختياراتنا في حل مشكلاتنا مستمدة بعد الآن من العقل بل من الإرادة *volonté*.

ومن وجهة النظر أعلاه، أصبحت القوانين والقواعد الإلزامية في الدولة، تعبيراً عن إرادة الملك العليا المفروضة على كل القوانين التي جرى تسييسها وبما يتلاءم مع مصلحته الخاصة، وذلك حسب آراء العديد من فلاسفة النظرية السياسية منذ السفسطائي تراسيماك الذي عرفنا به أفلاطون وحتى ماركس.

وإذا حصل ما يخالف رؤية منظر الحق الطبيعي التي تستند على وجود قواعد موضوعية غير نافذة صلاحية، تقع على عاتق المشرع مهمة البحث عنها وسنها قانونياً، إذن تلك القواعد الإلزامية معبرة عن إرادة المشرع، وسيكون من الطبيعي أن يطالب الأفراد الملزمين بتطبيق تلك القوانين، بالمساهمة في تشكيلها وتطويرها وبحقهم في منح تصويتهم بالموافقة عليها بصورة مباشرة أو عن طريق ممثلهم في البرلمان. هكذا، ومنذ الوثيقة

العظمى Magna Charta عام 1215 التي تعهدت للنبلاء وللبرجوازيين بأن لا تُفرض أي ضريبة عليهم دون موافقتهم، بدأنا نشهد تطوراً تدريجياً للأيدولوجيا الديمقراطية التي أصبحت السلطات، وفقاً لها، لا تستمد شرعيتها من الإله أو من ممثليه من رجال الدين على الأرض، وإنما من الأمة وأعضائها المنتخبين.

هناك تعارض واضح بين مفهوم الأيدولوجيا الديمقراطية مع فكرة وجود قواعد موضوعية غير نافذة الصلاحية، سيما فيما يتعلق بالسلوك الانساني، لأننا لا يمكن أن نقرر عن الأغلبية ما هو الصائب من الخطأ. فمن كان يعتقد من أمثال فيلسوف النظرية السياسية الإنجليزي جودوين GODWIN التلميذ الاناركسي لفيلسوف القانون الإنجليزي ومؤسس مذهب النزعة النفعية Utilitarisme، بنام BENTHAM، في إمكانية إيجاد مبدأ يحدد موضوعياً "ما هو السلوك الأكثر نفعاً لأكبر عدد ممكن من الناس"، نجدهم وقفوا على طرقي نقيض مع فكرة ضرورة الحاجة إلى مشرع يعمل على صياغة قواعد سلوكياتنا، أما فيما يتعلق بالمسائل العلمية، فليس هناك ما يدعو إلى فرض سلطة للمشرع. طالما، كان مرسخاً لدى وعي الأفراد مجمل المقاييس الموضوعية للضوابط وللخطأ، تغدو فكرة الاستعانة بأي مشرع كان، ليست مضجرة فحسب، بل ومثيرة للسخرية تماماً.

لكن إذا كانت المذهب الاناركسي *anarchie* لا يعني بالنسبة لنا فقط، غياب الحكومة وإنما الفوضى أيضاً، فهذا يعود إلى أنه عندما يتعلق الأمر باتخاذ قرارات معينة أو بأعداد قواعد محددة أو باختيار أشخاص بعينهم لأداء عدد من الوظائف، يصبح من الضروري، وبعد استبعاد الحلول غير العقلانية، تعيين فرد أو هيئة تؤسس لسلطة اتخاذ قرارات معترف بها قانونياً. من هنا، كانت السلطة التشريعية وحدها من تستطيع صياغة قوانين إلزامية تقع ضمن حدود أقاليمها. ولما كان من الممكن أن تكون تلك القوانين موضوعاً لتأويلات مختلفة وفقاً للمسائل العملية المطروحة، يصبح من الضروري تفويض السلطة القضائية بصلاحية المساهمة في إعداد وتطوير التشريعات القانونية وبما يتلاءم مع التغييرات الحاصلة في المجتمع.

إن سلطة تلك الهيئات التشريعية والقضائية المسؤولة عن قيادة مجتمع سياسي منظم، تصبح أقل فاعلية في حال استنادها على القوة وحدها كأداة من أجل إخضاع الأفراد وفرض طاعتها. فمن أجل ممارسة صلاحية سلطتها السياسية، ينبغي الاعتراف بشرعيتها القانونية أولاً، وأن تتمتع بسلطة تحت الأفراد على القبول العام بالامتثال لها. وهنا يقع بالضبط الدور الأساسي للأيدولوجيات، التي سواء كانت ذات طبيعة دينية، فلسفية أو تقليدية، فأنها تسعى، فيما وراء الحقيقة، إلى إضفاء الشرعية على سلطة النظام السياسي. وغالباً

ما يتلزم إنتاج تلك الشرعية مع خاصية مطابقتها مع القانون، بعبارة أخرى، مع واقع أنها تعمل وفق الإجراءات القانونية في الترشيح والانتخاب السياسي. وهذا ما يفترض، أن هذه الإجراءات نفسها غير قابلة للاعتراض والظمن، ومتسقة مع الأيدولوجيا الرسمية، ضمناً أو علانية.

في الواقع، إنها ليست بإجراءات علمية تهدف إلى ترسيخ ما هو صائب أو ما هو خاطئ، أو على الأقل، ما هو قابل للاحتمال من عدمه، وتسمح بتبرير قراراتنا وتمدنا بأسباب تدفعنا نحو الفعل والاختيار أو على تفضيل فعل ما على آخر. إن المناهج العلمية تعمل على تحديد الوقائع، دون النظر إليها بوصفها بواعث على الفعل.

إن البواعث الوحيدة لأفعالنا، وفقاً لبعض الفلاسفات الوضعية أو الطبيعية، إنما تتكون في المتعة التي توفرها لنا أو في الألم الذي تجنبنا إياه، أو في الشعور بالرضا الذي نستطيع أن تمنحنا إياه، وذلك من خلال السماح لنا في إشباع غرائزنا وحاجاتنا ومصالحنا المختلفة. من هنا، يصبح كل حكم قيمي هو تمويه عن مصلحة معينة، وتقنين لرغبة، ولا تكون الأيدولوجيا إلا قطاعاً خادماً لمشروع يتخذ من الخضوع والقسر أداة، ابتغاء خدمة مصالح القوى المتنفذة. وكانت هذه هي الأطروحة البارزة في كتابات ماركس ونيثشه.

من هنا، يمثل النقد الفلسفي الذي يعمل على كشف وتعرية الأقيسة الفاسدة والادعاءات المزعومة التي تضي الشرعية على نفوذ سلطة الأيدولوجيا المسيطرة، مقدمة لكل فعل ثوري. فمنذ اللحظة التي نبدأ فيها بالنظر إلى السلطة المتنفذة بوصفها أبسط شكل من أشكال التعبير عن علاقات القوى، سوف لن نتردد في معارضتها بواسطة قوة ثورية تخدم المصالح المختلفة. لكن على من يؤيد تلك الثورة أن لا يكتفي بتلك المعارضة أمام القوى التي تحمي النظام القائم، بل يجب عليه أيضاً أن يكون مدافعاً عن النظام الجديد، الذي ينبغي أن يكون نظاماً أكثر عدلاً وإنسانية، ومنقداً للفرد من مختلف أشكال الاغتراب *aliénation*، عبر استعادة الحرية الإنسانية المفقودة. لهذا، كان لزاماً علينا صياغة أيدولوجيا جديدة لإظهار تفوق فاعلية النظام الثوري الراديكالي على النظام القائم.

ولأن المناهج العلمية أصبحت مجرد أداة طيعة تعمل على تفويض الوقائع التي يمكن لها أن تكون مقدمة لأيدولوجيا جديدة، دون أن تقدم تحليلاً نقدياً للأسباب التي دعتهما إلى دعم الأيدولوجيا القديمة والمسيطرة. لأنه من المتعارف عليه، أن نقد الأيدولوجيا المسيطرة لا يتحقق إلا باسم أيدولوجيا جديدة؛ ونموذج جديد للإنسان وللمجتمع. وهذا لا يعني أبداً أن تكون الأيدولوجيا الجديدة بمنأى من النقد. بهذه الطريقة، يتحول الجدل الفلسفي إلى صراع دائم بين الأيدولوجيات التي تسعى

في الواقع، إذا كان التقليد الشائع في المؤسسات الأكاديمية يؤكد على عدم اللجوء إلى قوة خارجية لحفظ الانضباط، فهذا يعود إلى أن هذه المؤسسات وعلى مدار تاريخها تشعر بالارتياح تجاه استخدام القوة، وتعددها تهديداً للحرية الأكاديمية. وهي باسم قيم احترام الحرية الأكاديمية

لفرض حقائقها الخاصة على الجميع. وعلى الرغم مما ينتجه ذلك الصراع من وجهات نظر نقدية مختلفة، يتناقض الواحد منها مع الآخر، إلا إنها تمثل في الواقع، فرصة ملائمة لتحقيق ثراء عقلائياً، لأن لو كل فرد من الأفراد سآخذ في الحسبان آراء الآخر المختلفة، ربما سيتخذ موقفاً مغايراً عما كان يتبناه في البدء. لأن فتح باب النقاش والحوار والتواصل بين الآراء المتعددة، سيؤدي بالضرورة إلى إحداث تغيير كبير في المواقف.

لكننا في الوقت الحالي، لا نشهد في الغالب، صراعاً بين الأيدولوجيات، وإنما نزاعات عداوية تقتصر لأي تأسيس نظري، وتستعير شعارات من هنا وهناك، بل وتسم بكونها شعارات متقلبة ومتناقضة، وفيها من الإسفاف الكثير، تكتفي بمعارضة النظام القائم بوسيلة العنف، وإنكار كل نفوذ للسلطة الحالية.

يمكن أن يجد هذا الاتجاه تبريره عند من جرى استبعادهم دائرة النقاش، ونرفض الإصغاء إلى مطالبهم، طالما كان حكمنا عليهم أنهم لا يسمون بالكفاءة الجيدة وغير صالحين للحوار، لذا نجدهم يضطرون إلى اللجوء في أحيان كثيرة إلى العنف من أجل أن إسماع صوتهم وإيصال مطالبهم. لكن، فيما إذا بقي النزاع على صورته هذه، فسوف لن يأتي بنتائج فعالة، إلا في حال استناده على أيدولوجيا مختلفة عن القديمة، تجعل من مبادئ احترام كرامة الإنسان والتأسيس لمجتمع أكثر ديمقراطية على رأس أولوياتها. وبذلك، سينجح المتظاهرون في تبرير احتجاجاتهم ضد دعوات المدافعين

عن النظام القائم بضرورة الاستعانة بقوة البوليس، في حال حصول اضطرابات داخل الجامعات، لأنه إن لم يتم الاستناد على أيدولوجيا جديدة، فلماذا إذن يسخط المتظاهرون من المدافعين عن النظام السائد من استخدامهم للقوة، ما دامت القوة هي الأداة المستخدمة والمشاركة بين الطرفين؟

في الواقع، إذا كان التقليد الشائع في المؤسسات الأكاديمية يؤكد على عدم اللجوء إلى قوة خارجية لحفظ الانضباط، فهذا يعود إلى أن هذه المؤسسات وعلى مدار تاريخها تشعر بالارتياح تجاه استخدام القوة، وتعددها تهديداً للحرية الأكاديمية. وهي باسم قيم احترام الحرية الأكاديمية، لا ترغب بالاستعانة بقوة البوليس التي بإمكانها أن تشكل خطراً على حرية التعبير عن الرأي.

فلما كانت المؤسسات الأكاديمية في التقليد الغربي تمثل دوماً ملاذاً لحرية التفكير والتعبير، وللبحث الحر عملاً هو صائب وحقيقي، لذا كان لابد من العمل على حماية الجامعات من استخدام العنف من أي جهة كانت وتحت أي ذريعة. ولن يتم إقرار حظر استخدام القوة، إلا تحت مسمى أيدولوجيا أخرى جديدة. لكن لو استمر الحال في الإصرار على إنكار جميع الأيدولوجيات بوصفها ليست إلا تسويات واهية، وأن الحياة السياسية ليست إلا صراع قوى، حينئذ سوف لن تكون حقوق السلطة المتنفذة هي المتفوقة على الدوام فحسب، بل وستتلاشى أيضاً فكرة الحق نفسها، لتفسح المجال للعنف وحده.

ختاماً، من أجل أن لا يجري اختزال الحياة الاجتماعية والسياسية إلى محض علاقات قوى مُتنفذة، ينبغي الاعتراف بوجود قوة شرعية، حيث تُؤسس السلطة فيها على أيدولوجيا معترف بها قانونياً. ولا يتم نقد هذه الأيدولوجيا إلا باسم أيدولوجيا أخرى، لأن الصراع بين الأيدولوجيات أيًا كانت تلك الأيدولوجيات، يشكل أساس الحياة العقلانية والروحية في العصور الحديثة. وإن منع التفاضل بين الأيدولوجيات، إنما يعني إعادة التأسيس لدوغمائية ولأرثوذكسية جديدة، وإخضاع حياة الفكر إلى سلطة النفوذ السياسية. إن نفي كل قيمة للأيدولوجيات، سيعيد الحياة السياسية إلى الكفاح المسلح ضد القوة المسيطرة، الذي سينتصر فيه وبشكل غير قابل للجدال، الزعيم العسكري الأكثر نفوذاً.

من هنا، تتأتى أهمية السماح للمؤسسات الجامعية بأداء وظيفتها تحت مظلة الحرية الأكاديمية، لأن ذلك يعني بالضرورة الاعتراف بوجود منظومات قيم أخرى ومختلفة عن قيم القوة والعنف؛ والإقرار بأن جميع المنظومات لا تقع بمنأى عن النقد، وأنه لا ينبغي لأي أيدولوجيا الاستناد على نفوذها الترهيبى من أجل ضمان بقائها.

الهوامش:

* Ch. Perelman : Autorité, idéologie et violence. un article publié dans son livre : Le champ de l'argumentation. Presses Universitaires de Bruxelles. Cet article publié à l'origine dans 216-1970. 207 Annales de l'Institut de Philosophie de l'Université de Bruxelles. 1969. pp. 9- 19

نُشر هذا المقال لمؤسس البلاغة الجديدة، الفيلسوف وعالم القانون البلجيكي شاييم بيرمان (-1912 1984) تحت عنوان: (السلطة، الأيدولوجيا والعنف) في مؤلفه: حقل الحجاج. وقد ظهر هذا المقال في الأصل، ضمن حويليات معهد الفلسفة في جامعة بروكسل.

* باحة من العراق - مختصة في حقل الدراسات الفلسفية. JOHN STUART MILL. La liberté. trad. Par M.(1). Dupont-White. Paris. 1860. p. 2

J. BUTLER. Fifteen sermons upon Human Nature. (2) London. 1726. cité d'après A. I. MELDEN. Ethical 253-Theories. second Ed. Prentice Hall. 1967. pp. 252 Le Pouvoir. tomesecund. Paris. Presses Universitaires (3) 27-de France. 1957. p. 26

Bertrand DE JOUVENEL. De la Souveraineté. Paris. (4) 1955. p. 45



نظرية البناء في العهود القديمة



أ. د. مسعد بن عيد العطوي

عضو تدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عضو مجلس الشورى - الرياض

أما الكتب السماوية والمؤرخون المسلمون، فيرون غير ذلك فالله رعاه في الأرض وعلمه الضروريات وحف الإنسان الأول بما يجعله يبني الحياة وتنقسم النظريات إلى:

أولاً: الإلهام:

والمتمثل في التكوين البشري الذي رعاه الله وكون له البيئة الصالحة يدرك أن الله لم يترك آدم هملًا ضائعًا، بل حفه بالرعاية، منها الإلهام والاستلهام، فالإلهام: هو ما يوحي به الله لأدم أو يهديه الله له بفطرته، ومما يؤيد هذا أن الله علم آدم الأسماء كلها، والمفكر يدرك أن الأسماء وراءها دلائل، وتحمل مكونات عملية، وهي شاملة للحياة، فني كل اسم دلالة قبل المطر والشجر والغذاء والسكن، فهذه أوحى لأدم بالعمل الحياتي، فهو رأى آلة الزراعة، وأخذ يزرع، وكذلك أدوات البناء، وألهمه البناء واستنبط معالم من أسماء البناء؛ يؤخذ شاهد لذلك، نقل عن الضحاك عن ابن عباس: علمه الأسماء كلها التي يتعارف بها الناس: (إنسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار وأشياء ذلك)¹ وأدم يدرك دلالتها والعمل بها ونطقها.

ومن الدلائل الكبرى على التوجيه الرباني لأدم مع إتاحة العمل للعقل والتفكير: مما روى: (إن أول ما خلق الله القلم، وقال له: اكتب .. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن)² هذا الحديث دلنا على علم الله بما هو كائن، كل كائن، وهو متعلق بكل كائن يعمل، كما هيئ الله له بالإلهام والتفكير وبالإلهام للمصطفين الأخيار، والله بث علمه للملائكة ولجن وللنفس، كل في ما هو بدء بمهمته التي خلقها الله لها، وما هو ضروري له وتحت قدراته، وأفسح المجال للتأمل والتدبر فيما هو تحت قدرات العقل أو ما تعلمه الفرائز، مثل الهضم، وحب الأمومة، وحب

الإنباب، وأما العقل فمجاله أوسع فهو يولد اكتشافه من خلال الإلهام والتقليد والحاجة الضرورية لكل موقف وكل هذه وسائل التطور البشري، وبدأت الحكاية بلباس الستر لعورتيهما بعد التعرية في الجنة وإنزالهما أما في الأرض فلما التقى آدم وحواء وكل منهما عارياً؛ (فلما رأى الله تعالى عري آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن ومن الثمانية الأزواج التي أنزل الله من الجنة، فأخذ كبشاً فذبحه وأخذ صوفه، فغزلته حواء ونسجه، آدم فعمل لنفسه جبّة، وحواء درعاً وخماراً، فلبسا ذلك)³ وقيل أرسل إليهما ملكاً يعلمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والأنعام، وقيل: كان ذلك لباس أولاده، وأما هو وحواء فكان لباستهما ما كان خصفاً من ورق الجنة، ثم تطور الغزل والنسيج بمعرفة البشر وعقلانيته إلى ما نحن فيه. ثم جاءت مرحلة البناء والدور وأولها بناء الحرم، فكان بإيحاء وإلهام من الله، (فأوحى الله إلى آدم: إن لي حرمًا حيال عرشي، فانطلق وابن لي بيتاً فيه، ثم طف به كما رأيت ملائكتي يحضون بعروسي، فهناك أستجيب لك ولولئك من كان منهم في طاعتي، فقال آدم: يارب وكيف لي بذلك! لست أقوى عليه ولا أهندي إليه، فقيض الله ملكاً فانطلق به نحو مكة، وكان آدم إذا مرّ بروضه قال للملك: انزل بنا هاهنا، فيقول الملك: مكانك، حتى قدم مكة، فكان كل مكان نزله آدم عمراناً وما عداه مفاوز، فبني البيت من خمسة أجبل: من طور سينا، وطور زيتون، ولبنان، والجودي، وبني قواعده من جراء؛ فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات فأراه المناسك التي يفعلها الناس اليوم، ثم قدم به مكة فطاف بالبيت أسبوعاً، ثم رجع إلى الهند فمات على نود)⁴ وقال عن بيوت الله سأجعل فيها بيوتاً ترفع لذكركي، وأجعل فيها بيوتاً أختصه بكرامتي، وأسميه، بيتي، وأجعله حرمًا آمناً، وأشار إلى أن

آدم هو الذي عمر البداية بالحرم ونتيجة للوحي والإلهام لأدم يرى بعض العلماء أن الله علمه صنغته من كل شيء تعمه (أنت يا آدم ما كنت حياً، ثم تعمه الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة، ثم أمر آدم أن يأتي البيت الحرام، وكان قد أهبط من الجنة ياقوتة واحدة، وقيل: ذرة واحدة، وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح عليه السلام، وفرغ وبقي أساسه، فبواً الله لإبراهيم، عليه السلام، فبناه على ما نذكره إن شاء الله تعالى)⁵.

الزراعة والنار: أما الزراعة فقد كان جبريل رسول الله إلي آدم وزوده بصرة من حبوب القمح، وأمر جبريل آدم أن ينثر تلك الحبوب في الأرض فأنبتت حب الحنطة، «وأُنزل عليه جبرائيل بصرة فيها حنطة، فقال آدم: ما هذا؟ قال: هذا الذي أخرجك من الجنة، فقال: ما أصنع به؟ فقال: انثره في الأرض، ففعل فأنبته الله من ساعته، ثم حصده وجمعه وفركه وذرّاه وطحنه وعجنه وخبزه، كل ذلك بتعليم جبرائيل، وجمع له جبرائيل الحجر والحديد ففدحه فخرجت منه النار، وعلمه جبرائيل صنعة الحديد والحراثة، وأنزل إليه ثوراً، فكان يحرث عليه» قيل: هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿فَلَا يَحْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَى﴾⁶. ومن الوحي والإلهام سفينة نوح عليه السلام.

ثانياً: الاستلهام:

فالاستلهام: هو نظرة التأمل في الجنة والسير على موكبها، وعندما بنى آدم بيت الله وحرمه أضحى البناء مثالا يحتذى فأخذ آدم وأبناؤه بينون منازل لهم على شاكلة البناء بما يتناسب وحاجتهم الضرورية للإيواء والذرى والكن وحماية من البرد والشمس ومستقرًا لهم ومن الاستلهام ما رآه قاييل لحفر القبور حين رأى الغراب يحفر للغراب الميت ليواريه، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيهِ أَنْ كُنَّ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾⁷.

ثم جاءت مرحلة وفاة آدم، فأنت الملائكة لتغسله، وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ: (أن آدم حين حضرته الوفاة بعث الله إليه بجنوده وكفنه من الجنة، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم، فقال: خلي عني وعن رسل ربي. فما لقيت ما لقيت إلا منك، ولا أصابني ما أصابني إلا فيك، فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترًا، وكفّوه في وتر من الثياب، ثم لحدوا له ودفنوه، ثم قالوا: هذه سنة ولد آدم من بعده)⁸.

ومما رآه آدم في الجنة وما جاء على لسان الرسل والأنبياء بالترغيب بالجنة وأوصافها؛ وقالوا إن مهلائيل وهو ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم: إنه أول من بنى البناء، وأستخرج المعادن، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد، وبني مدينتين كانتا أول ما بُني على ظهر الأرض من المدائن، وهما مدينة بابل، وهي بالعراق، ومدينة

السُّوس بخرُوزستان، وكان ملكه أربعين سنة.

مرحلة التنظيم:

وقيل هو أول من استنبط الحديد وعمل منه الأدوات للصناعات، وقدر المياه في مواضع المنافع، وحضّ النَّاسَ على الزراعة واعتماد الأعمال، وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش، وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها، وإنه بنى مدينة الري، قالوا: وهي أول مدينة بنيت بعد مدينة جيوميث التي كان يسكنها بدناوند، وقالوا: إنه من وضع الحكام والحدود، وكان ملقبًا بذلك يُدعى بيشداد، ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل، وذلك أنّ بيش معناه أول، وداد معناه عدل وقضى⁹.

وهو أول من قطع الشجر وجعله في البناء، وذكروا أنه نزل الهند وتنقل في البلاد وعقد على رأسه تاجًا، وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم على ذلك وقتل مردتهم، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال، فلما مات عادوا بالجن والكهنة والسحرة، فبنوا مدائن كثيرة جميلة، وقد غمرت الرياح أو أخفاها الله، وكثير من الأبنية تحمل خاصية أما من الجن أو من السحرة، كما تشير المباني الفرعونية التي لها خاصيات متعددة مثل القصر الذي يحتوي على صور للحيوانات، فإذا أقبل جيش العدو فإنهم يرمون تلك الصور فينهزم الجيش الغازي إنها مدائن أسطورية لا تستبعد الحقيقة فيها.

وقيلها أشاد شداد بن عاديا مدينة في حضرموت على شاكلة الجنة، تحاذيا للأنبياء والرسول عليهم السلام حين وصفوا مباني الجنة، وذكر التاريخ أوصافها بما لا يخطر على بشر الآن، وقد حجبتها الله ما عدا أحد الصحابة فذكرها لأبي بكر، وصدق ذلك بما سمعه عن الرسول ﷺ:

مرحلة التعليم والتصنيف للمهن:

ذكروا أن الملك جمشيد وهو الحفيد الخامس أو السادس لأدم، وهو أول من كون المهن وصنف الأعمال، وأوكل لكل صناعة معلمين ومدربين، وهو أول من ملك في بابل، وجمع شتات المعارف والمهن، وجعلها علمًا متوارثًا، فهو بدأ بصنع الحديد والسيوف والدروع وكثير من الأسلحة، وقويت دولته حتى أخذ بالتعليم والرفاه، فصنع الحرير والألبسة وأقسام مصانع عليها مهرة متدربين وبدأ له في مرحلة تالية: بتصنيف المجتمع، فطبقة مقاتلة، وطبقة علماء، وفتهاء، وطبقة كتاب وصناع، وطبقة حراثين وسخر المجتمع لخدمة السلطة، وهذا التصنيف قبل تصنيف الفلاسفة الغريق.

ثم بعد ذلك حارب الشياطين، وسخر الشياطين يعملون له قطع الحجارة والصخور من الجبال، وعمل الرخام والجص وسائر مكونات البناء ومكونات العمران، ومن هنا ندرك أن بداية الكون تعتمد على الإلهام والاستلهام

وتسخير الجن والشياطين، الأمر الذي يفوق قدرة الإنسان منفردة.

ثالثاً: النظرية المائية:

كانت الأرض غير الأرض الحالية، فكانت أنهارًا وبحيرات وعيونًا جارية، وأمطارًا غزيرة، ولما تجسد كثير من الأودية بفعل السيول، ولذلك كانت قمم الجبال وما يسمى بالفتنة وهي سطوح الجبال الممتدة، كانت مكان البناء وتكثر المباني على سفوح الجبال، وترى معالم البناء بالقرب من الكهوف وتكثر الأبنية فوق الجبال المطلة على الأودية ذات الحجارة الكثيفة، إن الجزيرة وجبال السروات تمثل المشهد تمامًا، فالذي يطوف فوق الجبال وعلى قمم الحرات المنبسطة والمتدبر في أحضان قمم الجبال يذهل من وجود الأبنية المنثرة، ويذهل من كثرة الأنفاق تحت هذه القمم.

إن تعدد المباني وتعدد أشكالها يخضع للمكان والزمان وتطور الأجيال وقوة الرجال وتضاعف قدراتهم. ومن العوامل المائية الطوفان الذي غمر الأرض جميعاً فهو ظل زمنًا طويلاً حتى قل أثره مما جعل الناس يبنون في الأرض الجافة.

رابعاً: نظرية الرياح:

كانت الرياح تقوى وتخبو، وكانت تحمل البرودة الشديدة، فدعت الناس إلى البناء في أحضان الجبال وفي المنخفضات وفي التلاع وفي الحتوف (الأحفاف).

ثم جاءت الرياح القوية على قوم عاد، فطمرت المباني، واقتلعت الأشجار وأهلكت البشر، فكانت عبرة للناس، ولكن بعد قرون نسي الناس أثرها، ورأى الجبابرة أن قوم عاد لم يتخذوا الحيطة والحذر، فتداعي قوم ثمود إلى الجبال ونحتوها وجعلوها مأوى للحاجة، فهم وضعوا لها أبواب حديدية شديدة يلجئون إليها إذا اشتدت الرياح، وقد أشار التاريخ إلى تلك الأبنية، وأنها مساكن وقت الحاجة، وأيدهم القرآن الكريم، ويروي التاريخ أن ملكهم جندع بن عمرو أمر بالبناء وتحت الجبال، ويبرر ذلك إنما هلكت عاد لأنها لم تشيد مبانيها في الجبال.

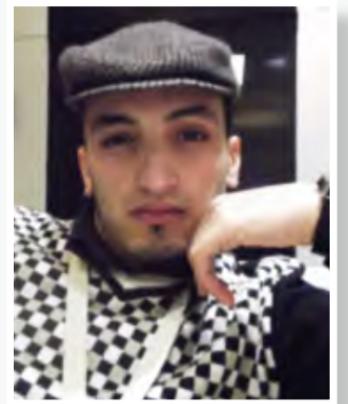
الهوامش:

- 1 - الكامل 72/1
- 2 - الكامل 62/1
- 3 - الكامل 78/1
- 4 - الكامل 78/1
- 5 - الكامل 79/1
- 6 - طه/177
- 7 - المائدة/31
- 8 - الكامل 89/1
- 9 - الكامل 89/1



النكتة

لغتها ووظائفها



الباحث: أكثيري بوجمعة

جامعة ابن طفيل القنيطرة- المغرب

إنه لمن الصعوبة بمكان أن نعطي تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا المفهوم الملتبس المسمى "النكتة" على صفة أنه مفهوم زئبقي يابى الثبات. هذه الصعوبة تمتد إلى الضحك، إذ هو الأصل الذي تتفرع عنه مجموعة من المفاهيم كالسخرية والفكاهة والهزل والنكتة، وقد فطن بركسون إلى صعوبة تعريف النكتة وإلى ارتباطها بالضحك، حيث قال: إن دراسة الضحك لا تكون كاملة إذا هي أغفلت تعمق طبيعة النكتة، وتوضيح فكرتها، ولكن أخشى أن يكون هذا الجواهر اللطيف هو من تلك الجواهر التي سرعان ما تتحلل إذا عرضتها للنور!

وبعد أن أشرنا إلى الصعوبات التي تواجه الباحثين في تعريف النكتة، لا بأس أن نقف ملياً عند وظيفة عملية التنكيت ومكونات هذه العملية والشروط السوسيو ثقافية لنجاحها، والأقسام الكبرى للنكتة، انطلاقاً من كتابات سكموند فرويد.

1- وظيفة التنكيت

النكتة ظاهرة اجتماعية تقوم بوظائف متعددة، فبالإضافة إلى التسلية، فهي تخفف من حدة التوتر والحقد والعداء، وتسعى إلى نشر الفضيلة وتقويم الإعوجاج، وفضح الانحراف كما تعد وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي، إنها استعمال براكماتي للغة، فعبرها يمكن للناس أن يبلغوا مواقفهم ومعتقداتهم ورغباتهم وميولاتهم بشكل ملتو بعيد عن أعين الرقابة.

الشيء الذي لن يتأتى لهم بوسيلة أخرى، فعن طريقها يمكن التعامل مع المواضيع المحظورة بسهولة ويسر، إنها بفضل مظهرها الخادع وشكلها المحكم الصنع، تخفي أنها تحمل أي رسالة وبالأحرى موضوعاً محرماً. وكمثال على ذلك النكت الجنسية التي تستعمل وسيلة لتبليغ الرغبة بطريقة غامضة لكنها مفهومة، يقول فاين (fine) في هذا الصدد: إن التحول من علاقة لا شخصية إلى علاقة شخصية يمكن تسهيله من خلال الفكاهة؛² فبالتواصل من خلال النكتة الجنسية يمكن للرجل أن يقيس رغبة المرأة في اتصال إضافي دون أن يرفض طلبه المباشر. هذا يبين أن الرجال يؤثرون مراودة النساء عن أنفسهم من خلال النكت الجنسية؛ أي بطريقة ملتوية أو مقنعة، مفضلين ذلك على الاقتراح المباشر؛ فالنكتة بهذا المعنى، توفر لهم إمكانية التملص إذا ما قُوبل اقتراحهم بالرفض أو التوبيخ، كما تمكنهم أئند من التظاهر بالخفة وعدم الجدية، أو بعبارة أخرى سيتظاهرون بأنهم يمزحون فقط. بالإضافة إلى التسلية والتعبير عن الأفكار

المحظورة أو المحرمة تؤدي النكتة وظيفة أخرى. خصوصاً النكتة المبنية على اللغة أو اللعب بالألفاظ. إذ تسهم هذه النكتة في ترسيخ روابط الألفة بين الأفراد خصوصاً منها الفئة الشعبية، كما تساعد على تقوية روابط الصداقة والأخوة فيما بينهم، وتزيد من جاذبية المنك لدى جمهور المستمعين.

2-1 مكونات التنكيت وشروطه

المقصود بمكونات فعل التنكيت الأطراف المشاركة في هذا الفعل، إذ بانعدامها أو انعدام أحدها يفشل هذا الفعل. ويمكن إجمال هذه المكونات والشروط التي يلزم أن تتوافر فيه فيما يلي:

1-2-1 الإطار the setting

وهو مجمل الشروط الاجتماعية المرتبطة بالبيئة والمحيط والزمن الذي تلقى فيه النكتة، فلكي يفلح الفعل الفكاهي يجب أن يكون موافقاً للظروف الاجتماعية التي تحدث فيها، فالإطار عنصر مهم يحدد إذا كانت النكتة مقبولة أم لا.

فالتنكيت ليس دائماً ممكناً وفي جميع المناسبات، ففي المجتمع الإسلامي لا يمكن التنكيت في الأماكن المقدسة كالمساجد أو وقت الصلاة، وفي أثناء تشييع الجنائز، لكن هناك مناسبات أخرى يستحب فيها التنكيت كمجالس الأصدقاء، غير أن عنصر البيئة يختلف من ثقافة لأخرى ففني بعض المجتمعات يسمح بالتنكيت في أثناء الجنائز لتحول هذه المناسبة الحزينة إلى مناسبة سارة. وما على المشارك في فعل التنكيت إلا أن يكون واعياً بالقواعد والشروط التي تحكم زمن ومكان التنكيت، فكما قالت العرب "فلكل مقام مقال".

2-2-1 المشاركون the participants

كما لا يستطيع المنك التنكيت متى أراد وأنى أراد، فإنه لا يستطيع فعل ذلك مع أي كان، فالتنكيت يسمح به

في أثناء التفاعل الاجتماعي بين زملاء في العمل وبين الأصدقاء والمعارف الذين تجمع بينهم مودة.

ولعل من بين شروط نجاح فعل التنكيت بين المشاركين أن يكونوا من نفس السن والجنس والمستوى الاجتماعي، مع تفاوت بالطبع من مجتمع إلى آخر. غير أن هذه المودة والعلاقة بين المشاركين لا تكفي وحدها لنجاح هذا الفعل، إذ لا بد من توافر شروط أخرى لها علاقة بالتواصل.

1-2-3 القواعد اللغوية the linguistic code

لكي تتجح النكتة يلزم أن تتوفر لدى المتكلم والسامع ملكة لغوية تمكن الأول من الإفصاح والتبليغ، وتساعد الثاني على فك رموز النكتة وتبين مواطن المفارقة. خصوصاً في النكت المبنية على اللغة والتلاعب بالألفاظ. ومن ثم فهم نكتة واستيعابها مرهون بتملك ناصية اللغة، كما أن الفشل في حل رموزها يبين أن المتعلم يحتاج لمزيد من الممارسة، وأنه بعيد عن امتلاك اللغة. وبما أن النكت اللغوية تتبني على جميع المستويات: المعجمي والدلالي والفتولوجي والتركيبي، فإن البعض يرى فيها أفضل وسيلة لتعلم اللغة واكتساب قواعدها.

1-4-2 الخلفيات الثقافية

لا يعني أن امتلاك اللغة شرط كاف لفهم النكتة. بل لا بد إضافة إلى ذلك من توفر شرط الاشتراك في الخلفية الثقافية، ذلك أن هذه الخلفية المتقاسمة بين المشاركين في الفعل الفكاهي وثيقة الصلة بفهم النكت. خصوصاً منها تلك المعتمدة منها على ثقافة، ويقول (nash) في هذا الصدد: تنقسم الفكاهة مع هؤلاء الذين يقاسموننا تاريخنا. ويفهمون طريقة تفسيرنا للتجارب هناك ذخيرة، والذكريات المشتركة تعتمد عليها النكت مع تأثير لحظي⁵. لهذا نرى أن النكت تتضمن جملة من الإشارات الثقافية والحضارية التي يصعب فهمها خارج سياقها.

2- أقسام النكتة حسب فرويد:

يقسم فرويد النكتة حسب مقصديتها إلى نكتة مغرضة (mot d'esprit tendacieux) ونكتة بريئة (mot d'esprit innocent)، فالنكتة المغرضة هي التي ترمي إلى إشباع الميول والنزعات الجنسية والعدوانية، تلك الميول الأساسية المرتبطة بالحياة النفسية للإنسان، ومن نماذج هذا النوع النكت الماجنة أو الخليعة التي تشبع رغبات منها الكبت أو كبحتها الأعراف الاجتماعية وحالت دونها. ويذهب فرويد بعيداً في تحليله لهذه النكت حين يقول: بأنها تتجاوز حدود إشباع الرغبة إلى الإثارة والتحرير؛ فهي موجهة في الغالب حسب رأيه إلى امرأة بهدف تعريتها وتجريدها من ملابسها، بل إن من يضحك من فُحش كأنما يضحك من مشاهدته لاعتداء جنسي⁶.

أما النكتة البريئة أو المجردة كما يسميها (esprit abstrait) فتعتمد على اللغة واللعب بالألفاظ، ولا تحمل أي شحنة عدوانية، ويرجع فرويد النكتة في جميع الحالات إلى اقتصاد الجهد النفسي. وبعد أن تطرقنا إلى أقسام

النكتة لا بأس أن نُدرج بعض التقنيات التي تشتغل عليها النكتة. وقد قسمها فرويد إلى ثلاثة أقسام وهي: التكتيف والنقل والترميز أو التمثيل الغير المباشر.

2-1 التكتيف:

يحصل التكتيف في النكتة بالتركيب بين كلمتين تركيباً مزجياً أو بأحداث تعديل بسيط على الكلمة نفسها، أو بإيجاد لفظة جديدة أو باستعمال نفس الكلمة أو الاسم (مرة كاملة ومرة أخرى مجزأة)، بمعنى مغاير يثير الضحك. والتكتيف عموماً، مظهر من مظاهر الإيجاز والاختصار، الذي يعكس بدوره الاقتصاد في الجهد النفسي الذي تهض به النكتة.

من أمثلة الرد بالمثل الذي يُعدُّ مظهرًا من

مظاهر تكتيف النكتة الآتية: " هذا واحد مراكشي كاليه واحد السيد إلى مامشيتي فحالك غادي نضريك حتى تدور، جاوبوا هذالك المراكشي: أنا حتى كاع تدور أونضريك والملاحظ هنا أن المخاطب (بالفتح) رد تقريباً بنفس العبارة، فتنح أمام جملة - حتى تدور - استعملت استعمالين مختلفين تمام الاختلاف. إذ إن من مظاهر التكتيف أيضاً التأويل، الذي تعطيه الفئات الشعبية لبعض الحروف، فالجيم الحمراء (ج) في سيارات البلديات والجماعات المحلية تعني " جابها الله " ، وليس جماعة محلية، وهذه النكتة تتر بدكاء عن تصورات ذلك الإنسان العامي البسيط لجملة من الدلالات.

2-2 النقل:

تعتمد مجموعة أخرى من النكت على إستراتيجية النقل والتحويل، وهو تحويل في مجرى الأفكار الناتج عن التباس وسوء تفاهم أو تفسير عكسي، وهذا ما تتقف عليه في النكت التي تتبني على الحوار، سواء أكان بين الأشخاص، أم كان مفترضاً بين الكاتب والقارئ، فقد يركز أحد المتحاورين على عنصر من عناصر الخطاب، بينما ينصرف ذهن الآخر إلى عنصر مغاير. وكمثال على النقل والتحويل نذكر النكتة الآتية.

جاء على لسان أحد الساخرين المغاربة من أن " أكبر سد في المغرب هو سد فمك " فهذا مثال على التكتيف، حيث تكررت كلمة سد باستعمالين مختلفين، ومثال النقل أيضاً: إذ ينتقل ذهن السامع بصفة مفاجئة من كلمة سد الأولى التي توجي له بعالم السدود والزراعة، حيث يتوقع أن الخطاب جاد، وأن يكون الجواب هو سد " الوحدة " أو سد آخر، غير أن بقية النكتة تحوله أو تنقله إلى معنى آخر ذي إيحاءات سياسية هو ضرورة سد الفم أو لجمه، لأنه قد يكلفه حريته في هذا البلد.

2-3 الترميز:

نجسده في النكت التي تعتمد على التلميح والاشارة أو

المقارنة التي تستند على الإضمار أو الحذف، وأغلب النكت السياسية والجنسية تعتمد على تقنية السياسة بأسمائهم. حتى إن مجرد ذكر أسمائهم يُعدُّ أفق انتظار يفتح شهية السامع، ويثير ابتسامته، ومن هؤلاء من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر.

وحاصل القول، يتضح بأن فعل التنكيت قد اعتمد على جملة من الميكانيزمات، لتحقيق المطلوب منه داخل محيطه السوسيو ثقافي. ومن ثم يصح آلية من آليات التخاطب اليومية المحملة بشحنات دلالية ورمزية وثقافية طافحة بالمعنى.

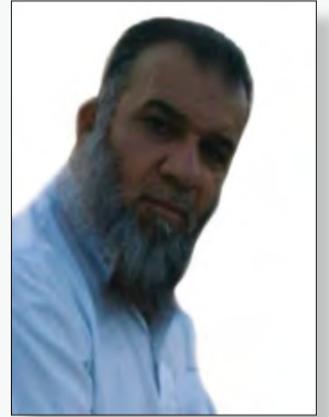
الهوامش:

- 1- هنري بركسون، الضحك البحث في دلالة المضحك، تر: سامي الدروني وعبد الله عبد الدائم، إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.
- 2- نفسه.
- 3- نفسه.
- 4- Fine . gary alain . sociological approaches to study of humour . in hand booe of hurmourresarch . volume 1
- 5- Walter mach . the language of humour le mot d'esprit et ses rapports avec l'inconscient - gallimard
- 6- أحمد الشايب، أبحاث في الضحك والمضحك



مالك بن نبي

(فقيه الحضارة)



صبري بن سلامة شاهين

الرياض

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

وصدق من قال:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فلاح

ورحم من قال:

أحب الصالحين ولست منهم

لعلني أن أنال بهم شفاعة

قال محمد بن يونس رحمه الله: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين .

ورحم الله من قال: إن أخبار العلماء العاملين والنبهات الصالحين من خير الوسائل التي تفرس الفضائل في النفوس، وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة، وتبعثها على التأسي بذوي التضحيات والعزمات، لتسمو إلى أعلى الدرجات وأشرف المقامات.

وعن مالك بن دينار رحمه الله قال: الحكايات تحف الجنة.

من أعلام الفكر الإسلامي الأستاذ مالك بن نبي المفكر الجزائري، الذي قضى حياته مجاهداً من أجل حضارة إسلامية خالدة.

ولد مالك في الجزائر عام 1905 لأسرة فقيرة، وعاش أوقات شبابه فيها، ثم انتقل إلى فرنسا، ثم مصر، ثم رجع إلى الجزائر مرة أخرى.

لم يكن مالك غائباً عن الشأن الوطني الجزائري وهو في فرنسا، حتى عندما شكّلت بعض القوى الجزائرية وفداً يذهب إلى فرنسا للمطالبة بحق الشعب الجزائري، انتقد مالك هذا الوفد، وقال: إن الحل ليس في هذا، ولكنه في ضمير الأمة الجزائرية.

وفي سبيل هذه الغاية الفكرية الكبيرة أُلّف مالك

ابن نبي كتبها، منها: كتاب: الظاهرة القرآنية، وكتاب: شروط النهضة، وكتاب: وجهة العالم الإسلامي، وكتاب: فكرة الأفريقية الآسيوية، وكتاب: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وكتاب: المسلم في عالم الاقتصاد. وكلها بالفرنسية، وقام على ترجمتها فيما بعد الدكتور عبدالصبور شاهين، رحمه الله، وقدم لكتاب الظاهرة القرآنية العلامة الكبير أبو فهر محمود محمد شاكر رحمه الله.

إن التكوين الفكري والثقافي لمالك بن نبي كان يسير في خطين متوازيين، هما:

1. التكوين الإسلامي العربي في الجزائر؛ حيث قرأ كل ما وقع تحت يده من كتب وصحف عربية وهو طالب في المعهد.
2. أتاح له وجوده في فرنسا قراءة الكثير من كتب علم النفس والاجتماع والتاريخ، وهو ما أعطاه بعداً كبيراً جداً، فضلاً عن كونه مهندساً كهربائياً يمتلك عقلية علمية جادة.

ومع أن ثقافة مالك الشرعية كانت ضعيفة، إلا أنه كان كثير التأمل في القرآن، وقد تميز مالك بشخصية عاطفية وعميقة جداً في تحليل الأفكار التي تلوح بذهنه. أما أفكاره الأساسية: فهي قائمة على فكرة النهوض.

وتقوم على أن مشكلة المسلمين هي مشكلة حضارية بالدرجة الأولى، فالحضارة عنده هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح للمجتمع أن يقدم لكل فرد من أفرادها الحاجة الأساسية الضرورية. بخلاف ابن خلدون الذي يرى أن الحضارة هي الترف الزائد.

ووضع مالك معادلة: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت. وبما أن الحضارة إنجاز لا يمكن أن يوهب أو يشتري أو يستورد؛ فإن ابن نبي أولى كل اهتمامه لتحريك الإنسان المسلم الذي يمثل بالنسبة له جوهر الحضارة

وعمودها الرئيسي نحو مواقع: الفعالية والعطاء والإنتاج؛ لأن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتماً أن نعكس هذه القاعدة، حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها.

وأن هذه المعادلة لا بد لها من مفاعل، وهو الدين، وهو الأمر الذي انتقده البعض بوصف الدين أنه مفاعل، ولكنه عنصر أساسي في المعادلة.. بل هو الأساس.

ويرى مالك أن البطاء في النهوض يرجع إلى:

أ. مبدأ اللاعنف: وهي فكرة أخذها من غاندي، وهذه الفكرة قد تتجح أحياناً في زمن ومكان معين، ولكنها تخالف سنة الصراع والتدافع، التي أشار إليها الله عز وجل في كتابه الكريم، في قوله تعالى ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ البقرة - الآية 51

ب. القابلية للاستعمار: يرى مالك بن نبي أن الشعوب العربية والإسلامية شعوب قابلة للاستعمار، ضارباً مثلاً على ذلك باحتلال هولندا- وهي بلد صغير- إندونيسيا، في حين تفشل بريطانيا- وهي دولة عظمى- في إخضاع الأيرلنديين؛ ويشير مالك إلى أسباب هذه القابلية، مرجحاً إياها إلى قلة العلم، وتوهم قوة الاستعمار، وخيانة البعض للوطن؛ وتقوم أفكاره الأساسية:

على فكرة الخلل الفكري: وهي أننا نعاني من وجود تهوين لبعض الأمور واستسهال لها، على الرغم من صعوبتها، وضرب مثلاً لذلك تهوين العرب أمر دخول بعض اليهود إلى الأراضي الفلسطينية في عام 1948، ونظرتهم إليهم بأنهم مجرد شذمة سيتم طردهم في أي وقت .

وعلى فكرة التكديس: أو كما يسميه مالك بطغيان الأشياء، وهي فكرة تقوم على أن تكديس الأشياء هو الحضارة، وهي فكرة خاطئة؛ لأن الحضارة هي تصنيع الأشياء وإنتاجها، لا استيرادها وتكديسها.

وعلى فكرة طغيان الأشخاص: وهي تقوم على أن المسلمين ينتظرون ذلك البطل الذي سيأتي ويأخذ بأيديهم وينصرهم على أعدائهم، فهم دائماً بانتظار "صلاح الدين"، لكي يأخذ بأيديهم.

وعلى فكرة طغيان الأفكار: وهي تقوم على أن البعض قد يركز على فكرة معينة أو قضية معينة، ويعطيها قدراً أكبر من قدرها الطبيعي، وليس لها وجود الآن، وهو ما أسماه مالك بن نبي بالهروب.

وعلى فكرة العقلية الذرية: وهي تقوم على أن المسلمين لا يستطيعون في كثير من المواقف أن يروا الصورة كاملة، ولكنهم يجزئونها إلى ذرات، وينظرون إلى كل جزء على حدة دون الربط بين الأحداث، فالعقلية الإسلامية كما يرى مالك بن نبي، هي عقلية مجزأة.

أما طوق النجاة عند مالك بن نبي:

فإنه يراه في: التمسك بالإيمان. وإيجاد شبكة قوية من العلاقات الاجتماعية، مثل تلك التي كانت في المجتمع الإسلامي الأول. والمطالبة بالحقوق مع القيام بالواجبات. والرجوع إلى شيء من الفطرة. وأن يكون لدينا استعداداً حقيقي للخوض في غمار تكوين حضارة جديدة. والإيمان بأن الحضارة هي التي تبني وتنتج، وليست التي تكدر.

أما المرأة في فكر مالك بن نبي:

وقف مالك من قضية المرأة موقفه من القضايا الأخرى، وقد أطلق تسمية "مشكلة المرأة" في كتابه "شروط النهضة"، وذلك انسجاماً مع منظومته الفكرية التي تدور حول مشكلة الحضارة عموماً، وللتدليل على مقدار التضخيم الذي كان من نصيب موضوع المرأة في العالم الإسلامي، سواء من أنصار التحرر الذي يصل بالمرأة إلى درجة التحلل، أم من أنصار التزمت الذي يغلق بصره أمام حقائق الإسلام.

لم يجعل مالك بن نبي مشكلة للمرأة معزولة عن مشكلة الرجل، فالمشكلة واحدة، هي مشكلة الفرد في المجتمع، فقد حاول الكثيرون، بوحى من الفكر العربي التجزيئي، النظر إلى قضية المرأة كقضية مستقلة، ومن ثم أوجدوا معركة مفتعلة بين أفراد المجتمع الواحد، ووضعوا المرأة في مواجهة الرجل، وهذه قمة التجزيئية وتشويه حقيقة الصراع الحضاري، لأنه يضع الزوجة في مواجهة الزوج، والبنات في مواجهة الأب، والأخت في مواجهة الأخ، وهلم جرا، فيتحول الصراع من صراع المجتمع ضد التخلف الحضاري والاعترا ب إلى صراع داخل المجتمع نفسه، مما يليه عن التصدي للتحديات في بناء متماسك.

إن الفهم الدقيق لروحي الحضارتين الإسلامية والغربية والاستيعاب العميق لأسسها الفكري مكننا مالك ابن نبي من الصمود في وجه الحضارة الغربية فلم يجرفه تيارها، وتحرر من عبودية ذات وقع أثقلت أو ما تزال تثقل- غالباً فكر المثقفين العرب تجاه عبقرية أوروبا وثقافتها.

إن تلك التجربة العميقة والعنيفة في الوقت نفسه، بأبعادها الروحية، والفكرية، والاجتماعية، جعلت مالك ابن نبي يعلم علم اليقين أن الإسلام بعقيدته الموحدة، وفكره المنفتح على العقل منذ بدايته المتمثل في قوله تعالى: «اقرأ» وروحه الاجتماعي من مساواة، وتضامن، وأخوة.. أقدر على مواجهة الحضارة الغربية، والانتصار عليها، ولكن المشكلة هي في المسلمين، الذين يشعرون بالدونية والنقص أمام الحضارة الغربية، وتعتشعش الانهزامية في نفوسهم أمام أي ظاهرة مستوردة.

فلم ينشغل مالك بن نبي طوال حياته بقضية غير قضية الأمة الإسلامية، فانكب على تاريخها يدرسه، وعلى حاضرها يلاحظه ويتأمله، وعلى مستقبلها



يرسم معالمه. وقد خرج من الدرس العميق لذلك التاريخ، والرصد الدقيق لهذا الحاضر بمعرفة جملة من الأمراض الحضارية التي أهدت الأمة، وانتزعت منها القيادة، وأفقدتها السيادة، وصيرتها ذيلاً بعد أن كانت رأساً، ومن هذه الأمراض التي أشرت إليها سالفاً: التكديس، الشيئية، الذرية، اللافعالية، ذهان السهولة، ذهان الاستحالة، الأفكار الميتة، الأفكار القاتلة، القابلية للاستعمار. وغيرها وكان كلما اكتشف مرضاً نبه إليه، وحذر من أضراره، ووضح آثاره.

لم يكتف الأستاذ مالك بن نبي بالتعريف بتلك الأمراض والتحذير من أخطارها، ولكنه اجتهد في وصف الأدوية الشافية منها، والسبل الواقية منها .. وما هذه الأدوية إلا تلك الكتب القيمة التي سلكها في عنوان عام هو مشكلات الحضارة. فقد وضع لهم الوجهة، ونبههم إلى مشكلة الثقافة، وفتح أعينهم على الصراع الفكري، واقترح عليهم كومنولث إسلامي، وحذرهم من إنتاج المستشرقين وأثره على الفكر الإسلامي، وبين لهم مشكلات الأفكار ومكانة المسلم في عالم الاقتصاد، وحدد دور المسلم ورسالته، وكان قد استفتح بالذي هو خير «الظاهرة القرآنية» وهي كنز المسلمين الذي لا ينفد، ودواؤهم الشال في الصدور، ومغير ما بأنفسهم، ومعيدهم سيرتهم الأولى.

هذا غيض من فيض مما لمالك بن نبي من حق علينا في إبراز فكره ومنهجه وأطروحاته، التي عاش من أجلها، وسعى لتطبيقها في واقع الحياة، فهذا يبدو بنا أن نعيد قراءة مالك بن نبي، قراءة واعية ممتدبة؛ لما في كتبه من الفكر الراقي والرحم العلمي الكبير .



هوية الكتابة النسوية

قراءة في رواية "الحب الظمآن"

ل: د. ثريا محمد علي



أ.د. أحمد يحيى علي

أستاذ الأدب والنقد، كلية الآلسن، جامعة عين شمس، مصر

إن البحث عن إجابة لهذا سؤال يقتضي السير في مسارين، الأول: الشكل، وفوقه يكون السؤال: هل تتخذ الأنتى صيغة شكلية ذات ملامح محددة لإبداعها؟ الإجابة بالطبع ستكون بالنفي؛ فإذا ما نظرنا إلى فن الرواية على سبيل المثال نجد أنه فن احتمالي قلق على مستوى الشكل/ البناء، فهو لا يتقوّل عند محدد بنائي يحاكيه المعنيون بهذا الفن، بل تفرض كل تجربة على صاحبها الشكل الذي يراه مناسباً لظهورها أمام المتلقي.

إذن يتبقى مسار ثان لعل فيه الجواب؛ ألا وهو مسار المضمون؛ هل يحمل ما يسمى الأدب النسوي قضية/فكرة، بما تبعتها نستطيع أن نقول: إننا بصدد إبداع لا تتجزه إلا امرأة؟ إن البحث عن جواب يأخذنا إلى بدايات ظهور هذا التيار في الكتابة الذي عُرف في الغرب بـ (Feminism) الذي عُني في الأصل باهتمام المرأة بحضورها إلى جوار الرجل، وعلاقة هذا الرجل بها ووضعيتها وحضورها بإزاء وجوده، ونظرة إليها وما تحمله من سلبيات؛ كما هو الحال على سبيل المثال في "الباب المفتوح" للطيفة الزيات، و"فرج" لرضوى عاشور؛ ومن ثم يكون السؤال: هل كل إبداع تقدمه المرأة يركز في معالجته على هذه القضية يمكن أن نطلق عليه أدباً نسوياً؟ فماذا لو قدم رجل متعاطف مع المرأة ومنحاز إلى جانبها في مقاومة سلطة ذكورية لها مثالبها تجاه هذا المؤنث نسقاً إبداعياً يتناول هذه المسألة، هل يمكن أن نسمي ذلك أدباً نسوياً؟ إن تحديد سمات واضحة تمنح هذا الإبداع الذي ينضوي تحت مسمى (feminism) هوية مميزة يبدو أنه أمر متعذر الوصول إليه على الأقل في الظرف الزمني الراهن؛ بغضاه مع ظهور إبداعات لمبدعات تهتم بقضايا السياسة والمجتمع، مثلها مثل الرجل دون أن الانتقاه إلى وضعية المرأة في علاقتها بالرجل ووضعها في قصص اتهام ومحكمة، كما هو الحال على سبيل المثال في "بيروت 75" لغادة السمان، و"ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور.

الحب الظمآن: سلطة العنوان وتشكيل النص إن رواية الحب الظمآن للأستاذة الجامعية ثريا محمد علي التي

تعمل في حقل الأدب بقسم اللغة الفارسية بكلية الألسن، جامعة عين شمس، ويمثل هذا العمل باكورة إنتاجها الروائي تضع نفسها منذ العتبات الأولى؛ أي صفحة الافتتاح وكلمة الغلاف في منطقة الكتابة النسوية التي تحيل إلى مرحلة البدايات؛ أي الإبداع الذي قدمته امرأة، ويضع الرجل في خانة الإدانة في نظره إلى المرأة، التي يبرهن عليها سلوكه تجاهها؛ فحديث الغلاف الذي تخاطب فيه الكاتبة كل امرأة متزوجة لتتنظر إلى ما قد يتفق مع واقعها في هذا المتن الحكائي، يعني أننا بصدد صورة مجازية كلية عبارة عن مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ تطلق فيه الكاتبة عبر صوت الراوي الجزء/البطلة نجمة في حياتها مع الرجل/فرجاني البتانوني، وتحيل إلى كل كائن في عالم الواقع على اتساعه، فيه كل امرأة شرقية تجد أوجها للتشابه بين حياتها وحياتة نجمة بطلة عالمها الفني.

إن صيغة العنوان "الحب الظمآن" التي تعبر عن تركيب وصفي تضعنا على مستوى الشكل أمام ناقص لغوي، نصف جملة بحاجة إلى إكمال، ولا ندري هل الناقص يجعلنا أمام تركيب اسمي، أم فعلي؟ المهم أن النقص على محور الشكل يأخذنا كذلك إلى ناقص على مستوى المعنى؛ إن الظمآن نقص، احتياج، ألم، حالة تسافر بنا إلى حقل الماء وما يعلق به من دلالات الحياة والرّي، هذه الحالة المأساوية المتصلة بالبدال "الظمآن" تسكننا في منطقة الواقع، في منطقة الأزمة، الكبد الذي يسم حياة الإنسان عموماً مذكراً ومؤنثاً في هذا العالم؛ فإذا كان الحب يمثل حالة فردوسية تتصل بعالم النعيم والمثال، وتعرج بنا إلى منطقة الجنة، فإن النعت "الظمآن" يفرض توازناً لا بد منه نوعي المتلقي الذي عليه أن يعيش عالمه ويتابع منطقة الفن هذه بعيداً عن وهم لا يجب عليه الاقتراب منه.

ويتخذ هذا الظمآن لنفسه مطايا فنية يتحرك فوقها في داخل هذا العالم الفني؛ فتجمة بطلة الرواية تقص علينا من موقع الجدة التي جاوزت الستين حكايتها؛ بوصفها فتاة حاملة بفارس أحلام يحقق لها ما تصبو إليه كل أنثى من

معاني الأمن الاستقرار والتحقق؛ بوصفها إنساناً له روح وجسد، لا بوصفها جسداً أو متاعاً يتعامل معه المذكر/الرجل على أنه أحد ممتلكاته، أو بمعنى أدق يتعامل معه بوصفه نصف إنسان أو جماد؛ إن هذه الجدة الحاكية داخل الرواية بضمير الغائب (هي) تأخذنا في مسار زمني ممتد يبدأ من مرحلة الطفولة وبيت أبيها وأمها الذي يمثل وعاء دافئاً حاضناً لها لا يدوم طويلاً، بل يتلاشى مع غياب الرجل/الأب بوفاته في حرب الاستنزاف، ودخول الفتاة نجمة عالماً جديداً، هوييت الزوجية الذي آلت إليه من بوابة الجامعة وتعرفها إلى شاب يُدعى فرجاني البتانوني.

إن الحدث الروائي ينتقل بنا عبر الصوت الحاكي بضمير الغائب (هي) المعبر عن البطلة نجمة بما ينسج خيوط عالم سردي، فيه يبدو ساطعاً معنى الظمآن/النقص/الفتق؛ إن نجمة ظمآنة إلى أب يحنو عليها غاب بالموت في حرب الاستنزاف، ولم يستطع الرجل/الزوج أن يعوض هذا الغياب؛ لأنه على مستوى القيمة والسلوك يمثل في وضعيته الدرامية دلالات الانحراف الخلقي والخيانة والطمع؛ إن الرجل/فرجاني البتانوني زوج نجمة يتحول مع القارئ من كونه طالباً إلى كونه زوجاً ومعيداً في الجامعة، ثم أستاذاً جامعياً يترقى في المناصب ليصير عميداً لكليته، وهذه مفارقة يطرحها عالم الرواية في معالجته لشخصية المنوط بها أداء أدوار تربوية إصلاحية في داخل سياقه الاجتماعي، نراه يقدم قدوة ليست للاتباع، ولكن للنفور والمخالفة والهروب؛ إنه نموذج للزوج غير المعني باحترام زوجته ولا المهتم بشأن أولاده (سارة ومحمود) ولا المحافظ على زوجته في غيابها وحضورها، يمارس علاقات غير مرضي عنها دينياً أو اجتماعياً مع نساء يشغلن موقع الضحية بالنسبة إلى سلوكه المشين معهم.

إن الرواية المكونة من ثماني عشرة وحدة سردية تجعل من الوحدة الأولى منها بمثابة أساس فني تتكئ عليه باقي وحداتها؛ فمن حوار ديالوجي يجمع الابنة سارة بأبها، ويحمل في مضمونه حديثاً موجهاً من الابنة لأبها عن حزنها البادي عليها تبدأ ملامح هذا العالم في التشكل من خلال آلية مسرحية هي (one man show) عندما تلتفت البطلة من ابنتها إلى جمهور بانتظار حكيها خارج النص تُسمعه شكواها، هكذا تتولد وحدات الرواية السبعة عشرة من هذه الآلية في عملية سردية سمتها الاسترجاع (Flashback)، وفي طقس رومانسي يصدر إحساساً مقصوداً بالعزلة والافتراق اللتين تعاني منهما البطلة/نجمة.

إن الراوي في "الحب الظمآن" يقدم المؤنث/نجمة، والمذكر/فرجاني البتانوني بحالة واحدة يعبر عنها بضمير الغائب، (هي) بالنسبة إلى المرأة، و(هو) بالنسبة إلى الرجل، وفي الغياب أزمة، فالبطلة غير متحققة، تشعر بالفقد، فكان هذا الغياب انعكاساً لوضعيتها، والرجل ليس جديراً بمقومات الرجولة الحقيقية، التي تعني التقدير والوفاء والرعاية بمعناها الحقيقي؛ لذا يأتي تغييبه أمراً منطقياً مبرراً من وجهة نظر فضاء الرواية.

إن الظمآن في العنوان يتمدد إذا ما نظرنا إلى البطلة



نجمة؛ فمن فقد حنان الأب، إلى فقد الأمن والرحمة والوفاء والتقدير مع الزوج، وفي مرحلة من المراحل نجد الظمآن يتجلى في فقد الوطن بالرحيل للعمل تحت قهر الزوج واستبداده في بلد عربي؛ هكذا تقص علينا الأستاذة الجامعية/نجمة في طرحها لتجربتها المأساوية، فيها مؤنث (مفعول/ضحية) نتيجة (فاعل/جان/مستبد) هو فرجاني. ولا يتوقف الظمآن عند المرأة البطلة فحسب، بل يتعدى إلى كيانها الأسري الذي أنكرت ذاتها من أجله، ولم تشأ أن تتحاز لحملها بالزوج مرة ثانية بفارس ورجل حقيقي، وفضلت أن تعيش مقهورة مع رجل لا يعرف للرجولة الحقيقية سبيلاً؛ إن ولديها (سارة/محمود) يشعلان بالظمآن لأب يحنو عليهما وعلى أمهما، ثم نجد الظمآن بعد ذلك ينتقل إلى طبقة الأحماد، وفيها نجد الطفلة مئة الله ابنة سارة، التي ترى فيها البطلة الجدة مستقبلاً تمنى حصوله، مستقبلاً فيه المرأة تعيش عالماً يمنحها قهرها ويعطيها قدرها في ظل بيئة قيمية تعلي من شأن كل ما هو جميل في الفكر والسلوك في رسم علاقات صحية تجمع طريفة الثنائية الإنسانية (الرجل والمرأة).

ولا غرابة في أن نجد حالة من التناص تجمع البطلة في هذه المحاكمة السردية التي تعدها لمجرم ينتمي إلى فئة الرجال مع آسيا زوجة فرعون؛ إننا نجد نجمة كلما ضاق بها حالها واشتدت أزمته تكرر هذه العبارة الأثرية "اللهم ابن لي قصرًا عندك في الجنة" في استدعاء للصابرة آسيا زوجة فرعون التي كانت تردد وهي في شدة العذاب هذه الآية في سورة التحريم "رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْتِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ".

إن الكاتبة ثريا محمد علي في حالة من التعاطف الشديد مع بطلتها، هذه الحالة كان لها سطوعها الفني، عندما نجد أن بطلة روايتها تسمى "نجمة" ولا يخفى ما بين نجمة وثريا من علاقة ترادف على مستوى المعنى، ليس ذلك فقط بل إنها في تشكيلها للبطلة عبر الراوي المقدم لمنظومة السرد قد جعلت من نجمة أستاذة جامعية هي الأخرى، بما يرسخ لهذه الحالة من الاقتراب النفسي والوجداني بين ما هو

كائن في الواقع وما هو ساكن في الفن.

ويبدو أن جو المأساة الذي يفرض نفسه على طقس هذا العالم الفني التابع من هذا الفاعل في العنوان الذي يمثله الدال "ظمآن" يبقى حتى نهاية هذا العالم؛ فالبطلة تدخل إلى غرفة العناية المركزة مصابة بأزمة قلبية حادة؛ إذ كانت قبل ذلك تعاني مرضاً في القلب؛ وكان الداء النفسي المتمثل في فقد الحب قد استحال إلى داء عضوي فأصبح القلب ذاته ذاك العضو الجسدي مريضاً يعاني، ولا ندري حتى السطر الأخير في الرواية الذي تتادي فيه مئة الله الحفيدة وابنة البطلة سارة بلهفة وحزن على الأم والجدة نجمة ما المصير؟ هل ستموت؟ هل ستحيا لتستأنف نشاطاً جديداً ملؤه ابتسامات ظاهرة وحزن دفين على عالم لم تعيشه؟ الأمر في كلتا الحالتين يقود إلى ختام مفتوح يرسخ لأزمة واقعية ما تزال قائمة على حالها لم تتغير مظاهرها.

وأخيراً؛ إن الكاتبة عبر الراوي الحاكي حرصت بذلك منها ألا يبدو في عالمها هذا ما يشير إلى ما يمكن تسميته بتطرف الرؤية، الذي قد يدفع إليه هذه الشيطنة للرجل الذي يشاركها البطولة/فرجاني البتانوني وإظهاره من أول الرواية حتى آخرها في ثوب القاهر المعتدي؛ لذا نجد أن ثنائية (الرجل والمرأة) في هذا العالم الفني متنوعة في ظهورها بين سلبية كانت فقط مقصورة على الزوج فرجاني، وفي مقابلها وجدنا طقساً مثالياً بصورة طيبة يبدو عليها رجال، مثل: أخو البطلة صالح، والابن محمود، وزوج البنات سارة، كل هؤلاء يشغلون موقع الرجل الطيب في مقابل الرجل الشرير فرجاني، وفي الوقت نفسه يشكلون أدوات فنية تعتمد عليها الكاتبة في تدشين صورة متوازنة تحرص على ظهور هذا العمل بها.

وانسجاماً مع مفهوم الهوية يحاول هذا العالم السردى شأنه شأن غيره من العوالم الإبداعية عموماً أن يصنع لنفسه ما يمكن أن تطلق عليه معجماً خاصاً يبرز رؤيته لبعض المصطلحات التي وردت فيه وفق فهم فني يوازي المعارف عليه في المعاجم التقليدية؛ فالظمآن عند ثريا محمد علي لا يعني العطش والحاجة الماسة إلى الماء، بل يعني الفقد الذي يتسع ليشمل: الأب، الزوج الطيب، الوطن. والرجولة الحقيقية هي أن ينهض كل رجل بأعباء المسؤولية الملقاة على عاتقه في احتواء زوجته، والحفاظ عليها، ومنحها التقدير الذي يليق بها بوصفها إنساناً، والحرية وفق تجربة نجمة تبدو ساطعة في قدرتها على التخلص من سطوة فرجاني ومواجهته والابتعاد عنه بعد أن كبر ولداها محمود وسارة وأصبحتا قادرين على فهم ما تعانیه أمهما، هذا التحول النوعي لحق به تحول مادي تمثل في طلاق نجمة من فرجاني ورحيلها عنه بمعونته ابنتها محمود؛ إن الهوية تنتقل من عام إلى خاص إلى شديد الخصوصية؛ فمن المدلول (الخصوصية) تسافر مع المبدعة ثريا محمد علي إلى ما يسمى بالأدب النسوي، ومن الأدب النسوي الذي يحاكم رجلاً إلى تجربة خاصة جداً تعد مثلاً عليه، هي هذه التي تتجلى جمالياً في ثنائية (نجمة وفرجاني البتانوني).



دلالة البنية الروائية ومدلول النص ..

قراءة سييسيو تاريخية لرواية (نساء القاهرة. دبي) ل: ناصر عراق



عوني عبد الصادق

مصر

يُعد رولان بارت أهم من وضع مفاهيم التحليل البنيوي، هذه المفاهيم التي أسست أدوات تحليلية، أُنقت الضوء على الكثير من أسرار السرد الروائي، وفسرت مع التطور المتلاحق الكثير من كيمياء الإبداع في لحظة التخلق الدافئة، لحظة الكتابة المبدعة، هذا على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فتعدُّ "الرواية الحديثة تعبيراً عن وعي فني متطور، وتجسيداً لمفاهيم أدبية ونقدية جديدة تتصل بوظيفة الرواية وماهيتها وصلتها بالواقع وعلاقتها بالمتلقي، فهي بنية أدبية متميزة تتكون نتيجة للتفاعلات الذاتية (طبيعة العناصر الروائية وتفاعلاتها) والتفاعلات الموضوعية (علاقتها بالواقع والتراث المحلي والعالمي وعلاقتها بجمهور القراء)¹ ورواية "نساء القاهرة. دبي" تعبير صادق عن هذه الرؤية فهي تحكي عبر فصولها السيرة الذاتية لامرأة (سوزان صبحي ميخائيل) وقد اختار الكاتب أن يسرد حياتها وهي تحت ضغط غيبوبة عميقة، بما يوحي بأن كل الاستدعاء الحر للبطلة على لسان الكاتب هو مكنون النفس، وتعبير صادق عن الذات، هذه السيرة التي تبدأ منذ وصول نيا استشهاد والدها العقيد (صبحي ميخائيل) وهي طفلة خضراء في حرب 6 أكتوبر 1973، في نفس يوم وفاة عميد الأدب العربي طه حسين، (28 أكتوبر 1973) والعلاقة الفكرية والروحية العميقة التي تربطه بجدها جرجس الذي تتلمذ على يديه في كلية الآداب جامعة القاهرة. وقد عُلقت صورة تجمع عميد الأدب العربي مع طلاب

دفعته ويظهر بينهم الشاب جرجس، ووضع إلى جوارها صورة الشهيد صبحي ميخائيل، هذه الصورة التي شكلت وجدان سوزان وكان السبب فيما آلت إليه حياتها، وحدد خياراتها التي وصلت بها إلى إصابتها بغيبوبة عميقة، لتستقر في مستشفى الوصل بإمارة دبي، حيث تقيم وتعمل مديرة قسم الديكور في تلفزيون دبي، منذ محاولتها الأولى لرسم بورتريه لأبيها الشهيد، وقد خاضت في غمار البحث عن ملامح أول رجل (الأب الشهيد) في حياتها رحلة طويلة، حاولت اقتناص لحظات الحب والسعادة بكل طاقتها، فشلت في الكثير منها ولكنها تمسكت بصدق المحاولة حتى النهاية. وتعد الشخصية المحورية (سوزان صبحي) في الرواية - فضلً الكاتب - أو اختارت (لحظة الفعل الروائي) أن تتم القراءة النفسية لشخصيتها من خلال شخصية أمها إنصاف جرجس، هذا الخيال كما حدد دوره بدقة كولردج هو أن يختار الكاتب لكل شخصية من الشخصيات الملامح المتقابلة والمتعارضة. بحيث يعيد كل ملمح كأنه حجر يضاف إلى بناء الرواية الكبير..

هذه الحيلة المتميزة حققت أكثر من وظيفة، أهمها وضع خلفية تاريخية عن حقبة شهدت تحولات ضخمة في تركيبة الشخصية المصرية بشكل عام، وتدور أحداث الرواية في جزء كبير منها في حي شبرا الفارق في المحلية والممثل للطبقة الوسطى، وفي ظرف تاريخي بعد نكسة 5 يونيو، وضع الطبقة الوسطى أمام تحديات ضخمة، كانت تضرب في أعمدها الصلبة، والمتمثلة في منظومة

التعليم، وقد دشن هذا الهجوم على مؤسسة التعليم بمسرحية (مدرسة المشاغبين) في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، واكبه نشر أفلام المقاولات وأغنيات وأصوات شعبية رديئة التعبير وتعيية المعنى، ويعد التعليم هو الوسيلة الشرعية والمتاحة للقراء للرفي الاجتماعي، وتحقيق الذات وإثبات هوية الانتماء .. وقد جاءت الإشارة الذكية من الكاتب إلى طه حسين صاحب المقولة الأشهر .. التعليم حق للجميع مثل الماء والهواء، ولعقله المستنير الذي كان يطل علينا عبر الأثير بصوت متميز "لغتنا العربية عسر لا يسر ونحن نملكها كما كان القدماء يملكونها ولنا أن نضيف إليها .."

تعد إنصاف جرجس مدرسة التاريخ في مدرسة شبرا الإعدادية للبنات، ممثلة للطبقة الوسطى، في الطرف التاريخي الأخطر وبالظروف التي أحاطت بها، موت زوجها وهي في ريعان شبابها ويؤم أولادها وضعها أمام التحدي، وتركها عرضة للتحرش والطمع من حنالة ستسود بعد سنوات قليلة، ممثلة في موريس أنفونس (أمين المعلم في نفس المدرسة) والذي سيسبح في ماء الفساد الذي انتشر كالفيضان، ويصل به إلى مجلس الشعب رقيقاً لتاجر عتيد من تجار المخدرات (حسن بصله) ليؤسس مرحلة لا تزال تضغط علي حياة المصريين حتى الآن .. لحظة بدء الرواية بأحداث محمد محمود "الاثنين 21 / 11 / 2011 الخامسة عصرًا" ولأن "الرواية الحديثة" تسعى إلى التعبير عن العلاقات الاجتماعية القائمة، تمثلها علاقة انعدام التوافق بين سوزان وزوجها فؤاد مسيحة والموقوف في قسم الشرطة لانهامه بجريمة قتل شاب هندي، هذه العلاقة التي لا جدوى منها والذي عرفها فيلسوف العبث (ألبير كامي) بأنها انعدام التوافق بين الفرد من ناحية والعالم من ناحية ثانية "والرجل يمثل لسوزان صبحي العالم، وتهدف الرواية الحديثة إلى التأثير في القارئ عن طريق تقديم "الحقائق النوعية الفنية" بصورة مقنعة . ويحدث في الغالب التركيز والسعي إلى تجسيد مبدأ مهم من جماليات التلقي يتمثل في الإيهام بالواقعية"².

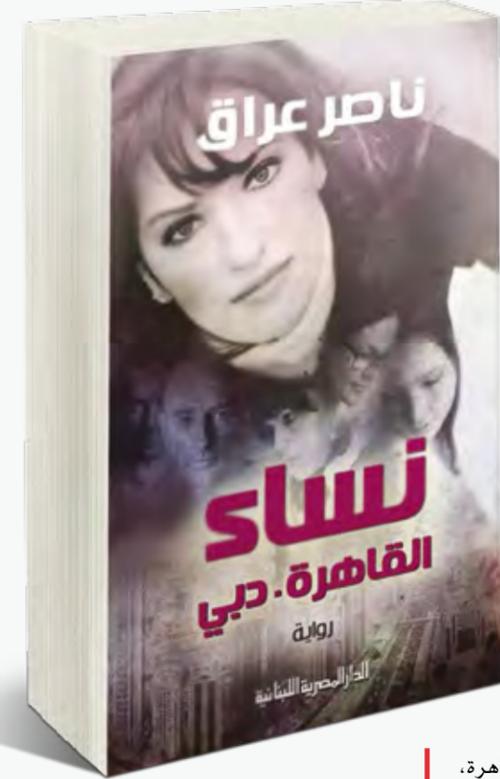
وتظهر العلاقة الجدلية في الرواية، بين الواقع والخيال منذ البداية بأحداث محمد محمود، وبالحدث عن أحداث 18 - 19 يناير 1977 عندما نزل الجيش لحماية الشعب، وما إن رأت سوزان الدبابة في دوران شبرا، تذكرت زيارتها لمعرض الغنائم بعد حرب أكتوبر، وجاءت زيارة السادات لإسرائيل، لتأكيد واقع جديد فرض شروطه على الجميع، "ولم تصدق إنصاف أستاذة التاريخ هبوط السادات مطار بن جوريون، وجلس أبوها جرجس مذهولاً. وسألته: هل يمكن أن يحدث سلام بيننا وبين من قتلوا صبحي؟! هذه العلاقة النوعية بين الرواية والواقع، وقد لا يعيننا هنا الدخول في تفاصيل هذه العلاقة بمقدار ما يعيننا استخلاص الدلالة الكلية في تصميم الرواية الحديثة وأهدافها من خلال علاقتها

بحركة الواقع/ لعالم"³، وخير من يمثل هذه العلاقة شخصية سيد بن حسين البقال الذي يسافر إلى العراق ويختفي ليظهر بعد سنوات بهيئة غريبة بعد انضمامه إلى المجاهدين الأفغان، ورمي أصدقاء أبيه (جرجس ومرقص ومرسي) بالكفر ويختفي من الحارة ليظهر مرة أخرى بعد ارتكابه لجريمة قتل السياح في الأقصر، يقبض على أبيه ويعود ليلفظ أنفاسه بعد يومين ..

لا حكي دون وظائف كما يذكر فلا ديمير بروب في كتابه (مورفولوجيا الحكاية الخرافية) ربما أن وظائف الشخصية الدراماتيكية من الأجزاء الأساسية للحكاية، "ومهمة الفن الروائي هنا تكمن في إثارة الأسئلة والإجابة عن أسئلة أخرى، وهو قادر على فهم العالم وتفسيره وتغييره والسيطرة عليه"⁴. ويقسم رولان بارت الخطاب السردى إلى وحدات. ويرى أن الوحدة تتألف من كل مقطع من الرواية، ويسهم ذلك في الرواية الحديثة على الإسهام في إيجاد علاقات جديدة (علاقة سوزان ودكتور عزت محمود أبو النيل، الذي يتلقى تليفون يخبره باستشهاد ابن شقيقه في أحداث محمد محمود، فيودعها ويعود إلى القاهرة، ويستقر في ميدان التحرير لعلاج الجرحى، وعندما تلقت تليفون من صديقها القديم وزميلها في الحزب اليساري (محمد وجدي) يخبرها بأن د/عزت قد تلقت عدة رصاصات استقرت واحدة منها في عينه اليسرى، وحمل إلى القصر العيني بين الحياة والموت، تسقط سوزان مغشياً عليها .. وتشعب العلاقات بين شخصيات الرواية، فيليب/جيسيكيا، مادلين/منير سامي، محمود محروس/ الفلبينية شيماء) فهي تصدر عن وعي جمالي يتخطى حدود الوعي السائد، ويتجاوزها إلى آفاق جديدة"⁵. أن التفاعل بين الحدث والشخصية يؤدي إلى نمو الأحداث وفق مبدأ العلية أو السببية، وكل هذا يؤدي إلى التوازن في العلاقة بين الحدث والشخصية والزمان والمكان، وتأتي تقنيات الرواية الحديثة لتبني لرؤيتها ووظيفتها وتؤدي الأساليب السردية دوراً رئيسياً في توازن البنية الروائية برممتها، والاهتمام بالتفاصيل والجزئيات وتصوير نثرية الحياة التي تبدو دالة داخل الإطار الفني للرواية⁶ وقد اعتمد الكاتب ناصر عراق على خبرته التشكيلية في رسم الشخصيات، وساعدته خبرته السينمائية على استخدام تقنيات القطع السينمائي، ونثر قطرات الزمن السردى عبر الفضاء الرواية، تقديماً وتأخيراً دون أن يفقده ذلك القدرة على التشويق مستخدماً تقنية الفلاش باك.

الهوامش

1-6 أنماط الرواية العربية الجديدة .. تأليف د. شكري عزيز الماضي



هذا الخيال كما حدد دوره بدقة كولردج هو أن يختار الكاتب لكل شخصية من الشخصيات الملامح المتقابلة والمتعارضة. بحيث يعيد كل ملمح كأنه حجر يضاف إلى بناء الرواية الكبير..

بلاغة التصوير في نثر الجاحظ

"صورة المرأة في رسالة القيان"



فهد أولاد الهانني

أستاذ باحث - المغرب

لقد أجمع النقاد والدارسون، لما خلفه الجاحظ من نصوص نثرية، على أن هذه النصوص تكتسب قيمتها الأدبية مما يتسم به نثرها من قدرة على التصوير وبراعة في التعبير عن صغائر الأشياء وغرائب السلوكيات، ولعل ذلك ما جعل طه حسين يفسر أدبية كتاب "البخلاء" بمعيار "التصوير الدقيق الذي لا يقاس إليه تصوير¹؛ بيد أن نثر الجاحظ لم يكن ليوجد لنفسه هالة بلاغية متميزة لو لم يستجد سمات فنية تتأى بجماليتها عن سلطة الشعر، وتفتح لنفسها آفاقاً تخرج بلاغة النص من الحدود الضيقة التي طالما انحسرت في جزر جمالية معزولة تحدها أبواب من التشبيه والاستعارة وعموم المجاز، لتتجاوز ذلك إلى حدود أرحب تجعل النثر يستند في رؤيته البلاغية على سمات جمالية تنقاد لمسلمة "الوعي بالجنس" (générique Conscience) وتبني في المقابل ملامح النثر الأدبي الجميل.

ففي رسالة القيان يكشف النثر عن رهان بلاغي يتقصد الجاحظ من خلاله بناء أسس مناقضة لأصول الشعر العربي القديم²، وهو بذلك يتحدى بنثره بلاغة الشعر التي عنيت بتصوير مفاتن المرأة ومحاسنها، دون أن تخوض في تصوير أفعالها وسلوكياتها؛ من هذا المنطلق تغدو رسالة القيان بمثابة صراع من الكتابة الأدبية التي تسعى إلى الانتصار على ما ألفه الذوق النقدي القديم من بلاغة تولى زمام ريادة الشعر، وحاول غير ما مرة أن يقدم أيقونة المرأة في حلة من التصوير الجسدي الذي لا يغادر ما تقع عليه الحواس وما تقف عنده العيون. غير أن

الجاحظ اتخذ من رسالته هاته مدخلاً إبداعياً سخر من خلاله نثره الأدبي لمنازعة الشعر تلك المكانة التي طالما حظيت برضا النقاد القدامى واستحسانهم، وهو إذ يعلن عن هذا النوع من التحدي يثير في ذهن المتلقي إشكالات أهمها: إلى أي حد استطاع نثر الجاحظ، في تصويره للنماذج البشرية؛ أن يتخلص من سلطان التصوير الشعري، ويبني في المقابل قواعد مغايرة للتصوير في النصوص النثرية؟ وهل استطاعت رسالة القيان أن تخرج صورة المرأة من حيزها التقليدي "الصورة الجسد" إلى حيز أغرب يتمثل في "الصورة الفعل"؟ بحيث يسترد النثر ما تم تقييده من جوانب في شخصية المرأة التي يأبى الجاحظ اختزال أوثقها في فتنة الجسد ومحاسنها.

1- ومضات من رسالة القيان:

رسالة القيان هي إحدى رسائل الجاحظ في مجموعة "داماد" التي اعتمدها المحقق عبد السلام هارون، وعنوانها "كتاب القيان"، وهو كتاب دعا من خلاله الجاحظ إلى الخروج عن الأعراف والتقاليد في معايشة النساء، مدافعاً بذلك عن حضور المرأة في النظام الثقافي العام. لأن في هذا الحضور حضوراً لبلاغة المرأة وثقافتها وسحرها، واستشهد لذلك بنوادير النصوص والأخبار، وعرج؛ بما وهب من قدرة على الملاحظة ودقة في الوصف؛ على وصف عالم القينة وثقافتها، ورصد بلاغة تأثيرها في نفوس "الربيطين"، دون أن يغض الطرف؛ وهو الخبير بتصوير خبايا النفوس ودقائق الأشياء؛ على ما يفعله

الفناء بنفوس المستمعين وما يوقده "الجمال" من مشاعر الحب والعشق والغرام، وقد سخر أبو عثمان رسالته لتصوير خلال "القينة" الساحرة بكلامها، المألقة قلوب العشاق بفنائها، راصداً بذلك طبقة اجتماعية أفرزها التمدن الحضاري في المجتمع العباسي، حيث كان لحياة البذخ والترف والنعيم التي رسا عليها المجتمع في ذلك العصر الدور الأساس في نشوء فئات مهمشة وروابط اجتماعية متباينة، تلقفها نثر الجاحظ بكثير من التصوير والوصف والتحليل.

والناظر في كتاب (القيان) يقف به نظره على أن الكتاب هو رسالة موجهة من "مقيتين"³ ذكر الجاحظ أسماءهم في صدر رسالته، وأسبغ عليهم أوصاف الإخوان "المستمعين بالنعمة، والمؤثرين للذة، المتمتعين بالقيان والإخوان"⁴، وهم أناس تربطهم أواصر التمتع بالجمال وتحكمهم تجارة الجوارى والقيان، ولذلك تناقضوا في الدفاع عن "أنفسهم وفرض تجارتهم حتى لا تبور سلعتهم، وحرصوا على دفع الناس إلى وصفها تجارة حلالاً، إذ لا نص يحرمها في اعتقادهم، ولا حديث ينكرها"⁵. فمن هؤلاء المقيتين وجهت الرسالة إلى "أهل الجهالة والجفاء، وغلظ الطبع، وفساد الحس"⁶ الذين ينكرون نعمة القيان، وينتصرون لإنكارهم بدليل من القرآن أو الحديث الشريف.

لقد جعل الجاحظ من رسالته فضاء يتعاور في فقراته قضية نزاع فقهي بين فريقين متعارضين، أولهما يؤمن بجواز اختلاط المرأة بالرجال ومجاداتهم، والثاني يرفض هذا الاختلاط ويحرمه؛ ونتيجة هذا التباين في المواقف والاختلاف في القناعات طغى على الرسالة؛ بالإضافة إلى المقصدية الأدبية الإمتاعية؛ المقصدية الحجاجية التداولية التي شكلت ملامح بلاغة الرسالة ورافداً من روافد خطابها.

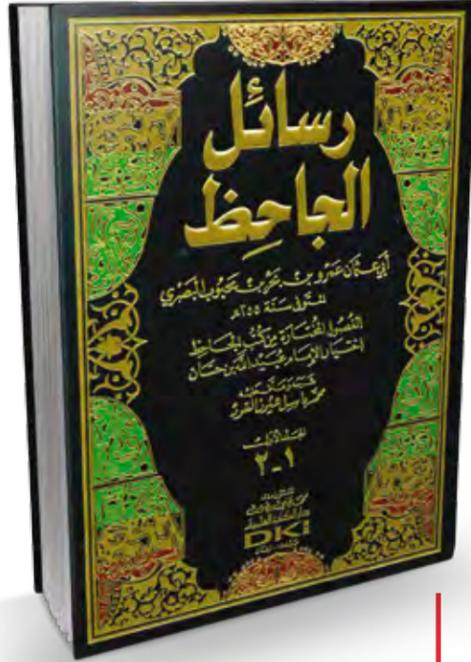
إن رسالة "القيان" فن من الكتابة النثرية تم تسخيرها لتصوير عالم "القيان" بكل متعلقاته النفسية والاجتماعية والثقافية. وما هؤلاء القيان إلا إماء "يحسن الرقص والمداعبة والغناء"⁷ وتكفيهن في ذلك شهادة الجاحظ الذي أقر بأن الواحدة منهن تشأ "من لدن مولدها إلى أوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث وصنوف اللعب والأخانيث وبين الخلاء والمجان، ومن لا يسمع منه كلمة جد، ولا يرجع منه إلى ثقة ولا دين ولا صيانة ولا مروءة"⁸، هكذا استوى عالم القينة على خلال من اللهو والمجون والإغراء، وانعقدت نتيجة لذلك روابط مهنية لم يكن للمجتمع العربي إلف بها ولا عهد، فالتأم شمل "القيان" في رابطة اجتماعية تجمع كلا من "القيان" و"المقيتين" و"الربيطين" حتى غدا التقيين "صناعة كريمة شريفة"⁹ تلي حاجات من عشق القد الجميل، وسلم مهجته برمية من لحظ ودعابة من تبسم، فأوقعه ذلك في حبال الهوى وانقاد إلى غواية القينة

بسحر كلامها وعقيرة حلقها. والظاهر مما سبق أن الجاحظ في تناوله لهذه الطبقة من النساء لم ينطلق "من تجربة غزلية ذاتية، ولم يصف قينة بعينها، بل انطلق من ظاهرة حضارية عامة"¹⁰، ودليل ذلك أن الرجل لم يختار للقينة "التي يصفها اسما من الأسماء"¹¹، فقال "إن القينة لا تكاد تخالص في عشقها، ولا تتأصح في ودها لأنها مكتسبة ومجبولة على نصب الحباله"¹²، وكأن الجاحظ يروم تصوير نموذج إنساني ترتد إليه خلال القيان جميعهن. وتقف عند بابه أفعالهن.

لقد شكلت رسالة القيان مرتعاً فسيح الصفحات نثر من خلاله المؤلف ملامح بلاغته الرحبة، وضمنه ما يؤمن به من رؤى ثقافية وفنية واجتماعية، حتى صارت؛ بما حظيت به من شهرة؛ قبلة كل أديب، ووجهة كل بليغ شغفه من الكلام سحر وصفه وبراعة تصويره ومنطق احتجاجه.

2: صورة المرأة في نثر الجاحظ: 1-2: المرأة البليغة:

لم يخل الشعر العربي القديم من قصائد شعرية تناولت بالوصف والتصوير صورة المرأة الجسد، بوصفها أيقونة تبعث على المتعة والتسلية، حيث عرج كثير من الشعراء على تقصي أوصافها الجسدية، وأسهبوا في وصف محاسنها الفاتنة، التي جعلت منها رمزاً يدل على ما تبوح به الطبيعة من جمال أخاذ، ولم يكن الشعر ليستر هذا الوصف الذي أرخى ظلاله على جسد المرأة دون روحها وفعالها، حتى غدا بذلك ظاهرة فنية يتلمسها النقاد في أغراض فنية من قبيل الغزل والتشبيب وغير ذلك، فكان من الطبيعي والحال هاته أن يزخر تراثنا الشعري بشعراء كبار عرّفوا بعمية من أسماء صوحيباتهم، واستقرت صورة المحبوبة الجميلة موضوعاً للشعر عند طائفة منهم، إلا أن هذه الصورة لم تحد في تكوينها عما تتصف به النساء من جمال فتان "في الوجوه النيرة، والمحاسن الرائعة المعجبة، والصور المليحة الأنيقة، واعتدال التركيب، واستقامة التدوير، وسبوبة الشعر وجزالة الفروع، وجعودة الغدائر واسترسالها على المتون كالأشطان، ونجل العيون وحور الأحداق وبرج المقل وأسالة الخدود"¹³ وغير ذلك مما لهجت به خواطر الشعراء، وجادت به قرائحهم في التصوير، حتى ليخيل إلى دارس الشعر القديم أن الباعث على قول كثير من قصائده ما للمرأة من جمال ساحر يخلب أبواب الشعراء ويأخذ بتلابيب إبداعهم. وحسي من ذلك أن معظم هؤلاء الشعراء¹⁴ وقفوا في وصفهم على مفاتن المرأة ومحاسنها أكثر مما وقفوا على خلالها النفسية، وأفعالها التي تعكس أحوالاً من طبيعتها وشيماً من سلوكياتها وتصرفاتها، فهذا ذو الرمة يصف الجمال المادي لحبيبته فيقول:



وقد سخر أبو عثمان رسالته لتصوير خلال "القينة" الساحرة بكلامها، المألقة قلوب العشاق بفنائها، راصداً بذلك طبقة اجتماعية أفرزها التمدن الحضاري في المجتمع العباسي، حيث كان لحياة البذخ والترف والنعيم التي رسا عليها المجتمع في ذلك العصر الدور الأساس في نشوء فئات مهمشة وروابط اجتماعية متباينة، تلقفها نثر الجاحظ بكثير من التصوير والوصف والتحليل.

براقة الجيد واللبات واضحة

كانها ظلية أفضى بها ليب

عجزاء ممكورة خمصانة قلق

عنها الوشاح وتم الجسم والقصب

زين الثياب وإن أثوابها استلب

فوق الحشية يوماً زانها السلب

تريك سنة وجه غير مقرفة

ملساء ليس بها خال ولا ندب¹⁵

” لم تكن المرأة في رسالة القيان لذة تباع وتشتري ومنتعة تعشق وحسب، إنها؛ بالإضافة إلى ذلك كله؛ قوة جامحة من الرزانة، وأ نموذج بشري ناطق بدرر من الجمل البليغة، وكاتبة بارعة “

وهو وصف جسدي سخره الشاعر بغية تشكيل صورة مكتملة وجميلة لمواضع من جسد حبيبته، بحيث لا مجال للوقوف في هذه الأبيات على ما يرتبط بجوانب أخرى تتعلق بالروح والفعل والعقل، التي قد تقيض بها المرأة على ما حفره الشعر في الوعي الجمعي، فتححو بذلك صورتها المختزلة في خصال من جسدها، والتي جعلها ذاتاً ترتبطها بالمتعة واللذة والإثارة أواصر متعددة.

بيد أن نثر الجاحظ لم يذعن لما ترسب في الذائقة الشعرية من اختزال يحسر المرأة في محاسن جسدها، وإنما سعى؛ في تصويره المرأة؛ مسعى يشكل صورتها من روافد متباينة، وكأن الجاحظ بتبنيه هذا النهج في التصوير يروم كشف الستار عما أغضه الشعر من سمات تقدم المرأة بوصفها "نموذجاً اجتماعياً فاعلاً في محيطه"¹⁶ ، ولذلك لم تكن المرأة في رسالة القيان لذة تباع وتشتري ومنتعة تعشق وحسب، إنها؛ بالإضافة إلى ذلك كله؛ قوة جامحة من الرزانة، وأ نموذج بشري ناطق بدرر من الجمل البليغة، وكاتبة بارعة¹⁷ تبعد بدواتها رسائل من العشق تخيط منها شركاً لمربوطيها. أو ليست المرأة عنده مسامرة للرجال في حديثهم، وحافضة من الشعر عيونته التي تصطاد بها طلابها، وصاحبة رأي ومشورة عند بعض الخلفاء؟ ثم ألم تكن بلاغة جوابها هي التي حققت دمها من الإهدار؟ ففي سياق إبراز الجاحظ لهذه السمة من شخصيتها البليغة أورد في رسالته خبر جميل وبثينة التي "حسك في صدر أخيها ما حسك من استعظام المؤانسة، وخروج العذر عن المخالطة، وشكا ذلك إلى زوجها وهزه ما حشمه، فكمننا لجميل عند إتيانه بثينة ليقتلاه، فلما دنا لحديثه وحديثها سمعاه يقول ممتحنًا لها: هل لك فيما يكون بين الرجال والنساء فيما يشمي غليل العشق ويطنض نائرة الشوق؟ قالت: لا، قال: ولم ذلك؟ قالت: إن الحب إذا نكح فسد. فأخرج سيفًا

قد كان أخفاه تحت ثوبه فقال: أما والله لو أنعمت لي للملأته منك، فلما سمعا بذلك وثقا بغيبه وركنا إلى عفاه، وانصرفا عن قتله، وأباحاه النظر والمحادثة"¹⁸ لم تدعن بثينة في هذا الخبر لما راودها به جميل وأبت أن تنقاد لغوايته المفتعلة، وأخرجت بجوابها (إن الحب إذا نكح فسد) المرأة من حيز الشهوة الجامحة التي طالما تغنى بها الشعراء إلى حيز الخطاب البليغ الذي دفع جميلًا إلى تغيير موقفه وسلوكه معًا. جواب مختصر لكنه بالغ التأثير في مخاطبه، وبفضله انتصرت المرأة النائرة على الرجل الشاعر دون أن تكون في حاجة إلى تطعيم كلامها بشيء من التشبيه والاستعارة والمجاز، وبذلك يعلن النثر انتصاره على يد المرأة التي أتاح لها الجاحظ فرصة الكلام لتكشف ملامح من شخصيتها البليغة التي تجمع الشعر والنثر والكتابة والارتجال والحفظ والرواية، فتتأى بذلك صورتها عما ألفه القارئ من ملامح مادية فاتنة. وتصطنع لنفسها أبعادًا رحبة تشكل صورتها الشخصية.

2-2 المرأة الفاتنة:

" صورة المرأة في النثر ليست صورة حسية تقوم على وصف المحاسن والمفاتيح كما هو الحال في شعر الفزل ، بل تقوم على تأثير الجمال في المحيط الإنساني الذي تعيش فيه" محمد مشبال

بنتا على يقين تام بأن أبا عثمان قد جعل من نثره فضاء تصويرياً يسع أبعاداً رحبة من السمات الفنية التي غيبتها الشعر في تشكيله صورة المرأة، فبعد أن ظفر الشعر بجسد المرأة واحتنى بمفاتها المادية، يقف نثر الجاحظ مستلهماً لصورتها خصائص وأفعالاً تعري جوانب منسية في شخصيتها، وتفتح بلاغة التصوير عنده على رؤية من الوصف لا يقف مداها عند حدود الجسد وتفاصيله التي يستسيغها الذوق النقدي العربي، ففي رسالة القيان يكشف النثر عن سمة "المرأة الفاتنة" التي تتخذ من سحر فتنها سلاحاً تسحر به طلابها من الرجال وتبلغ به أهدافها وطموحاتها؛ ولعل في هذه الفتنة من الفعل ما استدعى من النثر أن يولي وجهه نحو تصوير المرأة الفاتنة وأثرها في المحيط الاجتماعي الذي تعيش فيه. يقول الجاحظ واصفًا غناء القينة وتأثيره على سامعيه: "وإذا رفعت القينة عقيرة حلقها تغني حلق إليها الطرف، وأصغى نحوها السمع، وألقى إليها القلب الملك، فاستبق السمع والبصر أيهما يؤدي إلى القلب ما أفاد منها قبل صاحبه، فيتوافيان عند حبة القلب فيفرغا ما وعياه، فيتولد منه مع السرور حاسة للمس، فيجتمع له في وقت واحد ثلاث لذات لا تجتمع له في شيء قط. فيكون في مجالسته للقينة أعظم الفتنة"¹⁹.

هي لوحة من التصوير أذًا، انكب فيها الجاحظ على تصوير ما يتركه غناء القينة من أثر في سامعيه؛ بحيث تصبح القينة ردفاً للبلاغة في التأثير، وتصهر بذلك المرأة في البلاغة من جهة ما تحققة من أثر في المخاطب، وهو أثر تعوذ منه الجاحظ بقوله "اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل"²⁰ ، هذه الفتنة التي رصد لها النثر في رسالة القيان إمكانات سردية تعاقبت فيها الجمل الفعلية على تصوير جوانب من أثر الغناء في جسد السامع ونفسه معًا، وهو الأثر الذي اقتنص له الجاحظ من ردود فعل السامع صورًا مترابطة من التأثير الذي تدعن له حواس من بصره و سمعه حتى يصل ذلك إلى القلب، وقد استجار السرد في ذلك بجمل ذات أفعال وارفة الظلال في معانيها (حلق، أصغى، ألقى، استبق، تولد ..)، وقيد هذه الأفعال بتواتر الأحداث التي علقت أفعالها بوصف خلية من الحركة المتنامية في نسق تصاعدي (فاستبق السمع والبصر أيهما يؤدي إلى القلب ما أفاد منها قبل صاحبه فيتولد منه مع السرور حاسة للمس)، وأوغل بوصفه في رصد الحالة الوجدانية التي تنتج عن سماع الغناء (السرور)، بحيث يجتمع للسامع (في وقت واحد ثلاث لذات لا تجتمع له في شيء قط). كل هذا وذاك يجعل من غناء المرأة توبًا من ثياب فتنها، ولونًا من ألوان بلاغتها التي تتازع الشعر في قوة تأثيره على النفوس.

ولم تكن المرأة فاتنة بعقيرة حلقها ورخامة صوتها وحسب، بل أبرز لها الجاحظ وجهاً آخر من وجوه فتنها التي ميزت شخصيتها، فهي المرأة المحتالة التي جمعت بالإضافة إلى سمات الغدر والإيهام قلة المناصحة والخيانة، وجبلت على "نصب الحباله والشرك للمرتبطين"، وأظهرت من سلوكياتها عكس ما تضرع في باطنها، "فتبكي لواحد بعين، وتضحك للآخر بالأخرى، وتغمز هذا بذاك، وتعطي واحدًا سرها والآخر علانيته، وتوهمه أنها له دون الآخر"²¹ فجاءت فتنها مترجمة بترسانة من الأفعال التي تستدرج بها مربوطيها، حتى لتبدو في تصرفاتها متفنتة في الاستدراج، قادرة على الاحتيال، متنصلة من عهودها ووعودها، وهي في كل ذلك مراودة بالقول والفعل والحركة. تنصب؛ في خطابها؛ شراكًا من الكلام الجميل الذي يعضد من سحر جمالها وغنائها فيغدو شعرها أداة إغواء وكيد، وتستعين بحركات وجهها في الرفع من حدة المراودة (فإذا شاهدتها المشاهد رامته باللعظ، وداعيته بالتيسم..)²² ، بحيث لم يهدأ لها بال من دون أن تسخر لمراودتها أفعالاً مصطنعة تتوخى منها الإيقاع بضحيتها وإيهامه بقدر ما هو عليه من منزلة عندها، فتكاتبه "تشكو إليه هواه، وتقسم له أنها مدت الدواة بدمعها، وبلت السحاء بريقها، وأنه شجيبها وشجوها في فكرتها وضميرها، في ليها ونهارها، وأنها لا تريد سواه، ولا تؤثر أحدًا على هواه، ولا تريده ماله

بل لنفسه.."²³ ، وهي في كل ادعائها تتظاهر بالصباية، وتبرع في صنعتها بحسن تمثيلها، وتتقن من الحيل ما تسحر به مخاطبها لتملك منه زمام عقله وقلبه. حتى إنها على حد تعبير الجاحظ تحسن ما "ليس يحسن هاروت وماروت، وعصا موسى، وسحرة فرعون"²⁴.

وقد تولى السرد رسم سمات شخصيتها المحتالة، فأخرج ذلك في أفعال متلونة ساهمت في نمو الأحداث وتقدمها، وأسبغ عليها نعتًا من الأفعال والأوصاف تقضي كلها إلى معاني الاحتيال والمكر والمراودة، والحق أن هذه الأوصاف جعلت منها امرأة فاتنة بغواية الغناء، ساحرة بما للكلمة البليغة من تأثير في نفسية المتلقي، بحيث لم يكن من المصادفة في شيء أن يعمد الجاحظ إلى وصف ما تحفظه من مادة غزلية توظفها في مقام المراودة والإغراء، ف "تروي الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت فصاعدًا...ليس فيها ذكر الله إلا عن غفلة، ولا ترهيب من عقاب، ولا ترغيب في ثواب؛ وإنما بنيت كلها على ذكر الزنى والقيادة، والعشق والصبوة، والشوق والغلمة"²⁵.

الهوامش

*:البلاغة والسرد، جدلية التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ محمد مشبال منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي تطوان 2010، ص: 110

- 1 – من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف بمصر ، سنة 1969 ، ص: 66
- 2 – البلاغة والسرد، ص: 162
- 3 – من هؤلاء المقفين نذكر أبا موسى بن إسحاق بن موسى، ومحمد بن خالد خذار خذاه، والحسن بن إبراهيم بن رباح، وغيرهم.
- 4 – رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1964 الجزء الثاني، كتاب القيان، ص:143
- 5 – التقيين في العصر العباسي، محمد المختاري العبيدي، مجلة حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب جامعة تونس، العدد 28 ، سنة 1988، ص: 257
- 6 – كتاب القيان، ص: 143
- 7 – مرجع سابق، محمد المختار العبيدي، ص: 256
- 8 – كتاب القيان، ص: 176
- 9 –نفسه، ص: 179
- 10 –أدبية النص النثري عند الجاحظ، صالح بن رمضان، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس، الطبعة 1 ، سنة 1990 ، ص:23
- 11 – الجاحظ والمرأة ، شارل بلا، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، العدد 25 ، 1986 ، ص: 17
- 12 – كتاب القيان، ص: 171
- 13 –المرأة في الشعر الأموي، فاطمة تجور، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999 ، ص: 298
- 14 – من هؤلاء الشعراء شعراء العصر الجاهلي الذين سخروا شعرهم لوصف جسد المرأة ، واقتنوا في تصويره حتى عد مذهبهم في ذلك نموذجاً يحتذى من لدن من لحقهم من الشعراء، وحسبي

ويكون في حفظها لهذه المادة من شعر الغزل ما يكشف عن مكون آخر من مكونات صورتها الفاتنة.²⁶

في الختام:

لم يكن نثر الجاحظ ليجاري بعض الفنون النثرية التي حاولت أن ترسخ حضورها الأدبي من خلال إذعانها للسلطة الجمالية التي رسخها الشعر في الذوق الأدبي العام، حيث كانت القصيدة "الشكل الأدبي الأقوى حضورًا في الوعي الجمالي والأقوى تحكما في صياغة المبادئ النقدية والمقولات البلاغية"²⁷ ، وإنما نحا نثره؛ ممتلاً في رسالة القيان؛ منحى بلاغيًا يهتدي في رؤيته البلاغية إلى مسلمة الوعي بالجنس، وهي مسلمة اقتضت من الجاحظ أن ينهل من تصور بلاغي زحزح إلى حد بعيد ما قام عليه الشعر من أصول بلاغية طالما احتضى بها النقد القديم وفرش لها من مصنفاته الشيء الكثير، ولعل في ذلك ما يفسر للقارئ المذهب البلاغي الذي تبناه الجاحظ في تصويره المرأة القينة، والذي جنح فيه نحو شيء من الواقعية في الوصف، وحرص على أن يستمد

من ذلك دليلا قول امرئ القيس:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة تراثيها مصقولة كالجسجل نظر في ذلك: ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر، ص:15

15 – ديوان ذي الرمة، رواية أبي العباس ثعلب، تحقيق وتقديم عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان بيروت، سنة 1982، ص: 26

16 – أدبية النص النثري عند الجاحظ، ص: 40

17 – يعتقد عبد الفتاح عثمان أن كتابة الرسائل الغرامية نوع فني جديد ابتكرته الجوّاري في العصر العباسي، انظر في ذلك: شعر المرأة في العصر العباسي، دراسة تاريخية وتحليلية وفتية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، 2004، ص:153

18 – كتاب القيان، ص: 149

***: البلاغة والسرد، محمد مشبال، ص: 132

19 – كتاب القيان، ص: 171

20 – البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة السابعة،1998. الجزء الأول، ص:3

- 21 – كتاب القيان ، ص: 175
- 22 – نفسه ، ص: 171
- 23 – نفسه ، ص: 172
- 24 – نفسه ، ص: 175
- 25 – كتاب القيان، ص: 176
- 26 – أدبية النص النثري عند الجاحظ، ص: 29
- 27 – بلاغة النادرة، محمد مشبال، دار جسور للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2001 ، ص: 64
- 28 –الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، الطبعة التاسعة، ص: 161
- 29 – من حديث الشعر والنثر،ص:66

كتاب: مستقبل الإسلام The Future of Islam

مراجعة: توصيف أحمد باراي
Tauseef Ahmad Parray



ترجمة: عمر عثمان جبق

محاضر في قسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين في
جامعة الملك سعود - الرياض

الملخص

البروفيسور جون إل. إيسبوسيتو John L. Esposito هو عضو هيئة التدريس في جامعة جورج تاون Georgetown University وأحد أهم الباحثين في الإسلام وسياسات المسلمين، وأكثرهم تأثيراً. يحاول في النسخة الجديدة لكتابه "مستقبل الإسلام" (الذي قدمته له كارن أرمسترونج Karen Armstrong) أن يفهم "الصراع من أجل الإصلاح في الإسلام كي يستكشف تنوع المسلمين الديني والثقافي والسياسي الذين يواجهون تحديات مخيفة في البلدان المسلمة والغرب، ويوضح حوار الإصلاح الإسلامي وديناميكيته، ويدرس محاولة مكافحة التطرف والإرهاب الديني، ويسلط الضوء على مستقبل العلاقات بين المسلمين والغرب." ويعد هذا الكتاب ملهماً وشاملاً وتحفة علمية؛ إذ يقدم طريقة للمضي قدماً نحو مستقبل أفضل للإسلام والمسلمين والغرب، ويخبرنا المؤلف إيسبوسيتو من خلال كتابه هذا كيف وصلنا إلى ما نحن عليه الآن، وما يتوجب علينا فهمه وعمله لإيجاد تلك الطريقة الجديدة.

المقدمة

يعد الإسلام اليوم أسرع دين نموًا في إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا بوجود أكثر من مليار ونصف مسلم يعيشون في 56 بلد تقطنه أغلبية مسلمة وبعض الأقليات البارزة في أوروبا وأمريكا (حيث يعد ثاني وثالث أكبر وأسرع دين نموًا فيهما على التوالي). ينتشر الإسلام في الوقت الراهن في كل أرجاء المعمورة، وتغطي عواصمه ومدنه الرئيسة مساحة عالمية تمتد من القاهرة إلى جاكرتا في العالم الإسلامي، ومن نيويورك وديترويت ولوس أنجلوس إلى باريس ولندن وبرلين في الغرب. ولكن في الوقت نفسه وبعد مرور 12 عامًا على أحداث الحادي عشر من أيلول ما يزال هناك عدد كبير من الناس يتحدثون عن "صراع الحضارات" أو "ما الخطأ الذي حدث؟" أو "ماذا يكرهوننا؟" ويؤمنون بذلك. وفي الوقت نفسه، هناك أسئلة عن الإسلام وكأن كل شيء جيد مرتبط بالجزء الآخر من السؤال، وكان أي شيء سيء هو جزء من الإسلام. والأمثلة عن ذلك في أسئلة مثل "هل يتوافق الإسلام مع الحداثة والديمقراطية والقوانين

والمساواة بين الجنسين وحقوق الإنسان؟" و "هل الإسلام قادر على الإصلاح؟"

ويعتقد المؤلف، خاصة منذ سبعينيات القرن العشرين، بأن "الإسلام وسياسات المسلمين انتقلا من الكواليس إلى الواجهة" وبذلك يشهد المرء "اهتمامًا كبيرًا بالإسلام و تداولًا كثيرًا له" (ص 4) لأن موضوع الإسلام والمسلمين سياسي وديني، وليس الإسلام "مجرد عقيدة... ولكنه أيديولوجية ووجهة نظر عالمية تميز سياسات المسلمين ومجتمعهم" (ص 4). وبهذا الاتجاه فإن كتاب "مستقبل الإسلام" يتعلق "بمستقبلنا جميعاً لأنه وكما يقول البروفيسور إيسبوسيتو:

الإسلام والمسلمون اليوم لاعبون أساسيون في التاريخ العالمي. وهم جزء من فسيفساء المجتمعات الأمريكية والأوروبية. وفي عالم نستسلم فيه للانقسام بين "نحن" و "هم" فإننا نواجه تحديًا لتجاوز خلافاتنا (مع عدم نكرانها) و تأكيد إنسانيتنا المشتركة، وإدراك أننا مرتبطون فيما بيننا، ومعتمدون بعضنا على بعض، شئنا أم أبينا، وأنا شركاء في تشكيل مجتمعاتنا وعالمنا." (ص 5)

أفكار الكتاب و قضاياها و نقاشاته الرئيسة

يقدم الفصل الأول من الكتاب بعنوان "الأوجه العديدة للإسلام والمسلمين" (ص 10 - 55) مقدمة مختصرة عن الإسلام والمسلمين، ومقدمة عن الإسلام في الغرب. ويشير الكاتب هنا بوضوح إلى أنه وبالرغم من كلامنا العام عن الإسلام، "إلا أنه توجد أنواع كثيرة للإسلام أو تفسيرات كثيرة له" وهناك صور كثيرة متنوعة للإسلام والمسلمين، وواقع متعدد ومتنوع لهما كالصور الدينية الثقافية المتنوعة والكثيرة، إضافة إلى الصور السياسية والاقتصادية الأخرى (ص 11). ويركز الكاتب أيضاً على فكرة أن الإسلام - شأنه شأن باقي المعتقدات - كان وما يزال "مصدراً للتعاظم والأخلاق والفضيلة من جهة، ومصدراً للإرهاب والظلم والاضطهاد من جهة أخرى." (ص 12)

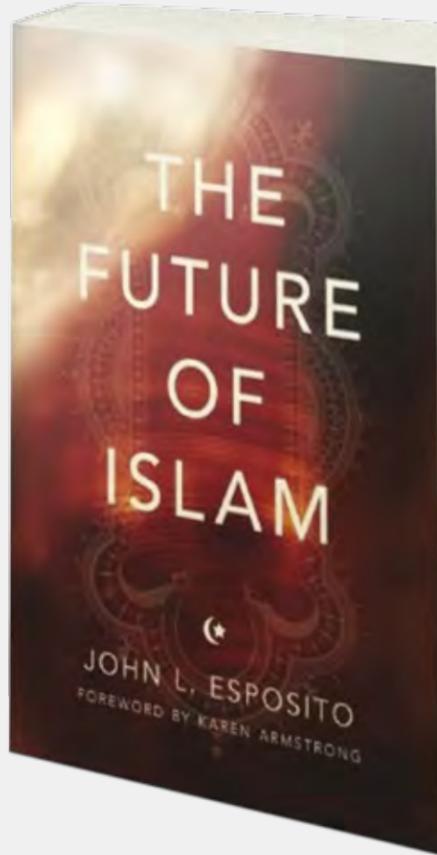
ويلقي الكاتب الضوء أيضاً على مفهوم "الجهاد في سبيل الله" (ص 48-50) في هذا الفصل، وغيره من الفصول، ويذكر أن الجهاد - الذي يعني حرفياً الكفاح/الصراع، وليس الأعمال المسلحة أو "الحرب المقدسة" - هو مفهوم له "معان عديدة تم استخدامها والإساءة له عبر التاريخ الإسلامي"، ومؤخراً "يؤكد المتطرفون الدينيون والمجموعات الإرهابية على أن الجهاد هو واجب ديني عالمي، وأنه يتوجب على المسلمين الحقيقيين كلهم الانضمام للجهاد للقيام بثورة إسلامية عالمية" (ص 48).

يقدم الفصل الثاني من الكتاب بعنوان "الله في السياسة" (ص 56 - 87) المعلومات الخلفية والسياق

العام لفهم الإسلام السياسي، ودور الدين في السياسة والمجتمع، وأثره على المجتمعات المسلمة والغرب. ويمعن الكاتب هنا في توغل الإسلام في سياسة المسلمين ومجتمعهم، ويبحث في أثره ومضامينه العالمية، محاولاً الإجابة عن أسئلة كثيرة مثل: ما هو الإسلام السياسي؟ وهل تشكل الحركات الإسلامية كلها تهديداً؟ ويعتقد الكاتب أن المسلمين اليوم يواجهون تحدياً مضاعفاً يكمن في الإصلاح الديني والإصلاح السياسي، وكلاهما أساسي لتطور المجتمعات المسلمة وتهميش التطرف والإرهاب الديني واحتوائهما. وبذلك فإن التحدي المستمر يكمن في "صياغة إصلاحات عقائدية وتربوية وتطبيقها (في المدارس والجامعات) تقوم بمواجهة تحديات العولمة مواجهة أكثر فاعلية في القرن الواحد والعشرين الذي يحتاج المعتقدات الدينية كلها ليركز على المعتقدات الشاملة التي ترعى التفاهم والاحترام المتبادلين والتعددية الدينية دون المعتقدات الإقصائية" (ص 86-87 -)

يتطرق الفصل الثالث بعنوان "يحتاج الإسلام إصلاحاً" (ص 88 - 141) إلى أسئلة وقضايا مهمة في الإصلاح الإسلامي، ويبحث في أصول الإصلاح ودرجة استمراره اليوم من مصر إلى إندونيسيا، مع وجود عدد كبير من القادة المسلمين والمفكرين من الرجال والنساء والإصلاحيين التقليديين والأكثر توجهاً نحو الحداثة ممن يتناقشون

ويتحاورون بالعملية الديناميكية لإعادة التفسير والإصلاح. ويعرض الكاتب آراء مجموعة متنوعة، عالمياً وفكرياً، من الإصلاحيين من أمثال طارق رمضان وعمرو خالد والشيخ علي جمعة ومصطفى سيرتش ويوسف القرضاوي ونور شوليش مجيد وتيموثي وينتر Timothy Winter وفرحات هاشمي وأمينة ودود وهبة رؤوف وعبد الله جيمستيار وهم يتحدثون عن قضايا الإصلاح الديني والسياسي. ويعتقد الكاتب في بداية هذا الفصل أن السؤالين "هل الإسلام قادر على الإصلاح؟" و "هل هناك إصلاحيون مسلمون؟" ليسا غريبين وحسب بل هما سخيفان أيضاً " (ص 88-89) لأن المسألة ليست "فيما إذا سيكون هناك تغيير، ولكنها في حجم التغيير ونوعه" الضروري. ويُعدُّ الكاتب أن كل "أديان العالم الرئيسة قد تغيرت، وتستمر في التغيير" ومع الأخذ في الحسبان طبيعة البشر والسياق التاريخي والاجتماعي الديناميكي فإن "التغيير حتمي" (ص 89). وفي هذا السياق (لهذه الرسالة) أشارت كارن أرمسترونج في تقديمها للكتاب وأكدت أيضاً على وجود "إصلاحيين" - كما كان مارتن لوتر (1483 - 1556) - في العالم الإسلامي يعبرون عن



الكتاب: مستقبل الإسلام The Future of Islam
(Oxford University Press, 2013)

عدد الصفحات: 256

0199975778-ISBN-13: 978

المؤلف: جون إل. إيسبوسيتو John L. Esposito

مراجعة: توصيف أحمد باراي Tauseef Ahmad Parray



المرأة الصواب في الدنيا الخطأ



شعر

د. حسن كمال محمد محمد

الرياض

نِسَاءَ الْكُونِ فِي امْرَأَةٍ أَرَاكَ
وَمَنْ نَبَعَ الدَّلَالِ أَلَا فَعْبِي
جَمَعْتَ مِنَ المَحَاسِنِ حَظًّا حُورِ
وَلَوْ كَانَ الكَمَالُ حَلِيفَ حَيِّ
تَخَذْتَ السَّامِقَ الزَّاكِي مُرَادًا
حَصَانٌ لَا تَحُومُ بِكَ الدَّنْيَا
عَصَصْتَ الطَّرْفَ فِي خَضِرِ رَزَانَا
وَمَا أَحْلَاكَ فِي حُورٍ وَقَدْ
فَطَهَّرَ فِيكَ يَرْفُلُ فِي حُبُورِ
وَأَيُّ سَجِيَّةٍ سَكَنْتَ بَأَنْثِي
وَكُلُّ جَمِيلَةٍ تَرْنُو إِلَيْكَ
وَكُلُّ خَمِيلَةٍ ظَمِنْتَ لِرِيٍّ
أَرِيحُ مِنْكَ يَخْلُبُ كُلُّ صَبِّ
وَلَمْ تَعْلَقْ بِكَ الرِّيبُ الدَّوَاهِي
وَأَنْ تَظْلِمَ رَبُوعَ الأَرْضِ طُرًّا
وَلَمْ تُثْمِرْ حَدَائِقَ يَانِعَاتِ
عَلَى بُسْطِ التَّالِقِ قَدْ دَرَجْتَ
صَنَعْتَكَ مِنْ خِيَالِي مَحْضُ أَنْثِي
وَصَغْتِكَ مِنْ جَنَانِي فَوْقَ تَرْبِ
إِلَيْكَ القَلْبُ يَمْلُؤُهُ حَنِينٌ
أَمَا تَدْرِينَ أَمْنِيَّتِي وَقَصْدِي؟

فَتِيهِي لَنْ تُطَالِي فِي عُلَاكَ
فَهَاكَ الكُونُ أَجْمَعُهُ فِدَاكَ
جَمَالٌ لَا يُسْطَرُّ فِي سَوَاكَ
أَنَاخَ الرُّكْبِ فِي عَلِيَا رِيَاكَ
مَرَاقِي الفُضْلِ تَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ
فَرَبِّي مِنْ صَفَاءِ قَدْ بَرَاكَ
فِيَا لَكَ مِنْ عَرُوبِ بَلِّ مَلَاكَ!
وَإِشْرَاقِ هَتُونَ مَا جَفَاكَ!
وَسَيْلِ بَرَاءَةِ يَكْسُو رِدَاكَ
تَغْدُ السَّيْرُ يَحْدُوهَا خُطَاكَ
فَتَضْتَنُ بِالسَّوَاخِرِ فِي لِمَاكَ
غُدَاةَ شَكْتِ بَعَادَا عَنْ رَوَاكَ
وَكُلُّ العَطْرِ يَقْبَسُ مِنْ شَذَاكَ
فَأَنْثِي لِلْمَعَايِبِ مِنْ ذُرَاكَ!
فَلَا مَنَجِي لَهَا إِلَّا سَنَاكَ
إِذَا مَا فَاتَهَا يَوْمًا جَنَاكَ
وَلَمْ تَرْضِي نَوَالًا مِنْ بَهَاكَ
فَيْرْسُو الحُسْنِ فِي مَرَفَا حَمَاكَ
فَكُنْتَ الفُكْرَ يَرْقَى مَدَّ حَوَاكَ
وَأَشْوَاقُ لَفِيضٍ مِنْ نَدَاكَ
مُنَايَ العُمَرِ فِي امْرَأَةٍ أَرَاكَ

والاجتماع، ومن أجل التطور الاقتصادي والتربوي. ويمكننا احتواء وإزالة دعاة الكراهية والإرهابيين الذين يهددون سلامتنا وأمننا ورخاء أسرتنا ومجتمعاتنا. (ص 199)

على الرغم من أن المرء لا يجد أي تغييرات رئيسة في هذه النسخة الجديدة من كتاب "مستقبل الإسلام" (الذي طبع عام 2010 لأول مرة)، إلا أنه بالمجمل يعد كتابًا نافذًا وواضحًا وشاملاً يقترح طريقة للمضي قدمًا نحو مستقبل أفضل للإسلام والمسلمين والغرب. وبذلك يشكل هذا الكتاب حقًا إحدى إسهامات البروفيسور إيسوسيتو، ويوصى به بشدة لكل المهتمين في معرفة ماضي وحاضر ومستقبل الإسلام والمسلمين، والعلاقات بين المسلمين والغرب.

مصدر المراجعة الإنجليزية:

http://encompassingcrescent.com/2013/09/john-l-espositos-the-future-of-islam-oxford-university-press-2013-a-book-review-by-tauseef-ahmad-parray

عندما تقول: إن "مستقبل الإسلام لا يعتمد ببساطة على فاعلية بعض الإصلاحيين المسلمين؛ بل يتوجب على الولايات المتحدة وأوروبا أن تلعبا دورًا رئيسًا أيضًا" (ص 11).

ملاحظات ختامية

وأخيرًا يقدم إيسوسيتو الآراء التالية الرئيسة والمهمة وليس بالضرورة الموافقة على افتراضاته.

- يقف المسلمون في العالم على "مفرق طرق رئيسي" في القرن الواحد والعشرين؛ إذ إنهم يواجهون عالمًا متعدد الحداثة؛ وبذلك فهم في صراع مع "كيفية العيش وتطبيق عقيدتهم في عالم متغير تغيرًا سريعًا." (ص 195)

- يعمل مسلمو الفكر الإصلاحي للتعبير عن "إطار عمل إسلامي تقدمي وبنّاء" لأنهم مهيئون لإعادة تفسير مصادر الإسلام وأعرافه لمواجهة تحديات الحداثة والتطوير والقيادة والأيدولوجية والديمقراطية والتعددية والسياسة الخارجية. (ص 195)

- المشكلة الجوهرية للتطور والاستقرار طويل الأمد في العالمين العربي والإسلامي "ليست في دين الإسلام أو الحركات الإسلامية، ولكنها في الصراع بين الدكتاتورية والتعددية." ولذلك لا ينبغي أن ينصب تركيز الاهتمام الأمريكي الرئيسي على الدين، بل على التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي حيث يعيش المسلمون. (ص 196).

- ويبقى مستقبل العلاقات بين الإسلام والمسلمين من جهة والغرب من جهة ثانية إحدى القضايا السياسية والدينية الرئيسة؛ وليس الحوار بين الحضارات مجرد حكر على القادة والباحثين الدينيين بعد الآن لكنه "أولوية صانعي السياسات والقادة ككل، وموضوع السياسة الداخلية والخارجية، وجدول أعمال المنظمات الدولية." (ص 198)

- من الضروري إدراك أن أولاد إبراهيم ليسوا فقط جزءًا من الإرث اليهودي المسيحي وحسب، بل هم جزء من التاريخ والتراث اليهودي والمسيحي والإسلامي الغني أيضًا، وعليه ينبغي اتخاذ الخطوات وبذل الجهود لربط هذه "الحلقة المفقودة" لأن "شعوب أمريكا وأوروبا والعالم الإسلامي لديهم قيم وأحلام وطموحات كثيرة ومشاركة." (ص 198 - 199)

يختم الكتاب بهذه الرسالة اللافتة - وهي في الوقت نفسه محفزة على التفكير والتبصر والإلهام:

إن مستقبل الإسلام والمسلمين مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإنسانية جمعاء. وسيعتمد مستقبلنا جميعًا على العمل سويًا من أجل الحكم الرشيد وحرية الدين والكلام

نزعة مهمة في الفكر الإسلامي من خلال تحدي وجهة نظر الغرب السائدة عن الإسلام، وتذكيرهم هذا "لا يُعدُّ التفسير الحرّ للقرآن معيارًا" من جهة، ومن جهة ثانية "يُعدُّ النقد الذاتي واجبًا دينيًا إبداعيًا وضروريًا" و "يمقت الإرهاب والعنف" و "يتوق لإطلاق جهاد يشمل الجنسين معًا." (ص 10)

ويرى الكاتب أنه على الرغم من تطرق هؤلاء المفكرين إلى "دور الإسلام في المجتمع المعاصر" (ص 89)، إلا أن التحدي الرئيس أمامهم يكمن في "أهمية الربط وإظهار الاستمرارية بين التغييرات المقترحة والمعتقدات الإسلامية الراسخة" وهكذا:

تعتمد شرعية الفكر الإسلامي الإصلاحي وقبوله أو رفضه، على الشخصية الإسلامية المزعومة وأصالتها. ولذلك، فإن "طريقة" التغيير هي بأهمية "نوع" التغيير؛ أي أن عملية التغيير (المنهجية) غالبًا ما تكون بأهمية الإصلاحات الفعلية نفسها. (ص 94)

بعد تقديم الفكر الإصلاحي والآراء الإصلاحية عن طريق المقارنة يتوصل الكاتب إلى نتيجة مفادها أن "التناقضات القوية" تتنوع تنوعًا كبيرًا من السؤال عن هو مؤهل لتفسير الإسلام، أو طريقة تفسير النصوص القرآنية المقدسة، إلى إسناد الحديث، أو الإسلام التقليدي القديم مقابل قدسية الحديث (يرجى مراجعة الصفحة 139) - و تضم بعض القضايا الرئيسة مكانة النساء وأدوارهن في المجتمع المسلم، وطبيعة الجهاد وقضايا التطرف الديني (في الغرب بشكل خاص) والعلاقة بين الدين والهوية والثقافة. وهكذا، يلاحظ المرء أن الكفاح (الجهاد) لإصلاح الإسلام قد "وُلد الحرارة والضوء وكلاهما من الحوار والنقد اللاذع والتعايش والصراع" (ص 140).

ويقدم الكاتب في الفصل الرابع بعنوان "أمريكا والعالم الإسلامي: بناء طريق جديد" (ص 142 - 194) تحليلًا عن تحديات رهاب الإسلام Islamophobia والسياسات الأمريكية الداخلية والخارجية المخففة، وأدوار الصهيونية المسيحية المتطرفة، ووسائل الإعلام، والخطر المستمر الذي يسببه التطرف الديني والإرهاب. كما ويلقي هذا الفصل الضوء على المعتقدات المتباينة، والحوار بين الحضارات ومبادرات مثل رسالة عمان و"كلمة سواء" (يرجى مراجعة الصفحات من 186 إلى 191) بالإضافة إلى دور الدبلوماسية العامة في النموذج الجديد لبناء صورة أمريكا ودورها في العالم المسلم. وتدعم كارن أرمسترونج في مقدمة الكتاب هذا الرأي، مقدرة في الوقت نفسه، قناعة كتاب إيسوسيتو الحالي

كتاب: البرنامج النووي الإيراني

تعرض "المجلة" على قرائها من أفضل الكتب المختارة.. كتب قيمة تستحق القراءة والتأمل.

- العنوان: البرنامج النووي الإيراني
- اسم المؤلف: أ.د. عطا محمد زهرة
- الناشر: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
- عدد الصفحات: 106
- تاريخ النشر: يوليو 2015

يتعرض الدكتور عطا محمد زهرة أستاذ العلوم السياسية إلى تحليل البرنامج الإيراني في كتابه "البرنامج النووي الإيراني"، الذي يتكون من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. جاءت عناوين الفصول الخمسة على النحو التالي: الطموحات والدوافع، ومسيرة البرنامج النووي، وتداعيات تطور البرنامج النووي، وتسوية الأزمة النووية الإيرانية 2003-2015، ومستقبل البرنامج النووي. أما الخاتمة فقدم فيها بعض التوصيات المقترحة للدول العربية في كيفية التعاطي مع هذا الاتفاق الدولي.



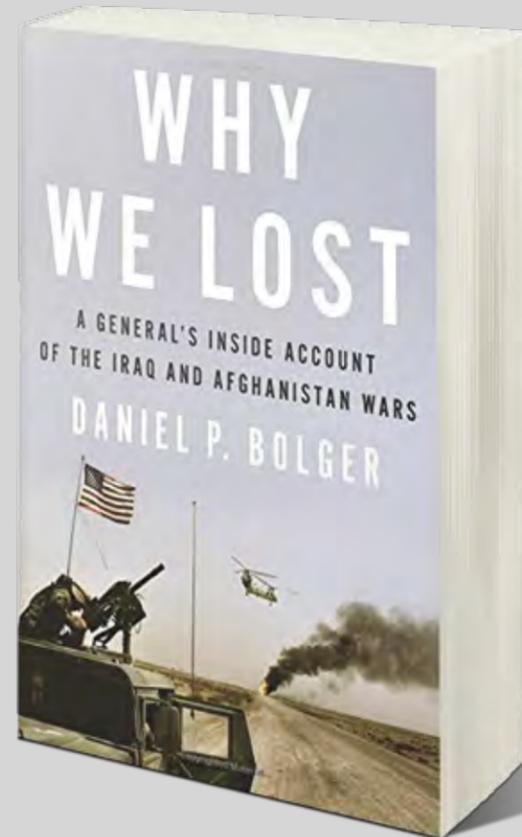
كتاب: لماذا خسرننا.. نظرة من داخل الحرب في العراق وأفغانستان

- العنوان: لماذا خسرننا.. نظرة من داخل الحرب في العراق وأفغانستان
- اسم المؤلف: دانييل بولغر
- اسم الناشر: أيون دولان/ هوتون ميغلين هاركورت.
- الطبعة: الأولى، نوفمبر 2014
- عدد الصفحات: 544

مؤلف هذا الكتاب - الشاهد الحي على حربي العراق وأفغانستان- هو الجنرال دانييل بولغر، الذي تدرج من جندي في قوات المشاة الأمريكية حتى أصبح يحمل ثلاث نجوم على كتفه خلال 35 عامًا من عمله في الجيش الأمريكي.

بولغر كان قائدًا ميدانيًا في حربي العراق وأفغانستان حيث ساهم مع أرفع القيادات العسكرية في وضع الإستراتيجيات والخطط القتالية وكذا تنفيذها، وكان بذلك شاهدًا رئيسًا على مجريات هاتين الحربين منذ أحداث أيلول/سبتمبر 2011 حتى انسحاب القوات الأمريكية من العراق. وقد سجل بولغر للموقف الأمريكي من خلال استقصائه الميداني للعمليات القتالية، بأمانة وشفافية، وخلص من خلال كتابه إلى حقيقة أن الأمريكيين قد "خسروا الحربين وكان بإمكانهم أن يتفادوا هذه الخسارة".

واعتمد بولغر في هذه الخلاصة التي وصل إليها على حقائق دامغة، في مقدمتها أن المعلومات الاستخباراتية التي توفرت للجيش الأمريكي كانت مشوشة وغير دقيقة في معظم الأحيان، بينما كانت قرارات القيادة تتخبط بين النظريات العسكرية والجدال المضلل. ويتابع بولغر وينتهي إلى أن "الخسارة الحقيقية هي أننا لم نفهم طبيعة الطرف الآخر الذي نقاتله".



كتاب: الاستغراب.. المنهج في فهمنا الغرب

- العنوان: الاستغراب.. المنهج في فهمنا الغرب
- المؤلف: د. علي إبراهيم النملة
- الناشر: المجلة العربية، سلسلة: كتاب المجلة العربية، الرياض.
- الصفحات: 91
- الطبعة: الأولى، 2015

يأتي هذا الكتاب الذي وضعه المفكر السعودي الدكتور علي بن إبراهيم النملة، بعنوان: "الاستغراب.. المنهج في فهمنا الغرب"، محاولة تأسيسية لعلم "الاستغراب"، وهو المعادل الشرقي أو العربي لعلم "الاستشراق" في الغرب.

ويقول: إنه برغم أن "الاستغراب"، مفهوم جديد، فإنه قديم في محتواه وطرقه، حيث يرتبط بالعلاقة بين الشرق الإسلامي من جهة والغرب المسيحي اليهودي أو العلماني من جهة أخرى، بما مر على هذه العلاقة من مد وجزر في وجوه التلاقي، وأوجه الاختلاف، طيلة القرون الماضية.

ويقول: إن الموقف من "الاستغراب" لم يتحدد بعد تمامًا كما الموقف من "الاستشراق" الذي لا يظهر أنه سوف يتحدد بسبب اضطراب المصطلحين، ولاختلاف مفاهيمهما بين المفكرين، ناهيك عن غير المثقفين، وكونهما أصبحا مصطلحين مشحونين بشحنات أيديولوجية تجعلهما موضع اشتباه في كل من الغرب والشرق.

ومن خلال استعراض آراء بعض المفكرين الغربيين من المستشرقين، وبعض الشرقيين من العرب والمسلمين، يسلم هذا البحث الضوء بصورة مكثفة على الأفكار التي انطلقت منها أدبيات سابقة، خصوصًا كتابات الدكتور أحمد الشيخ، ومن بينها كتاب "من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب"، وكتاب "من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب.. حوار الاستشراق".

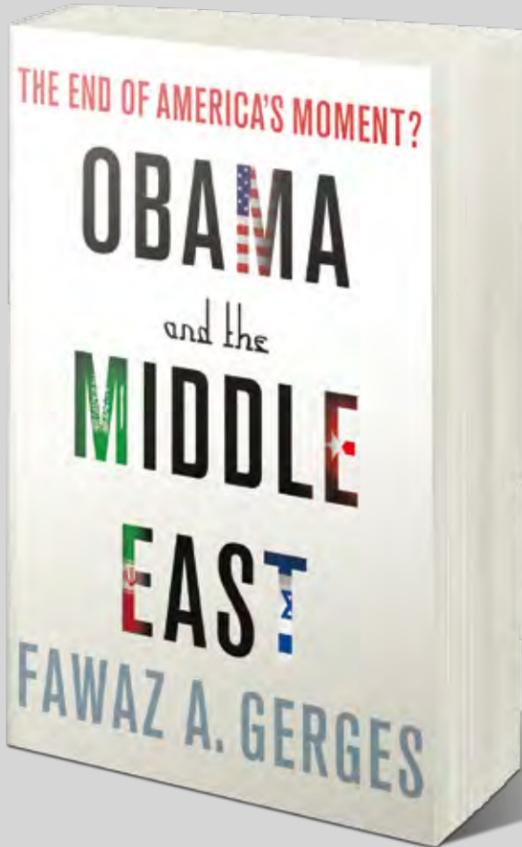
والكتاب لم يأت في صورة فصول، وإنما جاء في صيغة مجموعة من الأفكار جمعها سياق مقالي واحد، تناول فيه الكاتب القضايا الأهم التي يمكن أن تشكل مدخلًا أكثر فاعلية لفهم الغرب، والعقل الجمعي والفردى الغربي، وأهم نقاط التلاقي التي يمكن أن تجمع بين الطرفين.

كتاب: أوباما والشرق الأوسط: نهاية لحظة أمريكا؟

- العنوان: أوباما والشرق الأوسط: نهاية لحظة أمريكا؟
- المؤلف: فواز جرجس
- الناشر: بالغريف ماكميلان
- الصفحات: 304 صفحات
- الطبعة الأولى، 2012

في هذا الكتاب رصد فواز جرجس سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط منذ عصر فرانكلين روزفلت، وتوصل إلى أن هناك نزاعًا دائمًا بين «الإقليميين» الذين لديهم حساسية مفرطة تجاه خصوصية الشرق الأوسط و«العولميين» الذين يركزون توجههم على الدعم المطلق لإسرائيل، والذي بدأ انطلاقًا من كونها حليفًا أثناء الحرب الباردة، ثم بعد ذلك كشريك في «الحرب على الإرهاب».

وبشكل عام، كان العولميون دائمًا ما يهيمنون، ولكن تلك الهيمنة كانت في حدها الأقصى خلال سنوات حكم جورج بوش. وعلى الرغم من أن جرجس يفضل الإقليميين فإنه يقر بأن الرئيس باراك أوباما لم يغير التوازن بين الاثنين. فهو يرى خطاب أوباما في القاهرة في عام 2009 بوصفه خطأً محرجًا، لأن الآمال التي أثارها لم تتحقق. ونظرًا لوجود رغبة في استمرار السياسة الأمريكية فما يتعلق بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني، فضل أوباما رد الفعل الأمريكي تجاه الانتفاضات العربية التي اندلعت عام 2011 عن النزاع، برغم الصلة الطبيعية بين الاثنين. ولكن هناك فرضية رئيسية في الكتاب مشكوكًا بها، إذ يؤكد جرجس أن «قدرة أمريكا على أن تتصرف وحدها، وبشكل متسلط قد انتهت»، ولكن الولايات المتحدة لم يكن لديها أبدًا تلك القدرة، عدا لمدة قصيرة للغاية في نهاية الحرب الباردة. وفي الحقيقة، كانت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط معاملةً في العديد من الإحباطات التي تخللتها بعض النجاحات من وقت لآخر، مثل اتفاقية كامب ديفيد وعملية عاصفة الصحراء.



قصر نويينانفانتاين في ألمانيا ..
إبداع استثنائي من جنون الملك لوفيك

نحو عالم متغير .. و حياة متجددة .. وأسلوب مبتكر ..



www.fikrmag.com

مجلة فكر الثقافية

للتواصل : fikrmag2@gmail.com



وطنٌ على الغدِ عسير

د. نسرين الحميد

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن - الرياض

وداع أبنائها ولم يتبق لنا بعد هذا الوداع إلا أن نعود إلى المساجد لله ذاكين بأن يحفظ المولى لنا ديننا وأمننا وليبقى وطننا :

لم يَشْقُوا صَفْنَا فاستأسدت
في بيوت الله .. هاتيك القُود
لم ينالُوا منك إلا ساجداً
بُست الغيلة في وقت السُجود
بُست الأُجسادُ باتت آلة
لُيدار الفكر من خلف الحدود
جُرِدَتْ إلا من الرِّجس الذي
لُفها فانفجرت نفس الكنود
وطني يفديك شبلٌ مؤمنٌ
ساجداً مات وجُنديٌّ يذود
هم أشداءٌ على من خاننا
رحماءً بيننا، غيثٌ يَجُود
شهد الحدُّ جنوباً بأْسهم
وعباد الله في الأرضِ شهود
وعلى أكتافهم بات لنا
أملُ الكهلِ وأحلامُ السورود
كل ما فينا عسيرٌ ولظى
نخلة الأُحساءِ أو سيفُ النُفود
إن يمَسُوا بحرنا أغرقهم
وصحاريها مفازات الحقود
وطني يفديك شبلٌ مؤمنٌ
ساجدٌ مات وجُندياً يذود
هم رجالٌ إن غفونا لم تتم
أعينٌ للسَّهلِ فرسانُ النُجود
وطنٌ نغفُوا على أكيته
يتقي يَظننا عند الرُّقود
ليس يفديه جبانٌ خائنٌ
يرتدي الدين بِمَنهاجِ يهود

له أذنانا، ونأبى انتقاده حال خطئه، فيما نصفق له وبكل مبالغة إن أصاب، وكأنه أتى بما لم يأت به أحدٌ غيره. الشعوب هي من تصنع أبطالها، وهي أيضاً من توجد ديكتاتوريتها وطواغيتها الذين يمارسون بحقها التنكيل فيما هي تهبل بالدعاء والتمنيات لهم. إن منحوا الفرصة يوماً للمفاوضة في مقابل الحصول على الحرية؛ تجدهم استبدلوها بشروطٍ أخرى لتحسين حياتهم وحالهم في العبودية!

لا عيب في أن يرسم الإنسان نفسه، وأن يضيف لشخصه سمة معينة وطابعاً يأمل أن يتعامل معه الآخرون على أساسها، لكن الخطأ في التصنع وازدواجية التعامل والتصرف وأمر الآخرين بأمر لا ينفذه قائله. هذه هي المعضلة والمشكلة في كون الإنسان مثاليًا!

يتميز العديد من مشاهيرنا، أو لنقل "يعرف" - لمن يعترض على الكلمة- بتصنعهم وتكلفهم ومحاولتهم دوماً الظهور بصفة الكمال أمام محبيهم. خطأهم كما أسلفت ذكره يتشاركه معهم كل معجبٍ لهم، فهو من يرغب في رؤيتهم بصورةٍ نرسنها لهم، فيما هم من حقوقه له أو لها عبر تمثيلهم لنمطها. على العكس تماماً وفي الكثير من الحالات، تمتلئ الصحف والمجلات الغربية بفصائح وفضائح يقترفها المشاهير. منها من يُسجن بسببها أو يحاكم، وفي أخرى يُشهر به؛ ومع ذلك قد تزيد مثل هذه الحوادث من شعبية النجم الذي يسعى مصورو الباربازادي (الفضايح) خلفه لينال صورة يبيعهما لأي وسيلة إعلامية.

مثاليًا أو لنقل تصنعنا الكمال (الذي لن نناله) جعل من بعض الشخصيات المعروفة تُصاب بجنون العظمة، الذي يتجلى في عدم اعترافها تحت أي ظرفٍ بخطأ ارتكبته إلا إن وصل الأمر لحد الفضيحة.

طلبنا كم سمعنا عن كاتب مشهور سرق أفكار غيره كما هي ونشرها باسمه أو أعاد صياغة بعض كلماتها ونسبها لنفسه، منكرًا الفضل لكاتبها ومتجاهلاً عن عمد حتى بالإشارة إليه!.... إن تم اكتشافه، سيهب جيش متابعيه ومحبيه للذود عنه وكأنه ملاك لا يخطأ. وستنال أسنتهم من صاحب الحق، الذي إن لم يكن يمتلك حينها المادة والحجة والقوة للدفاع عن نفسه؛ فاعلم حينها أنه قد خسر المواجهة لطرفٍ على باطل، لكنه انتصر بفضل تصنعه المثالية وتبعية محبيه التي أعمتهم عن رؤية الحق وعن إمكانية خطئه!

مفهوم الاعتذار لديهم غريب، ويظنون أنه قد ينقص من شأنهم ويفض الناس من حولهم، يخافون من أن يفقدوا شعبيتهم والهالة التي يستمتعون بها، لكنهم وبجهد يفقدون الاحترام وإن طال أمده.

المثالية سواءً كانت مثالية أو تصنع أفضل ما يمكن وصنفاً به هو التمثيل الرديء السيء، لكن العديد يصدق به رغم ذلك ويتعلق بالفاشل الذي يلعب دور الممثل فيه!

يختلف عنا عرفًا وديناً هم كذلك، حتى أكثر الشعوب تطورًا وتقدمًا ليسوا باستثناء. خذ مثلاً أمريكا، وانتقي أحد مواقع التواصل من أجل الزواج أو ما يسموه بالمواعدة، وقم ببحثٍ قصير لن يأخذ منك وقتًا حتى تجد أن أغلب من يشترك في هذه المواقع قد وضع أجمل صورة له، والتي قد لا تعكس ماهيته الحقيقية بدون الإضافات والمكياج واللبس والفلاتر الإضافية. راجع "بروفائله" أو ما يصف به نفسه للآخرين وسجده الرجل الأنسب أو المرأة المناسبة. ولكن هل يعكس ذلك واقعهم؟.... بالطبع قد يكون بعضهم إلى حد ما كذلك، لكن العديد منهم بعكسه، والكثير من الجرائم التي تعرضت لها نسوة كانت بدايتها تعارف عن طريق أحد مواقع التواصل الاجتماعي أو المواعدة.

الظهور بمظهر المثالية أو الرغبة في إسباغها على الشخصية لا يمكن وصفها بالعمل الناتج عن فطرتنا كبشر، كما لا يمكن أن نجد فيه عذراً لأحد أو مبرراً ليكون كذلك. يتحمل فيه المسؤولية ليس فقط المدعي ولكن المتتبعين أيضاً، وهم الذين أضفوا عليه هالة منذ البداية، ورفعه مرتبة ومقام جعلته لا يملك إلا أن يستمر في أداء الدور الذي رسمته له أقلام من منحوه الشهرة والظهور. قالوا وباللحجة الشعبية "العربة": ما الذي فرعن فرعون، فأجابوا: هم من زينوا له ذلك، واستبدلوا حريتهم بعبوديتهم له!

نحن كعامة وكجموع بشرية من تصنع نماذج تحب أن تراها في شكل أشخاص ويحدثهم ويتصرفاتهم وأفعالهم وأقوالهم، ونحن أيضاً من يرفع مقامهم ويعليه، ومن يجعل كل إنسان عادي مثاليًا متصنعًا، لأننا نرخي

بممتلك حساباً في تويتر والفيس بوك وماي سبيس والإنستجرام وفتاة في اليوتيوب وفعال جداً في التواصل بالواتس أب وجميع برامج المحادثة الفورية ومواقع التواصل الاجتماعي، وله أتباع بعشرات الألوف ومريدون ومتبعون لكل ما يكتبه ويقول. من كثرة ما يصيغ نفسه بهالة المصلح أو الحكيم تظنه ملاكاً لا يخطئ أبداً ومنزهًا. حديثه يبدؤه بأخي وأختي منمقاً عباراته، ويجمال الجميع. هو في "السبير" أو الفضاء الافتراضي إنسانٌ آخر بخلاف واقعه، وبشهادة جميع من حوله، سواءً كانوا أصدقاءه أو أهل منزله.

لا يتحرك إلى مكانٍ إلا وقد تسلح بجهاز الأيفون والبلاك بيري والنوت ومعهم كمبيوتره المحمول. ما إن يجلس على كرسيه إلا ويبدأ تسفيط أجهزته بانتظام مستخدماً كلا منها على حدة في تناغم وتعامل سريع، حيث يطغى على ما يقوله حكمته التي عرفها عنه الجميع، وينتظرها كل متتبعٍ له على يحظى منه بنصيحةٍ لمشورة سألها له.

هو المثالي الذي تتمنى كل زوجة أن يكون زوجها مثله وكذلك الأخت التي تعانى من قسوة إخوتها!... لكن، هل هو بالفعل في حياته الخاصة وبعيداً عن الأعين والأذان كذلك؟ وهل تحولنا لمثليين نحاول أن نظهر دوماً بخلاف طبيعتنا، وهل أصبحنا مثاليين في محاولتنا للظهور أمام الآخرين، فيما نحن بشر بخطئهم وصوابهم في حياتهم العامة والخاصة. ولم نتقمص باقتناع دوماً وبأريحية دور الشخصية المزدوجة التي نحاول أن تظهر باستمرار بصفات الكمال، فيما هي من بني آدم ومن لحم ودم؟ من باب الإنصاف لسنا وحدنا كذلك، فجميع من

مثاليون!



بقلم: عماد أحمد العالم

الرياض

@emadelalem





دور الصورة التعليمية في تنمية المعرفة والإدراك لدى الطفل



نجاة مزهود

روائية وأديبة جزائرية

إن الأطفال هم مصدر الثروة الحقيقية لأي مجتمع، وهم أملنا في تحقيق مستقبل أفضل، والاهتمام بالطفل في مرحلة التعليم الأولى ضروري جداً، لأن هذه المرحلة تمثل البداية والأساس في تشكيل شخصيته، فالتنشئة التي يحظى بها الطفل في بدايات تعلمه ستظهر واضحة كلما تقدم عاماً في عمره فكرياً ووجدانياً وسلوكياً وجسدياً.

إذ إن أهمية رعاية الأطفال وتربيتهم وحتم على القراءة والمطالعة ودفعهم إلى التساؤل والبحث والاكتشاف يعد جزءاً لا ينفصل من البنين التعليمي وخطوة جادة في السلم التعليمي، حيث إن حث الطفل على المطالعة منذ تواجده في الروضة والمدرسة كليهما، يعد من المراحل المهمة التي تبني إدراكه واهتمامه، وتكون شخصيته وتشكل عاداته واتجاهاته وتتمى ميوله واستعداداته وقدراته الفكرية. فالاهتمام بالطفل في مرحلة الروضة يحقق نسبة عالية من النجاح في مراحلها القادمة في المدرسة، ويسهم بشكل كبير في اكتسابه مجموعة من الخبرات والمهارات حيث إنها ليست مرحلة تعليمية فحسب، بل هي مرحلة لتحقيق نمو شامل وكامل في جميع الجوانب الشخصية للطفل.

فالطفل يولد ولديه استعدادات التفاعل مع البيئة والمحيط الخارجي، إذ ينطلق هذا التفاعل حين تتوفر له بيئة الاهتمام الأسري من الآباء وكذا من المدرسة، فالطفل ينتبه إلى كل شيء أمامه فيستقبل ذلك عن طريق حواسه سواء أكانت بصرية أم سمعية، وإن كانت المثيرات البصرية تعمل بشكل أكبر في إدراكه واستيعابه، ولذلك تُعد الصورة التعليمية من أهم الوسائل في تعليم الطفل وتنقيفه، وهي القادرة على شحن طاقاته تجاه المعرفة وتنمية مداركه واهتماماته، لأن البصر يُعد أهم منافذ المعرفة في حياة البشر، وله القدرة الفائقة في الربط بين المعنيين الجسم واللفظي وهي قدرة مستمدة من الإدراك،

فلا يمكن أن نتعرف على شيء عن طريق اللفظ فقط، دون رؤيته أو معرفة مواصفاته، وهذا الذي يسمى بالثقافة الحسية البصرية، فمن خلال الصورة تتولد المعرفة وينتج الإدراك والوعي لدى الطفل، ومن ثم فتحن -من خلال الصورة التعليمية- نضع الأساسات الأولى لتنشئة الطفل ورسم شخصيته وتحديد ملامح الوضع الذي سيكون عليه مستقبلاً.

ومن هنا تبدو قيمة عملية تثقيف الطفل وتعليمه، في إطار التنشئة الاجتماعية التي أحياناً لا تراعي المحيط الذي يعيش فيه الطفل، كأن تقدم له تشنئة خارج الأدوات الموجودة في عالمه ومحيطه، فالطفل مثل الإسفنج يمتص كل ما يصل إليه سواء أكان جيداً أم رديئاً، لذلك يجب أن تكون التنشئة في مجالها التربوي الناضج، لأنها الأقدر على توصيل المفاهيم والمعارف للطفل.

فالصورة بالنسبة للطفل لغة تعبيرية أكثر من كونها وسيلة لرؤية الجمال، ونحن نرسم للطفل ما يعرفه من أشياء وأدوات، ثم ندرج معه حتى نقدم له ما يراه في بيئته، لأن الصورة بما تعكسه من دلالة للنمو العقلي والمعرفي واللفظي هي أساس العملية التربوية والتثقيفية للطفل، ومن هنا نطرح تساؤلاً عن كيفية دفع الطفل إلى القراءة والاستمتاع بما يوجد فيها سواء حكاية أو معلومة علمية أو تربوية في ظل ما يعرف بالتكنولوجيات الحديثة التي أصبحت أداة معرفية تنافس الكتاب والمدرسة؟

مفهوم الصورة التعليمية

إن الصورة تعني النظر والإدراك والتخيل والإصغاء إلى مثير بصري يستطيع الطفل من خلاله التعرف على الحياة التي يعيشها داخل المدرسة والأسرة والشارع والبلدة، وبذلك يستوعب الأشياء المحيطة به من خلال الصور التي يتعلمها ويشاهدها.

والصورة التعليمية هي عبارة عن صورة مرئية، وتمثيل محسوس ومشخص ظاهر أمام البصر، وتتميز عن الصور الأخرى من بلاغية ولفوية التي ينحصر فيها التخيل ويكون مجرداً، يعني أن الصورة البصرية صورة سيميائية وأيقونية بشكل كبير يتداخل فيها الحس والمحسوس والدال والمدلول، وتمتاز بالواقعية والعيان، وهي أقرب للحياة من اللغة التي نتحدث بها، فالصور موجودة أمامنا مثل الطبيعة والمنازل والأشياء الموجودة داخل المنازل، وأيضاً الحيوانات وغيرها من الكائنات والأشكال والألوان والخطوط والظلال والنقاط والهيئات... وبشكل أوضح الصورة المرئية هي صورة حسية تخاطب البصر أكثر مما تخاطب الحواس الأخرى، فهي أسرع مروراً للعين من اللغة التي تمر إلى الأذن فيحتاج الدماغ إلى مثير مرئي لتفكيك معناها فالصورة بشرحها العلمي تعمل على إثارة العصب البصري، والسبب وجود مؤثرات من ألوان وأشكال تتكرر على حدقة العين فتثير لديها حاسة الإبصار.

ومن حيث سيمية الصورة ودلالاتها فهي أكثر تعبيراً وتوضيحاً من الكلمات اللفوية، وأكثر تأثيراً في تنشئة الطفل وتدريبه على المعرفة، ومن ثم فصورة واحدة تعني عن ألف كلمة، ولذلك تلجئ وسائل الإعلام إلى توظيف الصور في عملية التواصل ونقل الخبر، فهي أبلغ للتعبير عن أي حدث موجود، ومن هنا يتبين لنا أن عملية نقل المعلومة هي من أصعب المهمات وتحتاج إلى مثير بصري يكون دافعاً لها أو حافزاً لنقلها وحفظها. وهذا الذي تقوم به المدرسة تجاه الطفل، وأيضاً يقوم به الأديب الذي يكتب للأطفال، فلو خلت القصة من الصورة لن تجد تشويقاً ولا متعة لدى الطفل، لأن الصورة التربوية أو التعليمية هي صورة هادفة تستخدم في مجال توصيل المعلومة وإيضاح المعنى، وأداة ييداغوجية مهمة، تساعد الطفل على الفهم والإدراك وتسهل على المدرس التبليغ والإيضاح، وتفسر ما غمض من المسميات والألفاظ وتبين تقاضيلها المعقدة بشكل محسوس مشخص، فالصورة التربوية هي صورة إدراكية ذهنية قبل أي شيء، وصورة انفعالية ووجدانية من جهة أخرى، وصورة حركية تجسد الفعل والأداء والإنجاز من ناحية، ولذلك أوصت الدراسات العلمية التربوية بضرورة الاهتمام بالبرامج التي تساعد على تنمية الإدراك لدى الطفل، والاهتمام بالصورة وخصائصها من إخراج ومؤلفات تعليمية لمساعدة الطفل على الإدراك والتعلم، ومراعاة الجوانب الفنية فيها من ألوان وخطوط

ورسوم، والتركيز على ألوان مثيرة وجذابة، هي الأحمر والأزرق والأصفر لإثارة انتباه الطفل، وهي متنوعة بين الصورة المرسومة باليد، والصورة الفوتوغرافية، ترتبط بما يقع تحت بصر الطفل من البيئة الموجود فيها، وتكون مكبرة إلى حد مناسب بحيث لا ترهق عينيه.

فالصورة تُعد تمثيلاً دقيقاً للمعنى اللفوي، وأحياناً دون الحاجة إلى إبراز الكلمة التي تعنيها الصورة نجد الطفل بتلقائية، وبرصيد لفظي اكتسبه من العائلة مدركاً اسم الصورة، وهذه تسمى في العلم: البصريات بالعلاقة المباشرة بين المعين البصري (الصورة) وبين العنصر اللفوي (الكلمة) وهي أوضح علاقة من أي مثير آخر، إذ إن الصورة التعليمية تستخدم في استحضار المعنى من خلال ما يدل عليه أو استحضار المعنى من خلال الكلمة التي يراها أو يسميها، وبذلك فإن الصورة تسمح بعرض وفهم دقيق وسريع للكلمات، وهذه العلاقة الفورية بين الصورة والعبارة اللفوية لا تعين الطفل على الفهم فحسب وإنما تسهل عليه الحفظ أيضاً، ومن ثم تساعده على عملية التذكر حين ترد الكلمة لاحقاً في جملة أو في تعبير في أثناء العملية التعليمية، إنما جمالية الصورة هي التي تدهشه وتدفعه للبحث والتساؤل، ومن ثم التعلم والإدراك. وبذلك تصل العملية التعليمية والتثقيفية إلى أهدافها المنشودة ورسائلها الهادفة، ومن ثم فالطفل يتعلم ويدرك حين يرتاح إلى الصورة المرئية أكثر مما يرتاح إلى درس جاف خال من مثيرات بصرية وحسية، وهذا هو الدور التربوي والتوجيهي الذي تحققه الصورة سواء في قصة أو في كلمة.

الأبعاد المعرفية للصورة البصرية لدى الطفل

تنمية إدراك الطفل تعد أهم مبدأ في العملية التربوية التعليمية، ذلك لأن الطفل يمر بمرحلة التكوين في عدة مجالات منها: المجال الحسي والعقلي والمعرفي والاجتماعي والتواصل واللفوي، فهذه المجالات تحتاج للنمو بشكل يومي وسلس وتتطلب وسائل تعليمية نستطيع من خلالها تعميم المعرفة والعلوم على جميع ما يقع عليه بصر الطفل، وبذلك نجلب انتباهه لتلقي العلم، ولا يمكن إيصال المعرفة للطفل دون استعمال الصورة، فهي بمثابة المثير الأكثر قدرة على تنشئة الطفل وتنمية إدراكه، فني عملية التعلم بالصورة يبدأ الطفل بالانتباه وينتهي بالانتباه، أيضاً، وعن طريق الصورة أو بواسطتها يتلقى الطفل المثيرات العقلية والحسية ويضعها في دائرة اهتمامه، ولا تتم عملية إدراك الصورة بمعزل عن لغة الحوار.

فالصورة تمثل اللغة التعبيرية، وهي أهم لغة يفهمها الطفل، كونها تقوم مقام الكلام والتحدث، فلو أراد المدرس أو كاتب قصص الأطفال أن يحكي للأطفال عن شكل هندسي دون رسمه، فإنه يحتاج لوقت طويل ليفهم

الصورة ودلالاتها فهي أكثر تعبيراً وتوضيحاً من الكلمات اللفوية، وأكثر تأثيراً في تنشئة الطفل وتدريبه على المعرفة، ومن ثم فصورة واحدة تعني عن ألف كلمة، ولذلك تلجئ وسائل الإعلام إلى توظيف الصورة في عملية التواصل ونقل الخبر، فهي أبلغ للتعبير عن أي حدث موجود

التلاميذ ماذا يعني بالداثة، فالكلمة لا تثير خيال الطفل ولا تفي لديه معرفة الأسماء والأشكال، ولكن الصورة توضح المعنى في ذهنه وترسخه.

إن لغة الصورة هي لغة مرئية لا تحتاج إلى أي وسيط توضيحي، ونستطيع القول: إن الصورة هي ربط للكلمة المراد إدراكها، كون أن الكلمات المكتوبة عبارة عن صور مرسومة، فلا توجد لفظة نتحدث عنها أو نتعلمها أو نكتبها دون وجود الخلفية أو الظل لهذه الكلمة والمتمثلة في الصورة، ومن ثم فإن عملية القراءة لدى الطفل تنطلق أو تبدأ بقراءة الصورة، وهي التي من خلالها يتعرف الإنسان على شكله ومحيطه، كما قال أرسطو، كما أن حضارة الإنسان الحالي هي حضارة الصورة كما أشار إلى ذلك الفيلسوف والمفكر "رولان بارث"

فالوصول بالطفل إلى مستوى إدراك الصورة واستيعاب خصائصها المعرفية لا يتأتى إلا بوجود شرطين أساسيين هما: الأسرة والمعلم؛ فكلهما يجب أن يحب للطفل القراءة الفنية للصور، ويدفعه إلى الاستمتاع بالنظر إليها، مما يجعله يكتسب ملكة الذوق والتفكير، فالصورة تنشيء لديه نشاطاً وفاعلية، وهذا ما يؤكد عالم التربية "جيروم بروفر" حين قال: "إن الناس يتذكرون فقط مما يسمعونهم فقط مما يقرؤونه، في حين يصل ما يتذكرونه من بين ما يرونه أو يقومون به" وهو يقصد أن تذكر الأشياء بشكل كبير يتم عن طريق الرؤية.

ومن هنا يكمن الدور الكبير الذي يتحمله المدرس، لأنه مسؤول مسؤولية كاملة عن تشكيل هذا المجتمع الصغير وتنشئته على ثقافة أصيلة من القيم والأعراف التي يتميز بها المجتمع، فالطفل في حالة تلقي كل ما يصل إليه من معلومات ومعارف، ويفعل ذلك بسعادة كبيرة لأنه في حالة اكتشاف وبحث عن عالمه وأشياءه التي تبعث فيه الأمل والفرح، وبحث عن إجابات عن مسائل هي بالنسبة إليه غامضة يريد معرفة حقيقتها، فهو لا يدرك من الحياة سوى ما يشغل ذهنه الصغير ويلفت انتباهه في كل لحظة، ويشير لديه الاستمتاع بمباهج الحياة.

وقد أشار الربيعي جان جاك روسو إلى هذه النقطة بقوله: "دعوا الطفولة تتضح في الأطفال، احترموا الطفولة ولا تتسرعوا في الحكم عليها خيراً أم شراً، إن الإيقاع البطيء لزم من النمو ليس شراً محمله، بل وظيفة ضرورية للنمو، إننا نرعى النبتة بالحراثة ونبني الإنسان بالتربية".



حماية البيئة والتعليم 3-3

حماية البيئة مطلب أخلاقي وحضاري



عبد الله بن محمد اليوسف

الرياض

إن موقف الإسلام أصيل وقديم من القضية البيئية حيث إن الشريعة الإسلامية تنفرد عن القوانين الوضعية، بخاصية العموم والشمول في كل زمان ومكان وفي جميع جوانب الحياة المختلفة، مما يجعلها قادرة على معالجة قضايا البيئة الطارئة بكافة مشكلاتها الصعبة وحمايتها والحفاظ عليها مستقبلاً، فما من نازلة في الحياة البشرية إلا وللإسلام فيها حكم شرعي. وهناك الكثير من المبادئ والأسس في الإسلام التي تحمي البيئة، وتمنع أخطر تدهور لها، ألا وهو تدهور الأخلاق، وانحطاط القيم، فإذا انعدمت الأخلاق كان الفساد والأناية، ولهذا فقد أمر بالعدل والحرية والمساواة والصدق والأمانة، وحارب الظلم وكل أشكال الاستغلال والفساد والغش والكذب والفساد، وهذا ما تعاني منه البيئة الإنسانية الحالية على مستوى الأفراد والشعوب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَوَلَّى سَعْيٌ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفٰسِقِينَ﴾ 205 (البقرة). المجتمع عدد باختصار 1738

• أرست الشريعة الإسلامية: مجموعة من المبادئ التي تعد من أهم الإجراءات الوقائية للحفاظ على البيئة البشرية، ويتمثل ذلك:

○ في عناية الإسلام بطهارة الإنسان ونظافته من خلال الدعوة إلى تنظيف الجسد والثياب.

○ والناظر إلى الإسلام عقيدة وشريعة، يجد أن رعاية البيئة تتصل بعدد من العلوم الإسلامية، وفي مقدمتها

علم أصول الدين، الذي يرى أن البيئة مخلوقة مثل الإنسان، وأنها مكلفة بالسجود لله تعالى وتسبيحه ولكن بطريقة يعلمها الله تعالى، فالإنسان ليس إليها في الكون ولكنه مخلوق مثل بقية الأشياء.

○ وترتبط رعاية البيئة بعلم السلوك في الإسلام على اعتبار أن الدين في حقيقته هو السلوك والخلق،

○ بل إن الإسلام نظر إلى الأمور البيئية نظرد وحب، فجعل القرآن الكريم الحيوانات والطيور أمماً مثل أمة الإنسان، مميز عليها بالعقل والإرادة ونص القرآن الكريم أن الشجر والدواب والجبال والنجوم تسجد لله تعالى.

ويرى علماء الأخلاق الكون (البيئة):

○ على أنه أي آيات الله تستوجب من الإنسان التفكير فيها، وأنه نعمة تستوجب الشكر والمحافظة عليه والاستمتاع بعنصر الجمال فيه. وتتمية هذا الجمال، لأن كل شيء في البيئة من الضروري أن يظهر فيه بديع صنع الخالق سبحانه. المحيطة به، المؤمن وأنها تسبح ربها إلا أن الإنسان.

○ أما علم الفقه وأصوله، فقد ارتبطا بالشأن البيئي ارتباطاً كبيراً في حالة السلم والحرب على حد سواء، ووضع الفقهاء عدداً من القواعد التي تنظم هذا الأمر.

• إن التربية البيئية في الإسلام:

بأنها النشاط الإنساني الذي يقوم بتوعية الأفراد بالبيئة وبالعلاقات القائمة بين مكوناتها ، وبكوين

القيم والمهارات البيئية وتمييزها على أساس من مبادئ الإسلام وتصوراتها عن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، ومطالب التقدم الإنساني المتوازن، وفي ضوء هذا التعريف للتربية البيئية من منظور إسلامي يجب أن يكون هناك تفاعل إيجابي بين الإنسان والبيئة، وأن يكون ذلك التفاعل شاملاً ولا يقتصر على زمان معين أو مكان معين، وليصبح جهد الإنسان موحداً وموظفاً توظيفاً حضارياً وتاريخياً في ضوء العقيدة الإسلامية، وتتضح حاجتنا الماسة إلى وجود التربية البيئية بصورة تطبيقية وليست نظرية في عصرنا الحالي، خاصة إذا تعرفنا على مظاهر سوء استخدام البيئة في العالم، الكائن البشري غير منفصل عن البيئة، فهو عنصر مميز من عناصرها، ومكون فريد من مكوناتها، وعلى ضوء كل ذلك، فإن علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية لا تتحول إلى علاقة مالك بمملوك، إنما علاقة أمين استأمن عليها بكل ما يعنيه من وفاق وانسجام وتكامل معها. ومن خلال تفاعله مع البيئة، سيواجه أحداثاً مستمرة، لكل منها تغييرات يجب أن لا تتجاوز الحدود التي فرضتها السنن الطبيعية، والخصوصيات البيولوجية والعقلية الثابتة للفطرة البشرية، لأن هذه السبيل هو الكفيل وحده للاستمرار في التمتع بالخيرات الطبيعية عبر الزمان والمكان ومن العادات الاجتماعية والخلق التي لها تأثير سلبي على البيئة، منها:

عادة ظاهرة الإسراف:

في الأكل والشرب والملبس وأدوات الزينة والسيارات والسكن والفرش والاستهلاك عموماً وأمور عديدة يطول سردها.

• التربية البيئية ضرورة لتأصيل القيم الأخلاقية في نفوس الطلاب والطالبات

• بمشاركتهم في الحملة دليل على وعي مؤسسات المجتمع بأهمية الحفاظ على البيئة؛ حيث يتكامل البيت مع المدرسة في تأصيل قيم التربية البيئية في نفوس أبنائنا الطلاب والطالبات.

وعن أهمية الزراعة والخضرة ودورها في الحياة، يقول "مالكوم ويلز" Malcolm Wells: "خذ بعيداً كل الحكومات والجيش والصناعة وخذ المواصلات وخذ أيضاً السيارات والمدن والمستشفيات والمدارس والمكتبات. خذ بعيداً الكهرباء والملابس والأدوية والشرطة خذ كل شيء واترك لنا المزرعات الخضراء، وسوف يحيا معظمنا ولكن إذا أخذت المزرعات فسوف نموت جميعاً"، ويكشف لنا هذا القول الأهمية الكبيرة للمساحات الخضراء، والتي قد تسبق أولوية تحقيقها أولوية تحقيق الخدمات المختلفة داخل المدينة أو في المواقع السكنية المختلفة.

• الوظائف الطبية للأشجار والنباتات:

أثبتت الأبحاث والتجارب العديدة في مجال الطب

الشعبي والتداوى بالنباتات والأعشاب أن هناك العديد من الأشجار والنباتات والأعشاب التي لها فوائد طبية عديدة، مما يصعب حصرها في هذا المجال.

ومن الأمثلة على دور الأشجار والنباتات في الطب ما وروي عن سعد (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر".

لقد أثبت تقدم العلم أن للأشجار والنباتات وظائف أخرى ومنها أنها ذات ضرورة فيزيولوجية بوصفها ذات قدرة على امتصاص ثاني أكسيد الكربون وإنتاج الأوكسجين.

وتلعب المسطحات الخضراء دوراً بارزاً بالنسبة لحياة البشر من جهة، وبالنسبة للتوازن البيئي (الأيكولوجي) من جهة أخرى، بوصفها ذات قدرة على امتصاص ثاني أكسيد الكربون وإنتاج الأوكسجين.

وتلعب المسطحات الخضراء دوراً بارزاً بالنسبة لحياة البشر من جهة، وبالنسبة للتوازن البيئي (الأيكولوجي) من جهة أخرى، بوصفها ذات قدرة على امتصاص ثاني أكسيد الكربون وإنتاج الأوكسجين.

فشجرة زان كاملة النمو - على سبيل المثال - تمتص من الهواء ما يزيد عن 2.5 كجم من ثاني أكسيد الكربون وتنتج في الهواء 1.7 كجم من الأوكسجين كل ساعة، أي أن هذه الشجرة تنتج من الأوكسجين ما يكفي احتياج عشرة أفراد لمدة سنة كاملة.

وقد حسب أن هكتاراً واحداً في منتزه إحدى المدن بما يحويه من أشجار وشجيرات وحشائش يمتص من الهواء 900 كجم من ثاني أكسيد الكربون ويطلق في الهواء 600 كجم من الأوكسجين وكل ذلك خلال اثنتي عشرة ساعة.

إن وجود الأشجار على جانبي الطرق من شأنه أن يحد من شدة الضوضاء:

1. فقد اتضح أن بإمكان الأشجار تحويل الضوضاء عن اتجاهها أو عكسها إلى اتجاه آخر.

2. بزراعة سياج من نبات "أبيرس" بعرض 60 سم وجد أنه يخفف الضوضاء بمقدار 5 ديسيبل.

3. وبزراعة الأشجار في الشوارع والميادين لتقليل الضوضاء الناتجة عن المرور، وجد أنها تخفف لضوضاء بمقدار 10-15 ديسيبل.

4. وعليه فقد أوصت هذه الدراسات بزراعة الميادين والشوارع بالأشجار للمساهمة في امتصاص الضوضاء بها والمنعكسة على حوائط المباني. كما أن كل فرع من أفرع النباتات يحدث رنيناً خاصاً يتراوح بين (275 - 450 لفة / ثانية)، مما يحدث اهتزازات أو ذبذبات تعمل على الامتصاص أو القضاء على الضوضاء الزائدة.

5. هذا وقد يظن البعض أن وجود الأشجار يزيد من الضوضاء بسبب صوت حركة الأفرع وكذلك الطيور التي تسكنها، وعموماً فهذه الأصوات تكون ذات شدة مقبولة بالنسبة للإنسان كما أنها تبعث على البهجة والتغيير عن طريق قطع حالة السكون.



أحمد صالح الصمغاني
aalsmany@hotmail.com
@alsmany

لغة الفتل

من طبيعة البشر التغيير والتطوير والتجديد بجميع مستلزمات الحياة في أي مكان وبلد وفي أي عصر وزمان، وفي عصرنا الحاضر عصر السرعة نلاحظ تحول كبير مع الحديث والتقاشات وهو نطق كلمات ومفردات اللغة الإنجليزية في أثناء الحديث، خصوصاً في السنوات الأخيرة حيث أن نسبة اللغة الإنجليزية بدأت تسيطر في حواراتنا، وهذا مؤشر خطير مما سوف يؤدي إلى خطورة مستقبلية في نطق اللغة العربية من الممكن تقبل الوضع الحالي لأن معدل النسبة بسيطة لا تذكر.

ماذا عن لغة الاجيال في المستقبل؟

وصلني مشهد مرئي لشاب سعودي يشرح موضوع يختص بالأجهزة المحمولة ولفت انتباهي الطريقة والأسلوب في أثناء حديثه الغريب فلن أبالغ بأن حديثه يتضمن أكثر من 7% من مفردات اللغة الإنجليزية وفي الحقيقة ليست نسبة ضئيلة بل هو مؤشر عالي جداً، فسألت نفسي لو تحولت لغتنا في المستقبل بهذه الأسلوب لأصبحت كارثة فهناك كلمات أساسية باللغة العربية استبدل نطقها باللغة الإنجليزي مثل (إجازة نهاية الأسبوع) تنطق في وقتنا الحالي (Weekend) و(على كل حال) تنطق الآن (Anyway) وغيره من الكلمات الأحرف المهمة في الجمل، فالموضوع ليس بالتشدد والتعصب للغة والبلد، فالواجب أن نفتخر بلغتنا لغة القرآن ولغة أهل الجنة، ولا بد من البحث عن حل قبل وقوع كارثة في مجتمعنا العربي على سبيل المثال أحد الدول العربية المجاورة الذي طغت عليهم هذه المشكلة ولن أبالغ بأن حديثهم لا يتجاوز 70% لغة عربية فقط وللأسف يعتقد الكثير أن هذا التخلف من التطور الذي يواكب بعض المراهقون في هذا العصر. قبل عدة أسابيع انتشر في مواقع التواصل الاجتماعية مشهد لطفل يقرأ الفاتحة وعندما اخطأ استجد بعيسى عليه السلام، دائم يطبق لدينا ما تشتهه الدول الغربية سواء كان إيجابياً أو سلبياً وهل يعي مجتمعنا عن خطورة ما يورد لنا الدول الأجنبية

ملاحظة للفائدة فقط

كل الأنبياء عجم باستثناء أربع أنبياء هم هود صالح وشعيب ونبينا محمد عليهم الصلاة والسلام.

تقنية المنجز المسرحي الحديث جمالية البناء وتقنية التقديم



د. صفاء الدين أحمد فاضل

أستاذ النقد الأدبي الحديث المساعد

فاكتي التربية الأساس - جامعة رابرين
كردستان العراق

للنهوض أسرار وللهبوط أسباب ولكل فن نسيج فكري مأخوذ من فكرة الحياة وتفاعل الإنسان بما حوله، فالحياة ومطالبها تصنع مصانع عدة معتمدة على قاعدة فكرية تنطلق منها ثقافات متلونة ترسم لنا لوحة شاملة معرفية يكون بطلها الإنسان وهو يجول بعالم بيئته ومجتمعه.

يستخدم المسرح الحديث آليات الخطاب المتقدمة الحدائوية لنشر الفكر لدى طبقات المجتمع فيقيم علاقات

بين العقل والنقل من أجل المحافظة على الثقافة والفكر أساسها الحوار المعتمد على تقنيات التقديم والعرض والنقد الحضاري الدال على أخلاقيات التفكير الابداعي وإمكانيات التوصيل المعرفي العصري، الذي يصور تفاعل

العصر مع الفرد بمسرح أصبح جزءاً من حياة الفرد بصفته وسيلة إعلامية هادفة إلى تحقيق الوعي المعرفي لطبقات المجتمع وهذه الوسيلة الإعلامية تتم على ثلاثة أوجه هي الوجه المرئي والمسموع فضلاً عن النص المكتوب فهذا العمل تبدو فيه المهارة الحرفية واضحة المعالم لتزيد من تلقي الجمهور وتفاعلهم ولا يخفى على القارئ أن

المسرح الحديث تقدم تقدماً ملحوظاً إثر دخول التقنيات الحديثة وإقامة العلاقات المتشابكة في مضمونه، مراجع عدة تناولت حضور المسرح الحدائوي من تلك الدراسات دراسة الأستاذ عبد الفتح قلعي في دراسته (المسرح الحديث الخطاب المعرفي وجماليات التشكيل) برغم الانتقادات التي وجهت إلى هذه الدراسة إلا إنها تعد خطوة أكثر تقدماً في مجال الانفتاح المسرحي الحديث وتسلط الضوء على قواعده الأكثر حضوراً.... فضلاً عن دراسة د. باسم الأسم (مقاربات في الخطاب المسرحي) الذي ركز فيها على القيم الجمالية المنبعثة من الأنساق البصرية والسمعية والحركية التي يعتمد عليها الشكل المسرحي.

نواحي المسرح وجمالياته كثيرة وأفاقه رحبة وواسعة تستحوذ الأفكار وتبادلها على قيمة المسرح ومن ثم هي قيمة انسانية منتجة....

هذه القيمة ترتبط بالوظيفة التداولية التي تحدد استعمال النص وآليات توصيلية على وفق لغته المشروعة في المسرح والتي تبني علاقات مركبة داخل المنجز اللغوي

على جماليات الصوت والصدى والحوار الذي يثير الانفعال التقبلي لدى الجمهور فضلاً عن أسلوب حدائوي هو محمولات إضافية تطعم النص وهنا لعبة المسرحية. مسرحيات عدة أجادت بتلقين شخصياتها الدور المهارية الحركية الجديدة لتغني آليات المسرح بطن يتناسب مع روح العصر... ومجال المسرح الحدائوي ليس نفسياً وإنما جسدي وتشكيلي ويرى انثونان استو الذي أسس مسرح الفظاظ عام 1932 أن المسرحية تهز بقوة راحة الحواس، تحرر اللاشعور المضغوط وتدفع إلى نوع من الثورة المضمرة، وهذا يحتاج إلى تصرف ضد النص لإثارة تلك الحواس التي توجد الفضاء المسرحي المناسب وهي تروي الأحداث في مسرحية الكلام ثم المشهد الدرامي المؤثر وهو يتطور رويداً رويداً يرافقه تغيرات على مستوى الشكل وحسب طبيعة الكلام المتأني الذي صنعتها التجربة الجسدية، فالكتابة المسرحية أو العمل المسرحي هو عبارة عن عملية بناء وهندسة وأيضاً عملية توزيع موسيقى وخاصة الشكل الدرامي المستفيد من اليات تقنية التجزئة كالأماكن المغلقة (البيت) (المكتب) والأماكن المفتوحة (الشارع) (الحديقة).

الكاتب الحديث يعتمد تقنيات متطورة لمسرحه ويتذوق النصوص ويوفر الشروحات المناسبة النصية فيصبح النص لوحات منقسمة لميادين مختلفة تعتمد على لغة ولهجات مختلفة حسب المواقف التي يحتملها العرض المسرحي وأهمها اللقطات المأخوذة من واقع الحياة وجوانبها الإنسانية ويبدو لي الكتابة واحدة في العمل الأدبي بأحاسيسه المتعددة إذ يجب أن يرتبط النص ببعضه ببعض كتنسيق متداخل واحد وهو يسرد الأحداث ويضفي عليها بعداً وثائقياً نتج من سيناريو متقن وأعمال مسرحية عالمية أثبتت وجودها الحدائوي وهي تمثل مسرحياتها على خشبات عالمية.

الحدث المسرحي أو المسرح الحدائوي يرتبط بعلم النفس وميادينه الواسعة فمثلاً موضوع التصالح مع النفس أو مع العالم أو مع الأم والأب أو مع هوية الفرد نفسه أو التصالح مع الزمان أو المكان... إلخ والمونولوج الداخلي الذي يتحدث على لسان الشخصية نقل عالم باطني إلى عالم خارجي تخرج فيه أفكار الشخصية وأحلامها وآمالها وتطلعاتها وكل ما يجيش في داخلها تطعمها الجمال الشعري الأكثر تعاطفاً مع الحالة النفسية، إذ جوانب علم النفس والعلوم الأخرى ساهمت بهذا التحديث لتقنيات المسرح، فالمسرح في الختام ما هو إلا تحويل المكتوب إلى حركة سينمائية مشهية وحدائوية العصر تطلبت إبداع خطوات متقدمة أكثر مما احتفظ به أصحاب المسرح التقليدي.

الأخرى بروح كوميدية لا تجد فراغات نصية أو حركية داخلها وقدمت لطبقات المجتمع الاثني آنذاك وهو يتحدث عن شخصية سقراط وتصرفاته....

أروستوفانس برغم قدمه وبداياته إلا إنها الشرارة الأولى التي وهجت الروح المسرحية بالأداب الغربية فبنائه الهندسي وأضح وهو يبني أحداثها وصراع شخصياته بحركة ديناميكية متكاملة من الصعب حذف أي مشهد أو حركة من فصول المسرحية إثر التناغم والانسجام والتكامل النصي في أثنائها كما حافظ على الائتلاف المشهدي والتكامل الحركي، تتابع جملي بحركة استعراضية على طول وقت المسرحية زادت من التفاعل مع الجمهور وجمالية البناء لم تنته لهذه النقطة فخصائص البناء المسرحي متعددة وعلى الكاتب أن يحافظ على جوانب المسرح الداخلية والخارجية ويحافظ

أو السياق المقدم على المنصة من تلاحم الوحدات الصغيرة وتشابك مكوناتها اللسانية لتصبح علامة ثقافية واضحة تنطلق من أفعال خارجة من شفاه الممثلين إذ المشاركة الجماعية لإنتاج دلالة معينة لموضوع معين أي علاقة الحضور المرئي.

الكل يعلم إن المسرح ومشاهديه لديهم مستويات عدة وقدرات متفاوتة للفهم أو بمعنى قدرات الاستيعاب الحدائوي فلا بد من الكاتب ان يجسم الصور المشهية التي تسد الفجوة أو مسافة الترك بين المنطقي والممثل وهي عملية استدعاء مشاهد تعليمية (ملء الفراغات) ليحقق التفاعل بين الطرفين فلو عدنا إلى الكاتب الإغريقي ارسطوفانس (444 ق.م - 380 ق.م) لوجدنا مسرحية (السُّحْب) من أروع النماذج الكوميدية التي تستهوي فكر القارئ من خلال رسم المشاهد المتتالية الواحدة تلو



لوحة الصرخة ذروة القلق لإدفارت مونش



من أعمال الفنان النرويجي إدفارت مونش لوحة الصرخة وهي مجموعة أعمال لوحات تعبيرية مصورة شخصية معذبة أمام سماء حمراء دموية عام 1893. والمعالم الظاهرة في خلفية اللوحة هي من خليج أوسلفورد في أوسلو جنوب شرق النرويج.

وللرسم إدفارت مونش سلسلة لوحات سماها الفنان باسم "إفريز الحياة"، حيث طغت عليها مواضيع الحياة، والحب، والخوف، والموت، والكآبة. كما هو الحال مع معظم أعماله الأخرى، أصدر أكثر من نسخة من لوحة الصرخة. مواضيع "إفريز الحياة" طغت أيضاً على معظم أعمال مونش الأخرى، مثل: "الطفل المريض"، و"مصاص الدماء"، و"الرماد"، و"الجسر".

ولد إدفارت مونش عام 1863 في أوسلو عاصمة النرويج لعائلة عُرف عن أفرادها شدة تديتهم. والده كان طبيباً في الجيش دفعته مسيحيته المتشددة إلى أن يزرع في نفس الصغير إدفارت بذور القلق الديني. وقد كتب مونك في ما بعد في مذكراته يقول: «كانت ملائكة الخوف والندم

والموت تحفّ بي منذ أن ولدت ولم تكفّ عن مطاردتي طوال حياتي. كانت تقف إلى جانبي عندما أغلق عيني وتهذني بالموت والجحيم وباللعنة الأبدية».

كان إدفارت شخصاً قلقاً ومسكوناً بالهواجس والأفكار المؤرقة. عندما كان عمره خمس سنوات، توفيت أمه بالسّل ثم تبعها أخته التي لم تكن قد أكملت عامها الرابع عشر. وعندما بلغ الخامسة والعشرين مات والده ثم لم تلبث أخته الأخرى أن أصيبت بالجنون لتودع إحدى المصحّات العقلية.

حاول أن يدرس في المعهد التقني لكي يتخرج مهندساً لكن مرضه المتكرر منعه من الاستمرار فترك الدراسة وقرر أن يصبح رساماً. التحق في عام 1881 بالمعهد الملكي للفنون والتصميم، وأنجز خلال دراسته هناك أول لوحه بورتريه.

بعد دراسته في النرويج قضى منس سنوات عدة متنقلاً بين فرنسا وألمانيا حيث تأثر فنه بالانطباعيين الجدد من أمثال غوغان وفنسنت فان كوخ، لكنه تمكن من تطوير

أسلوب مميز خاص به جعله من قمم الحركة التعبيرية فقد كانت معظم لوحاته تدور حول المعاناة الانسانية. فيما بعد، قرّر مونش أن يصبح رسّاماً. فاستأجر "ستوديو" في الحيّ البوهيمي من أوسلو. وهناك وقع تحت تأثير هانس غير، وهو فيلسوف عدّمي كان قد تعهّد بأن يدفع كل واحد من أبناء جيله إمّا إلى الانحلال أو الانتحار! وقد فضّل مونش الخيار الأوّل، فأنغمس في السنوات العشر التالية في حياة بوهيمية جرّب خلالها الكحول والابسنث والأفيون وعرف الحب والسيّفس والجوع والفقر.

في ذلك الوقت كتب هنريك ابسن مسرحيته المشهورة الأشباح التي سخر فيها من رياء المجتمع النرويجي وانحلاله وتفكّكه. غير أن مونش كان متأثراً بالروائي الروسي الكبير دوستوفسكي. وقد قال لأحد أصدقائه ذات مرّة: لم يظهر من الرّسّامين بعد من استطاع التّفاذ إلى العوالم الموسيقية للروح والميتافيزيقيا واللاوعي بمثل ما فعل دوستوفسكي في الرواية. كان واضحاً أن مونك يريد أن يرسم الروح. وفي عام 1890، رسم سلسلة لوحاته المشهورة "دوامّة الحياة" التي يصوّر فيها قصّة نموذجية لرجل وامرأة ينتقلان خلالها من الحبّ والعاطفة إلى الغيرة والحزن ثم أخيراً إلى القلق فالموت.

لوحة الصرخة:

هناك العديد من النسخ للوحة الصرخة، اثنتان منها محفوظة في متحف مونك، والأخرى محفوظة في معرض النرويج الوطني. أيضاً مونك ابتكر طباعة حجرية في عام 1895.

لقد كانت لوحة الصرخة هدف للسرقة لعدة مرات. في 22 آب/أغسطس 2004 اقتحم أربع لصوص متحف مونك في أوسلو وقاموا بسرقة النسخة الرابعة للوحة الصرخة وأعمال أخرى من ضمنها لوحة مادونا من أعمال مونش أيضاً وثلاث لوحات لرامبرانت. وفي أيلول/سبتمبر 2006 نجحت الشرطة النرويجية في استعادة اللوحات المسروقة. كانت نفس النسخة من اللوحة قد سرقت لوقت قصيرة في عام 1994 واستعيدت بعد ثلاثة أشهر دون أن يلحق بها أي أضرار. كلتا اللوحتين تم استردها في عام 2006. لقد تكبدت لبعض الضرر وتم إرجاعها للعرض في أيار/مايو 2008 بعد خضوعها للترميم.

مؤخراً كشفت جريدة ستريت جورنال الأمريكية أن الملياردير الأمريكي ليون بلاك هو الذي اشترى لوحة الفنان النرويجي الراحل الصرخة التي بيعت في مزاد في نيويورك بمبلغ 120 مليون دولار.

ترمز اللوحة إلى ذروة القلق، أي إلى النقطة النهائية لانكسار الروح. في النسخة الثانية من اللوحة، وهي التي أصبحت مشهورة جداً في ما بعد والتي تُقدّر قيمتها اليوم بأربعين مليون جنيه إسترليني، اختار مونش أن يرسم الشخص ذا الوجه الطفولي الذي لا يبدو إن كان رجلاً أو



امرأة واقفاً أمام طبيعة تهتزّ بعنف وهو يحدّق في الناظر، فيما يطبق بيديه على رأسه الشبيه بالمجمجمة ويفتح فمه بذهول ويأس.

وقد كتب إدفارت مونش في مذكراته شارحاً ملابسات رسمه لهذه اللوحة: كنت أمشي في الطريق بصحبة صديقين. وكانت الشمس تميل نحو الغروب عندما غمرني شعور بالكآبة. وفجأة تحوّلت السماء إلى أحمر بلون الدم. توقفت وأسندت ظهري إلى القضبان الحديدية من فرط إحساسي بالإرهاك والتعب. واصل الصديقان مشيهما ووقفت هناك ارتجف من شدة الخوف الذي لا أدري سببه أو مصدره. وفجأة سمعت صوت صرخة عظيمة تردّد صداها طويلاً في أرجاء المكان". وقد ظهرت حكايات عديدة تحاول تفسير ما حدث لـ مونش في تلك الليلة المشهودة. بعض المحلّلين استوقفهم بشكل خاص منظر السماء في اللوحة، وقالوا: إن هالة ما أو غسقاً بركائياً قد يكون صبغ السماء والغيوم باللون القرمزي في ذلك المساء. ويحتمل أن يكون ذلك المشهد قد ترك تأثيراً انفعالياً دراماتيكياً على مونش.

يقول الدكتور شاكر عبد الحميد في كتابه (عصر

الصورة) الصادر عن سلسلة عالم المعرفة 311 كانون الثاني/يناير 2005 "إن لوحة الصرخة الشهيرة لإدفارت مونش مثلاً التي رسمها عام 1893، قد وجهت لتصوير ذلك الألم الخاص بالحياة الحديثة، وقد أصبحت أيقونة دالة على العصاب والخوف الإنساني. في اللوحة الأصلية تخلق السماء الحمراء شعوراً كلياً بالقلق والخوف، وتكون الشخصية المحورية فيها أشبه بالتجسيد الشبحي للقلق. ومثلها مثل كثير غيرها من اللوحات الشهيرة فقد تم نسخ الصرخة وإعادة إنتاجها في بطاقات بريد وملصقات إعلانية وبطاقات أعياد الميلاد وسلاسل مفاتيح، واستخدمت كذلك كأطار دلالة في فيلم سينمائي سمي الصرخة ظهر عام 1996 وتجسدت اللوحة في أقتعة بعض الشخصيات في الفيلم، حيث كان القاتل يرتدي قناعاً مستلهماً منها .

لوحة الصرخة لإدفارت مونش تحولت منذ ظهورها في العام 1893 إلى موضوع لتصانيد الشعراء وصرعات المصممين، برغم أن الفنان لوحات أفضل منها وأقل سوداوية وتشاؤماً!.

جزيرة فيكتوريا كندا

سما يوسف

حدا

وما أن بدأ جمال الحديقة في الظهور حتى قامت بجلب العديد من الأنواع النادرة والغريبة من الزهور التي لا تثبت ولا تزرع في كندا، لتصبح الحديقة من أروع حدائق العالم. وبعد أن ماتت السيدة بوتشارت استمرت عائلتها في هذا التقليد حتى يومنا هذا!

وتبدو هذه الحدائق طبيعية إذ تحتوي على جميع أنواع النباتات، وتقع هذه الحديقة في مدينة كولومبيا وهي قرية صغيرة تقع على شبه جزيرة سانيش في بلدية سانيش الوسطى والتي تعتبر جزء من أكبر الجزر الكندية. ويوجد في فيكتوريا متحفاً للشمع وتحتوي على نماذج للشمع للملكة اليزابيث الثانية وهي ترتدي المجوهرات حين تتويجها ملكة لبريطانيا، ويبدأ العرض من هنري الثامن إلى العصر الإليزابيثي، وهناك نماذج لرؤساء دول مثل رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك نماذج من الشمع معاصرة مثل ديزني والأفلام القديمة.

تقع جزيرة فكتوريا Victoria في أرخبيل القطب الشمالي الكندي في الجزء الجنوبي الغربي من دولة كندا بالقرب من الحدود الأمريكية، حيث إنها قريبة جداً من المدينة الأمريكية ستايل، وتمتاز برخص المعيشة والدراسة والجو المعتدل.

وتعد جزيرة فكتوريا ثامن أكبر جزيرة في العالم، بامتداد 217291 كم 2 (83897 ميل مربع). يبلغ حجمها تقريباً ضعف حجم نيوفاوندلاند 111390 كم 2 (43008 ميل مربع)، وهي أكبر قليلاً من جزيرة بريطانيا العظمى 209331 كم 2 (80823 ميل مربع). وهي من أكبر جزر العالم.

ويعود تسمية الجزيرة إلى اسم الملكة فيكتوريا بعد أن تم اكتشافها لأول مرة من قبل جون راي في عام 1851. والتقل من فانكوفر إلى جزيرة فيكتوريا، عن طريق ..

تقع حدائق البوتشارت في كندا التي تبعد عن فكتوريا حوالى 20 كم، وقصة بنائها تعود إلى أوائل القرن العشرين مع السيدة جيني بوتشارت التي استقادت من عمل زوجها في صناعة الإسمنت، فكانت تأخذ الأرض التي ينتهي زوجها منها، وتقوم بزراعتها حتى وصلت لمساحة 55 فدان!

تقع جزيرة فكتوريا Victoria في أرخبيل القطب الشمالي الكندي في الجزء الجنوبي الغربي من دولة كندا بالقرب من الحدود الأمريكية، حيث إنها قريبة جداً من المدينة الأمريكية ستايل، وتمتاز برخص المعيشة والدراسة والجو المعتدل.

وتعد جزيرة فكتوريا ثامن أكبر جزيرة في العالم، بامتداد 217291 كم 2 (83897 ميل مربع). يبلغ حجمها تقريباً ضعف حجم نيوفاوندلاند 111390 كم 2 (43008 ميل مربع)، وهي أكبر قليلاً من جزيرة بريطانيا العظمى 209331 كم 2 (80823 ميل مربع). وهي من أكبر جزر العالم.

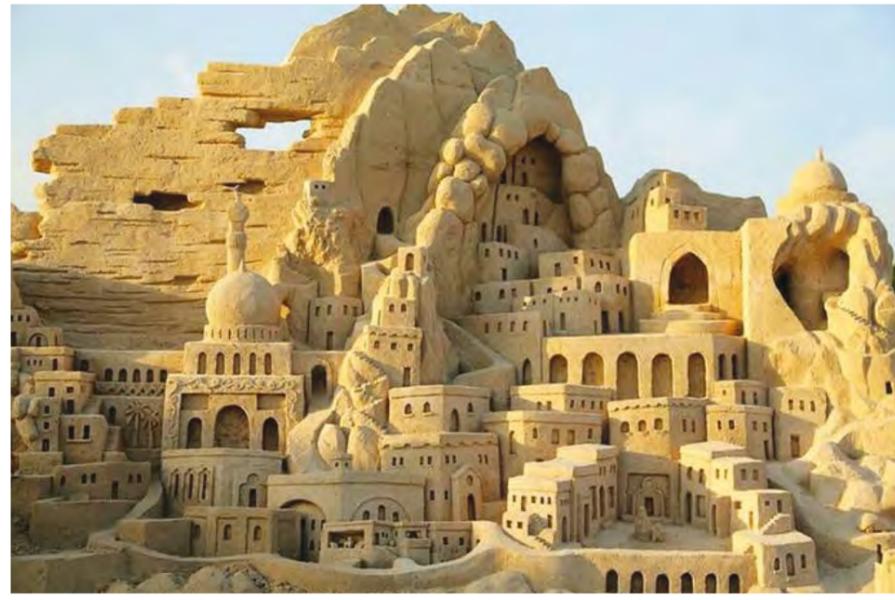
ويعود تسمية الجزيرة إلى اسم الملكة فيكتوريا بعد أن تم اكتشافها لأول مرة من قبل جون راي في عام 1851. والتقل من فانكوفر إلى جزيرة فيكتوريا، عن طريق ..



حدائق بوتشارت



مهرجان رمال دولي في الكويت .. رؤية إبداعية



أكثر من ألفي عرض حي تقدمها فرق عالمية، برامج خاصة بالأطفال منها البحث عن الكنز في المتاهة، عروض ضوء تصاحب الحديقة الضوئية التي ستكون الأولى من نوعها في الكويت والمنطقة، إلى جانب مجموعة منتقاة من المقاهي والمطاعم ليقدّم المهرجان لزواره تجربة ترفيهية وثقافية لا تنسى.

وتضم قرية رمال عدة مجسمات أولها: لوحات تعريفية وتوضيحية خاصة بعرض قصص وروايات ألف ليلة وليلة والتعرف على أدق التفاصيل المرتبطة بالمجسمات وقصصها، حتى يتمكن الزوار من التعرف على القصص بصورة أفضل وأسهل وبشكل أجمل.

ومجسم قصر شهرزاد وهو عبارة عن قلعة كبيرة مستوحاة من رواية ألف ليلة وليلة على ارتفاع 15 متراً ومكونة من ثلاثة طوابق، ويمثل المجسم الرئيسي في القرية وقد استهلك 10 آلاف طن من الرمال، حيث تم تصميمه بشكل يسمح للزوار من الصعود إليه والدخول عبر الدرج، وكذلك منحدر خاص لذوي الاحتياجات الخاصة إلى لقاء شهرزاد التي ستحكي القصص لشهريار أمام الجمهور من خلال المؤثرات الصوتية والضوئية باللغتين العربية والإنكليزية، ومشاهدة القرية الرملية بالكامل من الأعلى. أما مسرح مهرجان «رمال الدولي» يعد الأول من نوعه في العالم بتصميمه المبتكر والمبدع، حيث جسد واحدة من أنجح وأشهر القصص في العالم وهي قصة علاء الدين والمصباح السحري بالمجسمات والمؤثرات الصوتية والضوئية.

ويعد مهرجان رمال دولي خطة جذب سياحية غير مسبوق في الكويت، قرر المسؤولون عن المشروع اختيار روايات عالمية وتبني إحداها لتصميم القرية الرملية وفق مواضعها وتغيير التصميم واختيار رواية جديدة سنوياً وتصميم المجسمات حسب الرواية التي تم اختيارها. وفي عام 2014 اختارت اللجنة رواية "ألف ليلة وليلة" بوصفها واحدة من أكثر الروايات شهرة عالمياً، إضافة إلى أصولها العربية التي يود المشروع تسليط الضوء عليها لقيمتها الكبيرة والتمينة.

ويهدف مهرجان رمال لإعادة الكويت إلى خارطة السياحة الدولية ولمد جسور للتواصل بين الترفيه والثقافة والفن التشكيلي. وهو المهرجان الأول من نوعه في العالم الذي يقيم قرية كاملة من المنحوتات الرملية تتناول موضوعاً واحداً. ليهي زواره بإبداع عالمي المستوى مدعم بعروض فنية مميزة وفعاليات غير مسبوق تستهدف امتاع جميع أفراد العائلة.

الثمان الماضية، وفي هذا الإطار يذكر أن "كويتي وافتخر" هي منظمة غير ربحية تقوم على مجموعة من المبادئ التي تهدف إلى تشجيع الإبداع وتعزيز الشعور بالفخر بالإنجاز النوعي.

تعد قرية رمال فريدة من نوعها وفق كل المعايير، فعلى الجانب الفني نجحت إدارة المهرجان بجمع 73 نحاًنا وفتناً من 24 بلداً، هم الأفضل على مستوى العالم لتتضافر جهودهم في تشييد أكبر قرية رمال على مستوى العالم، على مساحة 30.000 متر مربع مستخدمين 35.000 طن من الرمل لتظهر بأبهى صورة من حيث نوعية المنحوتات ومستويات تعقيدها الكبيرة كما من ناحية الاهتمام بالتفاصيل ودقة تنفيذها، وعلى الجانب التقني فقد نجح الفريق في تحديث المكونات الأساسية للعمل الفني من رمل وماء لتصبح أكثر صلابة وطواعية، يذكر هنا أن الأبحاث أثبتت بأن الرمل الكويتي هو الأفضل من نوعه في العالم لإقامة المنحوتات الرملية، كما تعد بعض المنحوتات ضمن الأكبر حول العالم والوحيدة التي تمنح الزوار الفرصة للصعود عليها أو المرور عبرها كما الانتفاخ حولها. أما على صعيد الفعاليات الترفيهية فإن مهرجان رمال الدولي يعد زواره ببرنامج حافل بالأنشطة الفنية تشمل على

لكل شعوب الدنيا تراثها وإرثها الثقافي الخاص بها وهي فقط من تتميز به خلاف غيرها من الشعوب الأخرى، ولهذا الإرث الثقالي ارتباط بثقافة كل شعب من هذه الشعوب. ومهرجان رمال الدولي بدولة الكويت هو ثقافة رائعة من ثقافات الشعب الكويتي الشقيق يقام الاحتفال بهذه المناسبة في أواخر شهر يناير من كل عام ولمدة حوالي ثلاثة أشهر، وهو مهرجان سنوي أضيف إلى ثقافات الشعب الكويتي، حيث لا يخلو تاريخ الكويت ذلك البلد العريق على رأس الخليج العربي، من ميل فطري للبهجة والمرح، ويتلخص ذلك في العديد من الاحتفالات والمهرجانات التي تتوزع على مدار العام، والتي تعد أحد أهم عوامل الجذب السياحي في هذا البلد الجميل، ومن أهمها مهرجان رمال الدولي. وتحت رعاية أمير دولة الكويت، يقام مهرجان رمال الدولي على أرض المعارض الدولية في منطقة مشرف.

ويعد مهرجان رمال الدولي تجسيد للرؤية المستقبلية الإبداعية لرئيس مشروع "كويتي وافتخر" ضاري حمد الوزان، الذي قدم للشباب الكويتي الفرصة لعرض إبداعاتهم وأفكارهم في إطار فعاليات "كويتي وافتخر" على مدى السنوات



حسن محمد النمي



قصر نويشفانشتاين في ألمانيا .. إبداع استثنائي من جنون الملك لودفيك

يقع القصر في جنوب ألمانيا، بالقرب من هوهينشفانغاو وفوسين الذي تم بناؤه من قبل والد لودفيك الثاني ماكسميليان الثاني ملك بافاريا في جنوب غرب ولاية بافاريا، ليس بعيداً عن الحدود النمساوية.

يعني اسم القصر حرفياً "حجر البجع الجديد"، سمي بذلك نسبة إلى فارس البجع، لوهينغرين، أحد شخصيات أوبرا للمؤلف الموسيقي فاغنر. يقال عن القصر بأنه أكثر بنايات العالم التي تم تصويرها وهو أحد أشهر معالم ألمانيا.

في عام 1869م بدأ الملك الشاب لودفيك الثاني ملك بافاريا الذي عرف تحت اسم "الملك لودفيغ المجنون". في بناء القصر على الطراز الروماني القديم في أعلى مكان يمكن الوصول إليه داخل منطقة حكمه، ورأى أن أنسب مكان لهذا الغرض هو إحدى التلال العالية على جبال الألب البافارية التي ترتفع 800 متراً.

ويبدو أن لودفيغ كان مفرماً بفكرة البناء فقط دون أي هدف عملي يريده من ورائها، سوى أنه يريد توفير ملجأ آمن له في آخر حياته، فقد أمر ببناء قلعتين إضافيتين بالتوازي مع هذا القصر، وأنفق عليها ببذخ من ماله

الخاص، لكنه توفي قبل إتمام البناء. تم تصميم القصر من قبل المهندس كريستيان يانك واستغرق بناؤه 17 سنة.

كان الملك لودفيغ يتابع العمل بنفسه ويوزر موقع البناء كل مدة، وأمر بأن يكون القصر مغطى بألواح الحجر الجيري ذي اللون الأبيض ليتناسب مع لون الجليد المحيط بها من جميع الجهات، إلا أن الأسرة الحاكمة انزعجت من تبذير الملك للمال في بناء قلاع لا تكتمل ولا جدوى منها، لذا أعلنوا جميعاً بأن الملك لديه مرض عقلي ولا يصلح للحكم، ونفوه إلى قلعة بيرج Berg Castle في 1886م، وبعد أيام معدودة وجدوا جثته طافية في بحيرة Starnberg، ولا تزال وفاته لغزاً حتى الآن. فلا يدري الجميع ما إذا كان انتحاراً أم قتلاً، وتوقف بناء القصر من ذلك اليوم وحتى الآن.

بعد أسابيع من هذه الحادثة فتحت الأسرة الحاكمة قلعة نويشفانشتاين للجمهور العام، حيث يتم دخولها وزيارة غرفها الأربعة عشر مع مرشد سياحي، وتحول من قصر كان يراد أن يكون آمناً ومعزولاً ولا يصل إليه الناس ليحتمي به الملك في آخر حياته إلى قصر يزوره كل الناس

بعد وفاته، حتى إنه من أكثر القصور زيارة في أوروبا كلها، ومنذ افتتاحه للزيارة عام 1886 زاره أكثر من 60 مليون شخص، ويوزره يومياً خلال الصيف قرابة ستة آلاف سائح من داخل وخارج ألمانيا، ومن شهرته أصبحت علامة بارزة في الأفلام الألمانية حينما يراد الإشارة إلى مقاطعة بافاريا.

كثير من الروائع الفنية المرسومة على جدران القصر، تم استيحائها من أعمال فاغنر، الذي كان لودفيغ الثاني مولوعاً فيه وفي أعماله. تم فقط استكمال تزيين 14 غرفة من غرف القصر الـ 360 وقيمت الغرف الأخرى خالية من أي أعمال فنية أو أثاث.

يرتفع القصر 800 متراً فوق سطح البحر، مما يتيح للزائر رؤية الحدود الألمانية النمساوية منها. يؤدي طريق ضيق مرتفع إلى بوابة القصر الرئيسية. يوجد بالأبراج المحيطة بالقصر بيت درج دائري، غرفة العرش، التي في الواقع لا تحتوي على أي عرش، تقع في مؤخرة القصر في الدور الرابع. استغرق بناء سرير الملك الذي يقع في غرفة نوم الملك، مدة سنتان. ويوجد في القصر ساحة داخلية كبيرة.

وقد أعدت القصر بناءً على خطة مدروسة جيداً بحيث تكون نموذجاً حديثاً حينذاك، فقد اشتملت على كافة الوسائل المتطورة من مضخات ترفع الماء لجميع الطوابق الأربعة، كما اشتملت على نظام لتدفئة الهواء في تلك المنطقة المتجمدة شتاءً، ونظام لتوفير الماء الساخن

لدورات المياه والمطابخ. في بداية زيارة للقصر يشاهد الزائر الطابق الأول وما به من قاعات الاستقبال وغرف الخدم، وينتقل منه إلى الطابقين الثالث والرابع مباشرة لمشاهدة غرف الملك وأجنحته الفاخرة، أما الطابق الثاني لم ولن تكتمل غرفه، لذا يكون هو المحطة الأخيرة بعد انتهاء الجولة لتناول الوجبات والمشروبات الساخنة في المقاهي التي بنيت فيه. في الطابق الثالث يوجد صالون الملك على شكل حرف T، وتصله عدة أعمدة عن بقية الغرف، وجميع المفروشات والأثاث به تأخذ شعار طائر البجعة الذي اتخذه الملك لودفيغ الثاني شعاراً له، ويجاور الصالون غرفة الدراسة والتي يتوسطها مكتب كبير كان يجلس عليه الملك يمارس هوايته في التأليف والكتابة، ومازالت مؤلفاته موجودة بالقصر.

بين الصالون وغرفة الدراسة مكان لا تجده في جميع القصور الملكية في العالم، وهي مغارة صناعية، حيث أراد الملك عمل كهف به شلال صناعي وتأثيرات ضوئية، وجعل الكهف له باب زجاجي شفاف ليستطيع رؤية جبال الألب وما يحيط بها في أثناء الجلوس في هذا الكهف الغير تقليدي.

أما قاعة العرش أو ما يعرف بالـ Throne Hall فهي قاعة في منتهى البذخ تحتل الجزء الغربي من القصر، ومزينة بصور نباتات ونجوم، وقد استلهم الملك تصميمها من قاعات الكنائس الموجودة في وقتها التي كانت على

الطراز البيزنطي، مما يعطي انطباعاً بأن الملك لودفيغ الثاني كان يعد نفسه وسيطاً بين الناس وبين خالقهم، أما أهم قطعة في هذه الغرفة فهي مفقودة ولا يعلم أحد مصيرها إلى الآن، وهي كرسي العرش.

بعد ذلك نجد غرفة طعام الملك، وقد تم تزويدها بنظام جرس كهربائي وقتها بحيث يتم استدعاء الخادم في أي وقت يريده الملك، وفي الغرفة مائدة الطعام المصنوعة من الرخام والبرونز المذهب، ومفارش المائدة مصنوعة من الحرير الأحمر.

يلها غرفة النوم وبها نافورة مطلية بالفضة على شكل بجعة، وقد أولى الملك اهتماماً كبيراً بالغرفة حتى أن العمل بها وحدها استغرق أربع سنوات ونصف.

في نهاية الحرب العالمية الثانية، تم تخزين أموال من الخزينة الألمانية في القصر لحمايتها من القصف الجوي لدول الحلفاء. تم حمل هذه الأموال الطائلة إلى مكان آخر مجهول بعد ذلك، حسب أحد الشائعات، يقال: إنه تم رمي الأموال في بحيرة آلات القريبة. تم حفظ رسومات وقطع أثاث قيمة ومجوهرات في القصر أيضاً في أثناء مدة الحرب.

تفتح قلعة نويشفانشتاين أبوابها يومياً من الساعة التاسعة صباحاً حتى الثالثة عصراً، عدا يوم 1 يناير وآخر أسبوع من ديسمبر، وتكلفة التذكرة 12 يورو، ومجاناً لمن هم دون الثامنة عشرة، ويرافقك مرشد سياحي باللغتين الإنجليزية أو الألمانية.



على النقيض تماماً من هذه الأطلال الويلزية تقع نويشفانشتاين وهي مسكن برجى كبير على قمة جبل البافاري ويحمل شهراً كبيراً من قلعة أخرى في منتزه معين على الطراز الأوروبي. هذا الإبداع الاستثنائي من جنون "الملك لودفيك Ludwig" كان مصدر إلهام للكثير من الفنانين والمصورين عبر الاجيال. يُبصح الزوّار بان يأخذوا وقتهم لمشاهدة هذا القصر الفخم من الطرق الفرعية المجاورة للحصول على كامل الاثر الذي يتركه هذا القصر في النفس.



WIKIPEDIA

The Free Encyclopedia

جيمي ويلز

مؤسس ويكيديا

WIKIPEDIA

The Free Encyclopedia

رقميون فيروا حياتنا

هذه المادة مختارة من كتابي (رقميون غيروا حياتنا)

في عدد يناير/فبراير 2006 من مجلة PC ذكر ويلز أنه رفض الامتثال لطلب من جمهورية الصين الشعبية لفرض رقابة على المواد (الحساسة سياسياً) في ويكيبيديا كباقي شركات الإنترنت التجارية الأخرى مثل جوجل، وياهو، ومايكروسوفت التي أثمرت تجاهها ضغوط الحكومة الصينية.

وفي أيار/مايو 2010، ذكرت هيئة الإذاعة البريطانية أن ويلز كان قد تخلى عن كثير من امتيازات التقنية الخاصة به في (ويكيبيديا كومنز مشروع شقيق ويكيبيديا الذي يستضيف الكثير من محتوى الوسائط المتعددة).

في بداية السنة الحالية 2012، عين رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كامرون مؤسس موقع ويكيبيديا جيمي ويلز مستشاراً، ويأتي تعيين ويلز لتحسين مشروع بريطاني كبير لتفعيل دور المعلومات والمحتويات مفتوحة المصدر OPEN SOURCE، التي نجح ويلز في استخدامها بشكل رائع من خلال موقع ويكيبيديا الذي يعد أكبر موقع يحتوي على معلومات مجانية كتبها مستخدمون متطوعون.

نطاق مستقل - بعد 5 أيام من إطلاقها التي تمتعت بنمو شعبية فائقين. ومع نمو أهمية ويكيبيديا، أصبح ويلز المروج للمشروع والمتحدث باسمه.

ويذكر ويلز تاريخياً بأنه أحد مؤسسي ويكيبيديا، وليس المؤسس الوحيد. يجلس ويلز في مجلس أمناء مؤسسة ويكيبيديا، المؤسسة الخيرية غير الربحية التي تدير ويكيبيديا. ويشغل منصب (مؤسس المجتمع) الذي أقره مجلس الأمناء.

وعام 2004، شارك في تأسيس ويكي، ذات الملكية الخاصة، وهي خدمة استضافة على الويب، وكان ذلك بالتشارك مع زميلته في أمانة ويكيبيديا أنجلا بيزلي.

في مقابلة عام 2004 أوجز ويلز رؤيته لويكيبيديا: «تخيل عالماً يتاح به لكل شخص في الكوكب أن يعطي كل شخص على النفاذ المجاني والحر لتحصيل المعرفة البشرية، وهذا ما نقوم به».

ويدير ويلز، ويكيبيديا في شكل مشروع خيري، حيث إنه يرفض وضع أي إعلانات على الموقع، ويرفض بيعه أو جعله بمقابل، فيما يديره اعتماداً على التبرعات السنوية التي يجمعها بشكل ناجح منذ سنوات عدة.

موسوعة على الإنترنت. فدعا لاري سانجر- الذي كان طالباً بدرجة الدكتوراه في الفلسفة حينها بجامعة أوهايو - ليكون رئيساً لتحرير الموسوعة. وفي آذار/مارس 2000 طُرحت موسوعة نوبيديا NUPEDIA بوصفها موسوعة مجانية ذات محتويات مفتوحة علنية.

خضعت الموسوعة لعملية مراجعة شاملة؛ لجعل موضوعاتها ومقالاتها بنفس جودة الموسوعات الاحترافية المتخصصة. وفي 2 كانون الثاني/يناير 2001 اقترح أحد المبرمجين، ويدعى بن كوفيتس على سانجر استخدام برمجيات WIKI التي تتيح للمستخدم إمكانية ربط المقالات ببعضها وتحريرها بسهولة. وأوضح كوفيتس لسانجر أن تبني برمجيات WIKI سيساعد المحررين على الإسهام فوراً طوال المشروع، وحازت الفكرة إعجاب سانجر الذي انجذب إليها بشدة، وعقب عرضها على ويلز، أنشأ أول نوبيديا ويكي NUPEDIA WIKI في العاشر من كانون الثاني/يناير 2001.

بدأت موسوعة ويكي في البداية بوصفها مشروعاً تعاونياً للجمهور لكتابة مقالات يتم مراجعتها بعد ذلك للنشر من قبل خبراء نوبيديا المتطوعين، ومن ثم أطلق ويلز مشروع ويكي - الذي أطلق عليه ويكيبيديا WIKIPEDIA باسم

حصل على الليسانس من جامعة أوبرن في مجال العلوم المالية، وبدأ الدكتوراه في المجال نفسه في جامعة ألاباما. ولكنه توقف عند الماجستير.

بعدها التحق بجامعة أخرى وحضر دروساً في مجال الدكتوراه، ولكنه لم يحضر الرسالة التي عن طريقها يمكنه نيل الدكتوراه.

وبينما كان في الدراسات العليا بالجامعة، درّس في جامعتين. حصل ويلز لاحقاً على وظيفة في التمويل، وعمل مديراً للأبحاث في شركة للبيع الأجل والمضاربة في شيكاغو سنوات عدة.

قرر ويلز العمل في مجال الإنترنت عقب الطرح العام الأول، الذي أجرته شركة NETSCAPE عام 1995، الذي استوحى منه ويلز قراره.

وعام 1996، أسس ويلز البوابة الإلكترونية بوميس BOMIS على الإنترنت بالتعاون مع شريكين أمده بالتمويل اللازم لمواصلة شغفه العظيم وطموحه الكبير في إنشاء موسوعة مباشرة على الإنترنت.

وبعد سنوات عدة، قرر ويلز مواصلة مشروعه لإنشاء

يُعدّ جيمي ويلز JIMMY WALES مؤسس أكبر موسوعة علمية إلكترونية على الإنترنت وأحد أهم الشخصيات التي غيرت مجرى الويب، إذ إنه استطاع من خلال موقعه الذي انطلق عام 2001 أن يوصل للمستخدمين أكبر مكتبة معلومات متكاملة، ويمكن التعديل عليها من قبل المستخدمين.

جيمي ويلز رجل أعمال أمريكي وتاجر إلكتروني، مؤسس الموسوعة الحرة WIKIPEDIA التي غيرت الكثير من المفاهيم فيما يتعلق بحرية المعرفة والمشاركة المجتمعية في بنائها، يدخلها نحو 470 مليون شخص شهرياً ليستفيدوا من محتواها، وليشاركوا في تغذيتها بملايين المعلومات. ونتيجة لعمله في ويكيبيديا، التي أصبحت أكبر موسوعة في العالم، وضعت مجلة التايم واحداً من أكثر الشخصيات تأثيراً في العالم اليوم.

ولد جيمي ويلز في 7 آب/أغسطس، 1966 بمدينة هانتسفيل بولاية ألاباما الأمريكية، وعقب إتمامه مرحلة التعليم الأساسي، التحق بمدرسة (راندولف) التمهيدية للمرحلة الجامعية بمدينة هانتسفيل، وتخرج فيها في عمر السادسة عشر.



ناصر بن محمد الزمل

رئيس التحرير

@nalzumal



الإنترنت وعصر «البيانات الضخمة» BIG DATA

كم يبلغ متوسط حصّة الفرد من هذه المعلومات؟ عندما كانت «مكتبة الإسكندرية» هي مخزن معلومات البشر، بل المكان الذي كان أسطورة في ضخامة ما يحتويه من المعلومات المؤرشفة في وثائق مكتوبة، لم يكن ما تحتويه يزيد عن 1200 «إكسا بايت» Exabyte، مع ملاحظة أن كل «إكسابايت» تساوي بليون غيغابايت. لنعد إلى الفرد العادي في القرن الـ21. ما هي حصّته من المعلومات؟ إنها 320 «مكتبة إسكندرية» في عزّ ازدهارها وذرورة تألقها أيام الرومان. لو وُزعت المعلومات على البشر، لنال كل شخص يعيش الآن أكثر مما احتوته «مكتبة الإسكندرية» عندما كانت معقلاً ومخزناً للفكر البشري، بما يزيد عن 320 ضعفاً.

ماهي البيانات (Data): هي الصورة الخام للمعلومات قبل عمليات الفرز والترتيب والمعالجة ولا يمكن الاستفادة منها بصورتها الأولية قبل المعالجة.

المعلومات (Information): هي البيانات التي خضعت للمعالجة والتحليل والتفسير والتي يمكن الاستفادة منها للقرارات.

تُقسم البيانات الخام إلى ثلاثة أنواع: بيانات مهيكلة: وهي البيانات المنظمة في صورة جداول أو قواعد بيانات تمهيداً لمعالجتها.

بيانات غير مهيكلة: تشكل النسبة الأكبر من البيانات وهي البيانات التي يولدها الأشخاص يومياً من كتابات نصية وصور وفيديو ورسائل ونقرات على مواقع الإنترنت إلخ.

بيانات شبه مهيكلة: تعد نوعاً من البيانات المهيكلة إلا أن البيانات لا تصمم في جداول أو قواعد بيانات.

لنتابع مع لعبة الأرقام قليلاً. من المثير أيضاً أن كثيراً من هذه المعلومات باتت مكتوبة بـ «لغة» واحدة: لغة الكمبيوتر. وتتوفر قسم كبير من هذه المعلومات على هيئة ملفات إلكترونية رقمية مكتوبة على الكمبيوتر، تشمل الكتب والنصوص والصحف والمجلات والمنشورات والدراسات والصور والخرائط والرسومات والأفلام والأغاني والموسيقى والرسائل وما يكتب يومياً على مواقع شبكات التواصل الاجتماعي ورسائل الخليوي. بات كل شيء يكتب ويوضع على الكمبيوتر، فيصبح جزءاً من ملفات رقمية مكتوبة بلغة الإلكترونيات التي تتألف من عديدين هما صفر وواحد! لنتأمل ثانية. صارت كل المعلومات قابلة لأن توصف وتخزن وتُصنّف وتبحث وترصف، عبر أداة واحدة هي الإلكترونيات وملفاتها الرقمية. يطلق على هذا الأمر تسمية «الرقمنة» Digitization، وهي من الملامح الأبرز لزمن البيانات الضخمة. لم تعش البشرية شيئاً كهذا من قبل، وهو أمر يجدر تذكره كثيراً عند التفكير في البعد المختلف لمسألة البيانات الكبيرة في عصر المعلوماتية.

ما هي البيانات الضخمة؟

البيانات الضخمة عبارة عن مجموعة من البيانات ذات أحجام تتخطى قدرة البرامج التي يشيع استخدامها لالتقاط وإدارة ومعالجة وتخزين وتحليل تلك البيانات في غضون مدة زمنية مقبولة.

وتتوافر البيانات الضخمة حولنا فني كل دقيقة يولد العالم من حولنا ما يقرب من 1.7 مليون بليون بايت من البيانات من مواقع التواصل الاجتماعي والبريد الإلكتروني لمواقع الأعمال الخاصة كأمازون وإي-باي وأعمال البيع بالتجزئة للمشاريع العلمية والقومية العملاقة.

منذ عام 2012 كانت الحدود المفروضة على حجم مجموعات البيانات الملائمة للمعالجة في مدة معقولة من الوقت خاضعة لوحدة قياس البيانات إكسابايت. وتضاعفت القدرة التكنولوجية العالمية لتخزين المعلومات للفرد الواحد تقريباً كل 40 شهر بدءاً من العام 1980 حيث في عام 2012 تم تقدير البيانات المنتجة بـ 2.5 كوينتيليون بايت (2.5 × 10¹⁸) من البيانات يومياً 80% منها غير مهيكلة مقابل 20% فقط من البيانات المهيكلة.

وبحسب شركة إنتل أن حجم البيانات التي ولدها البشر منذ بداية التاريخ وحتى عام 2003 ما قدره 5 إكسابايت، لكن هذا الرقم تضاعف 500 مرة خلال عام 2012 ليصل إلى 2.7 زيتابايت، ويتوقع أن يتضاعف هذا الرقم ثلاث مرات حتى عام 2015.

ويقوم كل فرد منا بإطلاق 2.2 مليون تيرا بايت من البيانات يومياً، وهناك 12 تيرا بايت من التغريدات يومياً مع 25 تيرا بايت من سجلات الدخول على فيس بوك يومياً وعلى تويتر أكثر من 200 مليون مستخدم نشط يكتبون أكثر من 230 مليون تغريدة يومياً.

حجم البيانات كان في 2009 حوالي 1 زيتا بايت (تريليون غيغابايت) وفي 2011 ارتفع إلى 1.8 زيتا بايت تقول IBM إننا ننتج 2.5 كوينتيليون بايت من البيانات كل يوم (الكوينتيليون هو الرقم واحد متبوعاً بـ 18 صفراً).

هذه البيانات تتبع من كل مكان، مثل المعلومات حول المناخ والتعليقات المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي والصور الرقمية والفيديوهات ومعاملات البيع والشراء.

تعد البيانات الضخمة الجيل القادم من الحوسبة والتي تعمل على خلق القيمة من خلال مسح وتحليل البيانات. ومع مرور الزمن أصبحت البيانات التي ينتجها المستخدمون تتطور بشكل متسارع لعدة أسباب، منها بيانات المشتريات في محلات السوبر ماركت والأسواق التجارية وفواتير الشحن والمصارف والصحة وشبكات التواصل الاجتماعية.

ومع تطوير تقنيات التعرف على الوجه والأشخاص، فإنها ستتمكن من العثور على المزيد من التفاصيل والمعلومات عن أي شخص، ومع تزايد عدد الأجهزة المتصلة بالإنترنت، الأجهزة التي لم نعتد عليها أن تتصل

بالشبكة العالمية مثل السيارات والبرادات والغسالات فإنها كلها تساهم في زيادة حجم البيانات المنتجة. وتعد اليوم Hadoop من أفضل تقنيات التعامل مع البيانات الضخمة، وهي مكتبة مفتوحة المصدر مناسبة للتعامل مع البيانات الضخمة المتنوعة والسريعة، وتستخدم شركات كبرى خدمة Hadoop، مثلاً هناك لينكد إن شبكة التواصل الاجتماعية المتخصصة بالوظائف والعمل تستخدم الخدمة من أجل توليد أكثر من 100 مليار مقترح على المستخدمين أسبوعياً.

لكن ما الفائدة من البيانات الضخمة؟ تقول IBM إن البيانات الضخمة تعطيكم فرصة اكتشاف رؤى مهمة في البيانات، وتقول أوراكل أن البيانات الضخمة تتيح للشركات أن تفهم بعمق أكثر زبائناتها.

قدرت شركة سيسكو أنه وبحلول عام 2015 فإن حركة الزيارات على الإنترنت بالشكل الإجمالي ستجاوز 4.8 زيتابايت (أي 4.8 مليار تيرا بايت) سنوياً.

ومن الأمثلة العلمية لفائدة البيانات الضخمة:

– مصادم الهدرون يملك 150 مليون جهاز استشعار تقدم بيانات 40 مليون مرة في الثانية الواحدة. وهناك ما يقرب من 600 مليون تصادم في الثانية الواحدة.

لكن نتعامل فقط مع أقل من 0.001% من بيانات تيار الاستشعار، فإن تدفق البيانات من جميع تجارب المصادم الأربعة يمثل 25 بيتابايت.

– موقع Amazon.com يعالج ملايين العمليات الخلفية كل يوم، فضلاً عن استفسارات من أكثر من نصف مليون بائع طرف ثالث. وتعتمد أمازون على نظام اللينوكس بشكل أساسي ليتمكن من التعامل مع هذا الكم الهائل من البيانات، وتملك أمازون أكبر 3 قواعد بيانات لينوكس في العالم التي تصل سعتها إلى 7.8، 18.5، و24.7 تيرا بايت.

– سلسلة المتاجر Walmart تعالج أكثر من مليون معاملة تجارية كل ساعة، التي يتم استيرادها إلى قواعد بيانات يُقدر أنها تحتوي على أكثر من 2.5 بيتابايت (2560 تيرا بايت) من البيانات – وهو ما يوازي 167 ضعف البيانات الواردة في جميع الكتب الموجودة في مكتبة الكونغرس في الولايات المتحدة.

– يعالج فيس بوك 50 مليار صورة من قاعدة

مستخدميه. ويقوم نظام حماية بطاقات الائتمان من الاحتيال "FICO Falcon Credit Card Fraud Detection System" بحماية 2.1 مليار حساب نشط في جميع أنحاء العالم.

– تقوم شركة Windermere Real Estate باستخدام إشارات GPS مجهولة من ما يقرب من 100 مليون سائق لمساعدة مشتري المنازل الجدد لتحديد أوقات قيادتهم من وإلى العمل خلال الأوقات المختلفة لليوم.

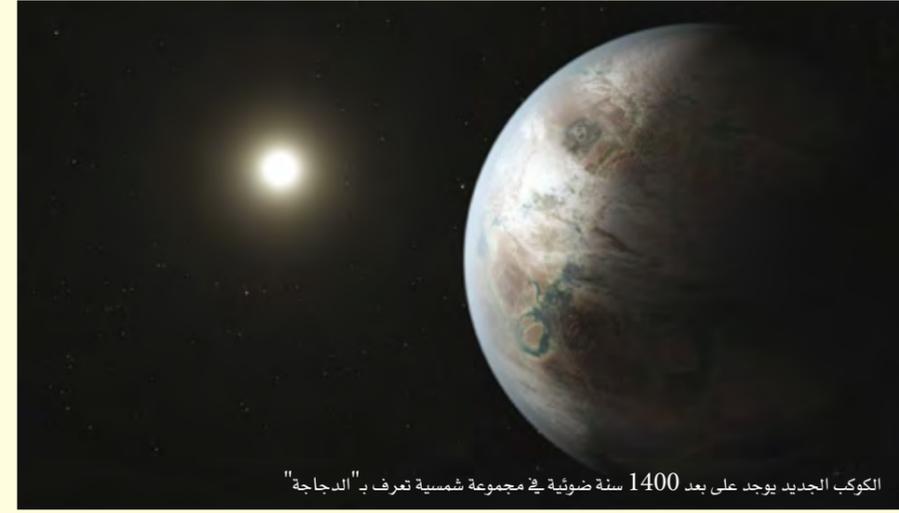
ينصحنا علماء عالم المعلوماتية وتقدمها، على غرار ما ورد في كتاب صدر أخيراً في أمريكا بعنوان «البيانات الكبيرة: ثورة تغير طريقة حياتنا وعملائنا وتفكيرنا، Big Data: A revolution that would Change the Way we Live, Work & Think» للبروفيسور كينيث كروكر؟ ما هو الشيء الذي يرون أن الفكر البشري الآن يكسبه من الانتقال إلى «عصر البيانات الكبيرة»، بمعنى ما هو الأثر المستفاد من هذا التدفق الهائل في المعلومات؟ لا تتسرع في الإجابة، لأنها ربما تحمل كثيراً من الصدمة. ثمة 3 مسارات أساسية (مهارات، طرق في التفكير، أساليب في التدبير: سمّها ما شئت) هي:

1 – ضرورة هجران الدقة لمصلحة التشديد على أهمية الخطأ ووجوده Get Rid of Accuracy. لا نكران للخطأ، بل الأهم وضعه دائماً في الاعتبار والتفكير بأنه موجود فعلياً.

2 – وضع الجهد باتجاه تجميع المعلومات والمزيد منها، ووضع المعلومات المتراكمة موضع الاستخدام اليومي والمستمر، Collect & Use a Lot of Data، خصوصاً مع تفتح آفاق واسعة في الحصول على المعلومات وتوزيعها وتجميعها وتخزينها، وبكلفة تتدنى باستمرار.

3 – التركيز على فهم العلاقات والروابط والميول بدل التشديد على البحث عن الأسباب والعلل Give Up On Causes- Accept Correlations! ربما لا يعجب كثيراً من العقول في العالم العربي هذا الكلام في هذا الكتاب الذي تجدر ترجمته إلى اللغة العربية، لأنه ينطق عن لحظة الحياة الحاضرة مع تلمس جريء للمستقبل.

العثور على كوكب جديد تشييه بالأرض



الكوكب الجديد يوجد على بعد 1400 سنة ضوئية في مجموعة شمسية تعرف بـ "الدجاجة"

عثرت إدارة الطيران والفضاء الأميركية (ناسا) على كوكب خارج النظام الشمسي يكاد يكون مماثلاً للأرض، ويعتقد العلماء أنه أكبر من الأرض بنحو 60%، ويوجد على بعد 1400 سنة ضوئية في مجموعة نجمية تعرف بمجموعة الدجاجة.

وقال العلماء: إن الكوكب الجديد الذي أطلق عليه اسم "كيبلا-452 بي" تم اكتشافه باستخدام المنظار الفضائي "كيبلا"، وأضافوا أنه يوجد في منطقة يمكن السكنى فيها بالقرب من نجم آخر يشبه الشمس، كما أن الماء على ظهر ذلك الكوكب يمكن أن يكون سائلاً وهو شرط أساسي لوجود الحياة.

وسبق أن رصدت كواكب قريبة من الأرض في الحجم لكن "كيبلا-452 بي" يدور حول نجم شديد الشبه بالشمس، وعلى مسافة تقارب مدار الأرض.

وأكد جيف كوفلين - وهو عالم في أبحاث كيبلا بمعهد

سيبي في ماونتن فيو بولاية كاليفورنيا- أن العثور على كوكب شبيه بالأرض ويمثلها بالحجم ودرجة الحرارة، ويدور حول نجم يشبه الشمس يُعد تقدماً هائلاً.

ووفقاً لحجمه يعتقد العلماء أن "كيبلا-452 بي" كوكب صخري ويشبه الأرض ويقع على مسافة مناسبة لوجود مياه سطحية سائلة يعتقد أنها ضرورية للحياة.

الكتف عن مجموعة روسية للتهديد الإلكتروني



أصدرت مؤسسة فاير أي تقريراً عن تهديد استخباراتي جديد يتعلق بمجموعة روسية للتهديد الإلكتروني.

ويقوم التقرير الذي صدر اليوم الأحد بتحليل التكتيكات الخاصة بطريقة العمل وأساليب التخفي لمجموعة متقدمة من البرمجيات الخبيثة تستخدمها على الأرجح مجموعة التهديد المتقدم المستمر (APT) وتدعمها الحكومة الروسية، التي أطلق عليها مجموعة أي بي تي 29 (APT29).

وأظهرت مجموعة أي بي تي 29 منذ عام 2014 على الأقل، قدرات قوية جداً لتعديل أنشطتها والتعقيم عليها والتخفي من إجراءات الحماية الشبكية، بما في ذلك قدرتها على الرصد الدقيق لأنظمة الحماية عن الشبكات وأساليب التحقيق التقني للكشف عن أي جرائم إلكترونية ومحاولة تدميرها.

وتتميز هذه المجموعة عن غيرها من مجموعات التهديد المتقدم المستمر (APT) الروسية الأخرى التي ترصدها فاير أي، في منهجها في الأمن التشغيلي.

وقالت مديرة استخبارات التهديدات في فاير أي، لورا جالانت، إن النهج الجديد الذي تتبعه مجموعة أي بي تي 29 تتمثل في تنفيذ هجماتها وتعزيز وجودها في الشبكات بمستوى من الصعوبة يمكن المتخصصين الأمنيين من أن يشهدوا بأنفسهم تسلل هذه المجموعة إلى أنشطة شبكاتهم الأمنية.

وأضافت أنه بمواصلة تتبع مجموعة أي بي تي 29، سيتم التمكن من الكشف عن المزيد من معلومات الاستخبارات، وهو ما سيساعد العملاء في تحسين إجراءات دفاعهم ضد الهجمات المتقدمة.

تجدر الإشارة إلى أن برمجيات HAMMERTOSS الخبيثة التي تستخدمها مجموعة أي بي تي 29، تتبع نظاماً لاسترجاع الأوامر خطوة بخطوة عن طريق خدمات الويب المشتركة التي تتفادى في الغالب الاكتشاف المبكر،

ويتضمن: الإرشاد في كل يوم عن تتبع مختلف روابط وأوسمة (هاشتاغ) موقع تويتر.

متابعة روابط وسائل التواصل الاجتماعي لمواقع مثل GitHub التي تستضيف الصور مع الأوامر المخفية داخلها باستخدام طريقة معروفة باسم ستيفانوغرافي، لتنفيذ الأوامر واستخراج البيانات من أجهزة الضحايا المستهدفين قبل رفعها على خدمات التخزين السحابي.

فيسبوك تصنع طائرة بدون طيار لتنتشر الإنترنت



أكمل مسؤولون في شركة فيسبوك صناعة أول طائرة بدون طيار تعمل بالطاقة الشمسية قادرة على بث إشارة الإنترنت للمناطق النائية في العالم حيث لا توجد بنية تحتية لشبكات الاتصالات.

وستختبر شركة فيسبوك الطائرة التي لها جناحان مشابهاً لجناحي طائرة "بوينغ 737" في الولايات المتحدة في وقت لاحق هذا العام.

وقال مسؤولون تنفيذيون في شركة فيسبوك: إن الطائرة بدون طيار جزء من برنامج يسمى "أكويلا" يستهدف نسبة 10% من السكان الذين لا يتاح لهم الاتصال بالإنترنت.

وأوضح مدير قسم هندسة الاتصال بالشركة يائيل ماغوير أن وزن الطائرة سيبلغ أربع مئة كيلوغرام، مشيراً إلى أنها ستحلق على ارتفاع يتراوح بين ستين وتسعين ألف قدم (بين عشرين وثلاثين كيلومتراً) فوق الارتفاع الذي تحلق عليه الطائرات التجارية حتى لا تتأثر بمشكلات الطقس.

وأضاف ماغوير أن بوسع الطائرة - التي صنعت في 14 شهراً - أن تحلق في الجو لمدة تسعين يوماً في المرة الواحدة،

مشيراً إلى أن مناطيد تعمل بغاز الهيليوم ستقوم بتثبيتها لتعلق في الجو. من جهته، ذكر جاي باربيخ نائب رئيس قسم الهندسة أن هذه الخطوة "ستكون هذه فرصة عظيمة للشركة لتحفيز الصناعة لتحرك بوتيرة أسرع في هذه التكنولوجيا". وبين أن "مهمتهم تتمثل في الربط بين الناس بالعالم".

وكانت شركة فيسبوك دشنت قبل عام مبادرة "إنترنت دوت أورغ" لإتاحة خدمة الإنترنت لثلاثي سكان العالم الذين ليس لهم اتصال ثابت بالشبكة.

اليابان تختبر أقوى ليزر في العالم



بدأ علماء اليابان في اختبار جهاز الليزر هذا في نهاية عام 2014، وبعد اختبارات عديدة كان آخرها في شهر تموز/يوليو 2015، حققوا مؤشرات عالية سجلت رسمياً. بلغت مدة نبضة ليزر قوتها 2 بيتاواط "petawatts"، بلغت بيكوثانية، أي واحد من تريليون ثانية.

أعلن اليابانيون أن طاقة هذه النبضة (2 بيتاواط) أكبر تقريبا بـ 100 مرة من قدرة ليزر مماثل في جامعة أوستن بولاية تكساس الأمريكية.

يذكر أن علماء الفيزياء بجامعة أوستن بولاية تكساس الأمريكية كانوا قد صمموا ليزراً مشابهاً لهذا الليزر. يقول العالم مايكل دونفان من جامعة أوستن، "تبلغ طاقة الليزر الأمريكي (150 - 200 جول) أي تعادل الطاقة التي نحصل عليها من فنجان القهوة. هذه الطاقة تعادل الطاقة التي يستهلكها مصباح قدرته 100 واط خلال ثانيتين.

القدرة - هي الطاقة المتحررة خلال وحدة الزمن. بما

هذا الجهاز من تصميم علماء الفيزياء في جامعة أوساكا، واطلق عليه اسم "LFEX-Laser for Fast Ignition Experiments" (ليزر للتجارب ذات الاحتراق السريع) يبلغ طوله حوالي 100 متر (مع الأجهزة البصرية للمراقبة).

أن بيكو ثانية واحدة هي مدة زمنية قصيرة جداً جداً، ولكن اتضح أن القدرة الناتجة كانت هائلة".

المغرب بين المتوسط والمحيط

ميسون أبو بكر



أديبة وشاعرة ومذيعة في
التلفزيون السعودي

mysoonabubaker@yahoo.com

@Mayabubaker

قصيرة جداً هي المسافة بين جنوب فرنسا والمغرب، والبحر المتوسط هو المشترك الذي يسور المدن التي يجمع بينها كرابطة العقد، وفي المملكة المغربية تراث ينبض بالحياة في كل تجلياته اليومية والاقتصادية والحضارية والثقافية، فالحاضر يعانق أصالة الماضي الذي تذكر به تفاصيل الحياة ومعالمها سواء في المناطق القديمة الموهلة في القدم بمبانيها وأسواقها وطريقة الحياة بها وازدحامها، أو في المطاعم والفنادق التي تحتفظ بعراقة الماضي سواء في نمطها العمراني أو زخارفها ونقوشها، كما تقدم الطعام المغربي المتنوع والمشهور بأنواع مختلفة كالمطاجين والبسطيلة باللحم أو الدجاج أو ثمار البحر أي الحوت كما يسميه المغاربة كما للحم المشوي بأشكاله المختلفة، ويشتهر الطعام الذي هو ما بين المالح والحلو والذي يقدم في أوان فخارية ويكاد يكون متشابهاً رغم فروق بسيطة بين المدن.

كازا المدينة التجارية في ازدحام شوارعها طابع خاص يصاحبك منذ وصولك المطار إلى المناطق المختلفة، يتراءى بشدة عند ساحل المحيط الأطلسي وفي منطقة عين دياب، حيث الشواطئ الممتدة والمقاهي، وفي بعض المناطق قد تحاول تجاوز الأسوار الطويلة التي تسور البحر لغرض أشغال أو مشروع فندق جديد.

والرباط العاصمة تعد ثالث أكبر مدينة في البلاد، تقع على ساحل المحيط الأطلسي الذي تنتشر فيه بعض المقاهي وعلى الضفة اليسرى لمصب نهر أبي رقراق الذي يفصل المدينة عن سلا المدينة القديمة. الطرق إلى المدن محفوفة بالغابات والأشجار والمراعي الخضراء التي تقدم أشهى الفاكهة.

فاس المدينة الثقافية بكل ما تحمل من عراقة، بواباتها القديمة التي تأخذ زائريها لمحلات شبه اندثرت المهن التي تضم بعض دكاكينها، الجلود ونقش النحاس وصناعة الزخارف الخشبية، ثم الحلوى المغربية والثياب التقليدية التي نجدها حاضرة في أسواق العالم تشير إلى منبعها وموطنها. الكثير من الحكايا والأساطير قد تكون فاس مهدها ثم قد تكون بين طيات الكتب وأشهر الجامعات (جامعة القرويين) التي لا تهدأ فعالياتهما وملتقياتهما وندواتها.

إفران ليست بعيدة عن فاس تلك التي تشبه سويسرا حين تغطي جبالها بالثلج في موسم الشتاء وهي قبلة السياح صيفاً وشتاءً. والمدن الأخرى حكاية يختصرها فلكلورها وطقوس ساكنيها واختلاف لهجاتهم ولباسهم ومهرجاناتهم، حيث لكل مدينة في المغرب مهرجان سنوي خاص بطابع المدينة، فمن مهرجان أصيلة إلى مهرجان الموسيقى الروحية في فاس إلى مهرجان إفران وغيرها.

تصادفك اللوحات قبل مداخل المدن: مكناس تراث عالمي.. فاس تراث عالمي.. للحياة صوت شجي في تلك الديار، المآذن الصديقة لأسطح المنازل، والجبال التي تحدها أشجار الزيتون الباهتة الخضرة، وحولها مراغ من الصفرة والخضرة يلتقيان كألوان قزح، الأرض التي تبدو كاسلالم إلى السماء، والسماء التي لا يعكر زرققتها شيء بل تمر منها الغيوم البيضاء سريعة تهديء وهج الشمس الحارقة في الصيف.

وقع خطا المحيط التائر الذي يختلف عن هدوء المتوسط ما يميز الشواطئ القريبة منه، ثم بساتين القصب التي تختفي بين سيقانها الطويلة الأجساد الداهية للحقول والحصاد، والطيور التي ترفرف فوق الحقول كأنها الفراشات وكأنها نوارس البساتين.

تلك هي بلاد المحيط الأطلسي والمتوسط التي تنتظر المزيد والمزيد من التنظيم الذي يجذب السياح والمستثمرين وما يمكن أن يتوج جمال طبيعتها وغنى مراعيها.

من آخر البحر

بلاد العرب أوطاني.. من الشام لبغداد

ومن نجد إلى يمن.. إلى مصر فتطوان

فلا حدٌ يباعدنا.. ولا دين يفرقتنا

لسان الضاد بجمعنا.. بتحطان وعدنان

معاً.. نختصر المسافات لحلم يتجدد...



فكر

مجلة العرب على امتداد خارطة العالم



www.fikrmag.com

مجلة فكر الثقافية

للتواصل : fikrmag2@gmail.com

